أَوْهَــامْ

مصطلح العقيدة وحقائق الإيمان

دراسة تأصيلية

د/ خالد عباس عبدالله

2018



أَوْهَــــام

مصطلح العقيدة وحقائق الإيمان

دراسة تأصيلية

د/ خالد عباس عبدالله

اكتوبر ٢٠١٨م

فهرسة المكتبة الوطنية اثناء النشر - السودان
214.77 **خالد عباس عبد الله سعدوك-** 1971
خ . أ
أوهام مصطلح العقيدة وحقائق الإيمان : دراسة تأصيلية/
خالد عباس عبد الله سعدوك. -
الخرطوم : خ . ع . عبد الله ، 2018 .
161 **ص** 24 **سم**
ردمك : 8 - 576 - 1 - 978.99942
1. **الإيمان (إسلام)**
2. **علم الكلام.** **أ.العنوان**

halidabas73@gmail.com
0119322823

الاستهلال

قال الله تعالى:

(رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ

(١٩٣)آل عمران.

وقال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ

(١١) غافر.

المحتويات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسئيات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد.

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم القائل: فإنه من يعش منكم بعدي سيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[1].

يقول الله تعالى: (**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**)[2] ويقول أيضا: (**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**)[3] كلمات وألفاظ الوحي المنزلة على رسول صلى الله عليه وسلم تحمل مدلولات ومعاني أرادها الشارع وهي ما تعرف بالحقيقة الشرعية. وكذلك يتعبد بها المؤمن عند تلاوته للقرآن، وهي خلاف لمدلولات الحقيقة العُرفية. فلا يمكن أن نبدل، أو نغير، أو نساوي بين الحقائق الشرعية التي تنزل بها الوحي وبين الحقائق العُرفية عند تناول مسائل الدين.ومن تلك الحقائق الشرعية: حقيقة الإيمان والتوحيد ونقيضهما الكفر والشرك والذين عُلق عليهما التكاليف الشرعية المستمدة منهما. وكذلك عُلّق عليهما الجزاء في الأخرة فريق في الجنة وهم أصحاب الإيمان والتوحيد، وفريق في السعير وهم أصحاب الكفر والشرك والنفاق. فبالتالي لا يمكن أن نأتي بلفظة عُرفية كانت أو مبتدعة لنزاحم بها تلك الحقائق، ونجعلها بمنزلة حقائق الشرع؛ لأن هذا بمثابة القول على الله بغير علم.

١- - أخرجه الإمام أحمد.

٢- -سورة -الأنعام- ١١٥

٣- سورة الكهف-٢٧

تعرضت المصطلحات الشرعية لهجمات شرسة من أعداء الإسلام في القديم، والحديث، من أجل زعزعة، وتشكيك المسلمين في إيمانهم، وفي كتابهم الذي إذا تمسكوا به هدوا إلى صراط مسقيم. ولكن عندما تتعرض مصطلحات الشرع من المسلمين أنفسهم بالتبديل، أو التغيير بقصد أو بغير قصد فهذه هي الطامة الكبرى التي يجب الوقوف عندها كثيرًا.وفي هذا البحث سنقف على اعتداء على حقائق شرعية، حيث تم إخضاعها لكلمة محدثة مبتدعة ثمّ تمّ استبعاد الحقائق الشرعية من الخطاب الشرعي لتحل محلها لتكون هي أساس هذا الدين، وهي كلمة ليس لها مدلول متعارف عليه في اللسان العربي مما أدى إلى تأويل بعض الآيات القرآنية تأويلات بعيدة عن مرادها من أجل التأكيد على أنها كلمة عربية ثم حملها على حقائق الشرع.

فالواجب علينا المحافظة على ألفاظ الشرع الحنيف، وكذلك مصطلحاته من التغيير، أو التبديل لأن ذلك يؤدي إلى تغيير معالم الإسلام. فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم رفض من الصحابي البراء بن عازب ـــ رضي الله عنه ـــ أن يغير كلمة نبي بكلمة رسول.قال: النبي صلى الله عليه وسلم: **(إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل:اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة، ورهبة لا ملجأ، ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت،فإن مت من ليلتك مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به)** قال:فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بلغت: آمنت بكتابك الذي أنزلت، ورسولك. قال:**(لا بنبيك الذي أرسلت)**[1] وقال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**[2] فإذا كان الله سبحانه

١- أخرجه البخاري ،ومسلم..

٢- سورة الحجرات-١

وتعالى أرسل أمين السماء إلى أمين الأرض ليسأله عن الإيمان من أجل أن يعلّم الصحابة، ومن بعدهم معناه فأخبره بحقيقة الإيمان. أمّا المتأخرون فجاؤوا بكلمة عقيدة وعرفوها بالإيمان: العقيدة اصطلاحًا هي الإيمان بالله وملائكته .... أليس هذا تقديم بين يدي الله ورسوله؟يقول الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَللْكَافرينَ عَذَابٌ أَليمٌ**)[1]. فإذا كان الله منع الصحابة من قول راعنا في خطابهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. أليس من باب أولى ألّا نقول على الله مالم ينزل به سلطانًا بأن العقيدة هي الإيمان،والتوحيد، والسنة، والشريعة؛ بل هي أصل الدين الإسلامي.

ولكي ترى أنك تعيش مع كلمة ومصطلح وهمي ليس له أي معنى لغوي، أو اصطلاحي، سأسألك سؤالًا: ما معنى العقيدة لغة، ما المعنى الذي يتبادر إلى ذهنك، وما معناها اصطلاحًا؟

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت لا تدري أنك لا تدري فالمصيبة أكبر

أريد منك إجابة واضحة قبل أن تغوص في هذا البحث ثم تنظر إلى المعنى الذي أوردته، وسأورد لك معنى العقيدة من حيث المعنى اللغوي، والاصطلاحي لتتأكد أنك تعيش مع مصطلح وهمي اسمه العقيدة.

سنتتبع مصطلح العقيدة؛ لنرى من أول من نطق به، ومن قلده في ذلك،ومن عارض به كلام الله سبحانه وتعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم أخضع تلك الحقائق الشرعية لذلك المصطلح؛لتعلم مدى انتهاك حرمة حقائق الشرع، وتضليل الأمة في مصطلح محدث مبتدع. والفرق الشاسع بين وهم العقيدة الذي استقر في القلوب، وحقائق الإيمان التي جاء بها التنزيل الحكيم، والتي ضاعت منا في زحمة العقيدة.

مما يحسن التنبيه إليه في هذا المقام- بمناسبة الكلام على ترجيح

١- سورة البقرة- ١٠٤

الحقائق الشرعية على الحقائق اللغوية في تفسير القرآن- ذلك المنهج الخطير الذي سلكته هذه الفرقة (فرقة القرآنيين) في تفسير القرآن، ومعانيه، وأحكامه، وجعل ذلك من أصول التفسير عندهم. يريدون من هذا التفسير بهذا الشكل إبطال الحقائق الشرعية، واجتثاثها من أصولها، لهدم شريعة الإسلام، فهم يفسرون الألفاظ والحقائق الشرعية وفق معانيها في أصل اللغة، ولا يعترفون لها بمعان وحقائق شرعية.[1]

وسنرى التوافق بين هذا المنهج وبين من عرف لنا العقيدة بأنها: الإيمان، والتوحيد، والسنة، والشريعة، واستبعدوا الحقائق الشرعية من الخطاب الشرعي، لتحل كلمة العقيدة مكانها.

ونسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه رضاه، وأن يسدد أقوالنا.ويرشدنا إلى اتباع الكتاب والسنة والصواب في القصد والقول. أنه ولي ذلك والقادر عليه. وما توفقي إلا بالله.

١- حسين بن علي بن حسين الحربي- قواعد الترجيح عند المفسرين- دار القاسم- السعودية- الطبعة الأولى- ١٩٩٦- ص ٤١١.

البحث عن الحقيقة

مما لا شك فيه أن أكبر عائق واجه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم لأقوامهم قول السادة، والكبراء والملأ إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مهتدون. ومن ثم كانت العقبة التي تواجه الدعاة إلى الله المعارضة القوية التي يتزعمها الكبراء في الصد عن سبيل الله، والتقوقع في الموروثات،وعدم منازلة الحقائق بالعقل، والبرهان مما يصفد العقول في بوتقة خرافة الآباء، والأجداد.

إن تباطؤ الناس عن دخول في دين الإسلام لدليلًا على مدى قوة وتغلغل العادات والتقاليد في المجتمعات التي تعيش ردحًا من الزمان في الجاهلية وفساد الفطرة. وهو وضع يواجهه الدعاة في كثير من المجتمعات قديمًا وحديثًا، حتى المجتمعات الإسلامية، عندما يخبو فيها صوت الدعوة المهتدية بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، تجد أثرًا كبيرًا للعادات والتقاليد تسيير حركة المجتمع في المجالات المختلفة، تجد استنكارًا ممن وقعوا في أسر العادات والتقاليد، لصوت العقل المهتدي بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم[١].

هذا في جانب المجتمع؛ أما في جانب الفرد فلكي يصل الإنسان إلى الحقيقة لابد أن يتجرد من المسلمات، والتراكمات المورثة التي نشأ عليها، وأول ما يخالف في ذلك هوى النفس، والوجدان، والتحرر من سلطة الآباء، والأجداد، والتي تمثل العقبة الكؤود في الوصول إلى حرية العقل في البحث عن الحقيقة، وصفاء القلب من لوثة الجهل والهوى؛ ليستضيء بأنوار الحقيقة المستمدة من الكتاب، والسنة. ولا محيص للإنسان الذي يريد الأمان لنفسه من الازدواجية في معرفة حقائق الشرع التي يتعبد بها الله أن يبحث عن الحقيقة، ويجهد نفسه في الوصول إليها متجاوزًا إنا وجدنا آباءنا على أمة، بل إقامة الحجج بالأدلة، والبراهين العقلية، والشرعية بموضوعية كاملة،

١- مهدي رزق الله أحمد- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- السعودية- الطبعة الأولى-١٩٩٢-ص ١٦٤

وليس تعسفًا،وإرغامًا للآخرين. أعرف الحق تعرف أهله. عليك بالبحث عن الحقيقة من أجل الحقيقة، وليس من أجل إقناع الخصم، وإسكاته فقد يكون الخصم من العناد، والتعصب بحيث لا يقتنع بأقوى الأدلة؛ بل يحاول الالتفاف عليها إذا كان متمرسًا في الخصام، والجدل. يظل الحق مطلبًا شرعيًا بعد إقامة الأدلة على صدقه بالحجج الواضحة، والبراهين العقلية، والشرعية من أجل إقناع الآخرين رغبة في التحول من قاعدة إنا وجدنا آباءنا على أمة إلى أنوار حقائق الشرع.

أول ما نعتمد عليه في الاستدلال، وإقامة الحجة، والبرهان على المخالف فيما يدعيه أن الحق معه، وإن استند على القرآن، والسنة، وعلى الآخرين الخضوع، والتسليم على فرضه بكتاب الله سبحانه، وتعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم بأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وأقوال السلف؛ لأن هذه الدراسة تتعلق بقاعدة مترسخة في العقول، والقلوب، وهي تمس أصلًا من أصول الدين. ومن ثم إقامة الحجة عليها ببطلانها، وذلك من أجل تأصيل قضية إيمانية، وهي إعادة،وتثبيت ألفاظ شرعية طال عليها الأمد في عالم النسيان في ظل تزاحم الألفاظ المبتدعة. تم تبديلها، وتحريفها بألفاظ مبتدعة استقرت، وعششت في العقول،والقلوب. فليكن الشرع هو الفاصل بيننا؛ لأننا نتحدث عن قضية شرعية. أما الإصرار على أن الحق المطلق معه، وإن استبانت له الحقيقة بخلاف ما يؤمن به، وإن كان هذا الحق مع من يخالفه في المذهب، أو الانتماء مما يقود إلى التعسف،والتعصب في الرأي. ومن ثم إنا كفرنا بما جئتم به. والانصراف إلى إيراد عيوب الأخر، ونسيان القضية محور البحث كما يفعل أهل الكفر في عنادهم أمام دعوة الرسل عندما أعرضوا عن قضية التوحيد التي جاؤوا بها والشرك الذي عليه بأن يصف الأنبياء بالجنون، والشعر، والكهانة.يقول الله تعالى:(**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**)[1]

١- سورة الذاريات -٥٢

لعل من أكبر العوائق التي تواجهه تلك الرواسب، والتراكمات التي تعمقت في النفس فأصبحت من المسلمات التي يصعب على المرء طرحها مرة ثانية للمناقشة؛ إلّا إذا تعرضت للنقد،وإقامة الحجج في التشكيك فيها على الأقل دعك من نسفها، وإبطالها بالأدلة الشرعية من الكتاب، والسنة، وأقوال السلف الصالح. (الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها)؛بل من الاضطراب المخل المخالف لأبسط قواعد العلم والشرع الذي يستند عليه بأحقيته المطلقة في امتلاكه الحقيقة دون غيره، أو حتى قبول الرأي الآخر في مسألة البحث.يقول اللّه تعالى: (**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**)[١]

هل نحن تمسكنا بكتاب للّه الذي إذا تمسكنا به لن نضل أبدًا، هل نجد في كتاب للّه، أو سنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم الدعوة، والتمسك بألفاظ غير ألفاظه عند تناول مسألة من مسائله، ثم نقيمها بمنزلة ألفاظ القرآن بل نجعل ألفاظ القرآن تابعة له؟ فإذا كان اللّه وصف كلمات وحيه بالصدق،والعدل. يقول اللّه تعالى:(**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**)[٢].فكيف نجعل كلمات وحيه تابعة لكلام خلقه وهو الذي علمهم ما لم يعلموا.

للقرآن عُرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغيرها ولا يجوز تفسيره بغير عُرفه، والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني، كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، كما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأوضحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قُدر العالمين، وكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به.[٣]

ألم يقل الرسول صلى اللّه عليه وسلم:(وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به

١- سورة سبإ -٢٤

٢- سورة الأنعام ١١٥

٣- خالد عبد الرحمن العك- أصول التفسير وقواعده- دار النفائس- بيروت -لبنان- الطبعة الثانية- ١٩٨٦- ص ١٤٩

لن تضلوا: كتاب الله)[١] فقد بين لنا كتاب ربنا السبب الذي من أجله خلقنا وهو توحيده سبحانه وتعالى.يقول الله تعالى:(**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)[٢]. وبيان ما ينافيه من الشرك الأكبر.يقول الله تعالى:(**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**)[٣]. وكذلك حقيقة الإيمان التي يترتب عليها تحقيق توحيد الله سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[٤].أو اختيار الكفر به سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**).[٥] أليس أخطر قضية حتمية تواجه الإنسان في حياته هي حقيقة التوحيد والشرك، والإيمان والكفر، أليس الناس في نظر الإسلام سوى هذين الفريقين، أليس الصراع دائرة بينهما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. أليس الدابة التي تخرج في آخر الزمن توسم الناس في خراطيمهم: مؤمن أو كافر.

ثم ماذا يكون بعد أن تتجلى الحقيقة، ويظهر الحق إلّا الإذعان للحق. كما قال السحرة عندما تجلت لهم حقيقة سيدنا موسى عليه السلام.يقول الله تعالى: (**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى** (٧٠) **قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى** (٧١) **قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** (٧٢))[٦]. وليس كما قال قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام.يقول الله تعالى: (**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى**

١- رواه مسلم
٢- سورة الذاريات - ٥٦
٣- سورة لقمان-١٣
٤- سورة الأنعام-٨٢
٥- سورة البقرة- ١٧٧.
٦- سورة طه -٧--٧١-٧٢

رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨))[1].

سنبحر في مصطلح طالما نستمع إليه في الخطب والدروس التي يلقيها المشايخ والعلماء، من غير أن نربط هذا المصطلح بالأدلة التي يستندون إليها من الكتاب، والسنة. سنرى الافتراق بين المصطلح الذي يستخدمونه،وبين ما يرددونه من أدلة الكتاب، أو السنة بحيث لا تجد توافقًا، وتلازمًا، وانسجامًا بين المصطلح، والآيات، والأحاديث التي يستندون إليها مما يخلق فجوة عميقة بينهما.

عليك أن تتحلى بالصبر، والتأني في إصدار رأيًا وأنت تخوض غمار هذا البحث بين الانقباض الممزوج بالخوف الذي يهدد ازدراءك من عدوك عندما تصبح الحقيقة معه، وأنت تظن أنه على ضلالة.والانبساط الممزوج بالرهبة عندما تتجلى لك حقيقة خطأ من تظن أنه على الحق، وهو يمثل لك قدوة تقتدي به لا تكاد تجد له مخرجًا مما هو فيه من التباس الحقيقة بالوهم الذي طالما تمسك به، ودعا إليه.

هناك مشكلة في تعريف المصطلح الذي أُورد حيث إذا ثبت أن مصطلحهم غير جارٍ على قواعد اللغة عربية. وليس له تعريف اصطلاحي منسجم، ومتوافق مع علم المصطلح، أوالحقيقة الشرعية أي ليس له دليل من الشرع. وأنت الآن تضع له تعريفًا، ومن ثم تستخدمه، وله مدلول معين هذا تناقض عند رفضه عند الآخرين،وتعريفه بذلك التعريف الذي ابتدعته؟ هنا لم اسمه باعتباره مصطلحًا شرعيًا، أو حقيقة شرعية بحيث استدل بالكتاب، والسنة، أوكلمة عربية بحيث استدل من كلام العرب في ذلك. وليس له حضور عند السلف في مصنفاتهم. هذا التعريف ليس من تلقاي نفسي أنما بناءً على السياقات التي ورد فيها. ابتداء من أول من نطق به إلى أن استقرعند

١- سورة الأنبياء٦٥-٦٧-٦٨-

المتأخرين. فشاع استخدامه فبالتالي يصعب أنكاره من حيث الاستخدام. ولكن ليس في صحته لغويًا،أو مصطلحًا متعارفًا عليه عند السلف، أو بتلك التعريفات التي أوردها المتأخرون. إذًا لزامًا أن نعترف به في الاستخدام، ثم يتعين علينا أن نضع له تعريفًا بناءً على وروده في تلك السياقات كما هو متعارف عليه في الدراسة الاصطلاحية .

إننا حينما نستخدم هذا المصطلح ألا وهو مصطلح العقيدة فإنما نضفي على الحقائق الشرعية أفكارًا بشرية اجتهادية لاعلاقة لها بالقرآن، ولا مراده الذي يخاطب المؤمنين بالإيمان، وليس بالعقيدة. مما يخلق تباعدًا بين العقيدة التي عششت في القلوب، والعقول، والتي لا يوجد لها أي أثر في نداءات القرآن مما يجعلنا نتناسى الإيمان،والكفر، والتوحيد، والشرك من خلال استخدامنا لمصطلح العقيدة، وربما تصيبنا الدهشة، والحيرة في عملية التمايز بينهما لأننا لانجد كلمة في مقابل العقيدة لتميزنا عن غيرنا سوى عقيدة صحيحة، وعقيدة غير صحيحة،أو سليمة،أو فاسدة إذا كان غيرنا على عقيدة، ونحن على عقيدة مما يزيد الارتباك أمام الأعداء.

مصطلح العقيدة يعكس عدم معرفتنا للآخر،ولا يعرف مدى معرفتنا به من حيث التمايز في حقائق الإيمان، والكفر،والتوحيد، والشرك التي جاء بها القرآن في عملية المفاصلة بينهما.يقول الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**[1]). مما يجعلنا كما يوحي المصطلح غير قادرين على تصنيفه على الأقل أمام القرآن، والسنة، والتي تعكس أزمة المصطلح الذي نعيشه بالقدر الذي نبرهن به على عجزنا عن معرفة أنفسنا من خلال إيماننا بالله، ومن يعادينا في هذا الإيمان.يقول الله تعالى: (**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**)[2].ويقول الله تعالى:(**قُلْ**

١- سورة التوبة ٢٣.

٢- سورة البروج-٨.

يَا أَهْلَ الْكتَاب هَلْ تَنْقمُونَ منَّا إلَّا أَنْ آمَنَّا باللَّه وَمَا أُنْزلَ إلَيْنَا وَمَا أُنْزلَ منْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسقُونَ)[١]. ومن خلال أوامر القرآن التي تجعلنا نتبرأ من الشرك، والكفر، وأهله مع أن القرآن جعل لنا من سيدنا إبراهيم عليه السلام قدوة لنا في عملية البراءة من قومه عندما وضح لهم الشرك الذي هم فيه.يقول الله تعالى:(**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْرَاهيمَ وَالَّذينَ مَعَهُ إذْ قَالُوا لقَوْمهمْ إنَّا بُرَآءُ منْكُمْ وَممَّا تَعْبُدُونَ منْ دُون اللَّه كَفَرْنَا بكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمنُوا باللَّه وَحْدَهُ إلَّا قَوْلَ إبْرَاهيمَ لأَبيه لَأَسْتَغْفرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلكُ لَكَ منَ اللَّه منْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإلَيْكَ أَنَبْنَا وَإلَيْكَ الْمَصيرُ**)[٢]. وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: أوثق عُرى الإيمان: المولاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز وجل)[٣]. والتي سماها المتأخرون عقيدة الولاء والبراء، مع أنهم يعرّفون العقيدة بالإيمان، دقّق بين مسمى عقيدة، وبين كلام الرسول صلى الله عليه وسلم: أوثق عُرى الإيمان، كيف بدّلوا وغيّروا معالم السنة لهثًا وراء مصطلح العقيدة. ودقّق أيضًا بين المعاداة والبراء؟ تأمل؛ لتعلم مدى التخبط والوهم الذي سيطر عليهم في كلمة العقيدة التي عارضوا بها كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلام.

من البديهي أن المصطلح،وإن لم يكن مطابقًا لمعناه إنما يكتسب الدلالة الواضحة من خلال الاستعمال، والتداول. فالرعيل الأول من الصحابة، والتابعين وتابعي التابعين كانوا لايستخدمون كلمة العقيدة إنما يستخدمون كلمة الإيمان في مصنفاتهم، وحتى الذين استخدموها كانت لاتحمل المعنى الذي أحدثه المتأخرون. ثم جاؤوا من بعدهم (ليس بإحسان عندما بدلوا، وغيروا) بمصطلح العقيدة الذي ابتلع كل مصطلحاتهم ومسميات كتبهم. بل

١- سورة المائدة-٥٩.
٢- سورة الممتحنة-٤
٣- صحيح الجامع

ذهبوا أبعد من ذلك بأن جعلوا بعض ألفاظ القرآن، والسنة تابعة له، وأوّلوا بعض الآيات لتتوافق مع هذا الدخيل على ألفاظ القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، واللغة.

تبارى كثير من علمائنا في إخضاع المعنى الشرعي لكلمة الإيمان، والتوحيد إلى مسمى العقيدة التي رسخت، واكتسبت بمرور الزمن دلالات توحي بترادفها مع الإيمان، والتوحيد، والمخاطب بالإيمان، والتوحيد في القرآن لم يعد مخاطبًا به، بل صار اسمه الجديد العقيدة حيث اختزلوا أركان الإيمان الستة، وتوحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء، والصفات في هذا المصطلح المبتدع. ولو أن للعقيدة مدلولات جديدة، أوعلمًا يبحث عنه لهان الأمر؛ ولكنه توغل بدون استحياء لإخضاع نصوص الكتاب، والسنة، وعلم السلف له، وكأن ذلك غاية في حد ذاته، حتى اختلطت المفاهيم، وبدأت كثير من الألفاظ الشرعية تفقد مدلولاتها وراء هذا المصطلح المبتدع. وليس لها في حقيقة الأمر سوى إحلال، واستبدال مصطلح محدث بحقائق شرعية.

تبديل الأسماء الشرعية هو تحريف لمعاني القرآن، لأن الأسماء التي سماها الله، ورسوله يجب أن تبقى كما هي، فهي حقائق شرعية لها مدلولاتها التي تترتب عليها الأحكام. إن تغيرمعانيها يؤثر على المسلمين عندما ينشىء الناشئ على تلك المصطلحات ما يزيده إلا بعدًا عن منابع أصول الدين، وإذا سألته عن الإيمان، والتوحيد ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وإذا سألته عن العقيدة يزداد اضطرابًا وحيرة.

لقد وردت كلمة الإيمان، والمؤمنين، ونقيضه الكفر، والكافرين، والشرك، والمشركين في كثير من آيات القرآن، وبمجرد سماع المؤمنين، وما أعده الله لهم من نعيم وجنات، فان قلبه ينشرح، ويطمئن، ويدعو الله أن يثبت قلبه على الإيمان كما ذكر ذلك الطحاوي في نهاية كتابه العقيدة الطحاوية، ولم يذكر أن يثبته الله على العقيدة التي ذكرها في المقدمة. وقال إنها عقيدته على مذهب أبي حنيفة. ولكن عندما استقرت هذه الكلمة جاء من يسأل

الله أن يثبته على العقيدة. وإن السلف على الإيمان وليس على العقيدة كما ذكر ذلك الصابوني في كتابه عقيدة السلف أهل الحديث - والتي أصبحت من أشهر العبارات عند المتأخرين؛ عقيدة السلف- بعد الطحاوي، بعد أن كانت تنسب إلى شخص انتقلت إلى السلف أهل الحديث. ويدعو بهذا الدعاء.يقول الله تعالى:(**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**)[1]

وليس كما قال ابن تيمية في كتابه العقيدة الواسطية: اعتقاد أهل السنة، والجماعة : أركان الإيمان الستة.بل الواجب التمسك بالكتاب، والسنة التي تتحدث عن الإيمان في كثير من الآيات.يقول الله تعالى:(**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)[2]. والتحذير من الكفر، والشرك.يقول الله تعالى:(**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦)**)[3]. وعندما يسمع بالكافرين، والكفر، والمشركين، والشرك،وما أعده الله لهم من العذاب، والخزي في الدنيا، والأخرة ينطق قلبه بالكراهية لهؤلاء؛ لأنهم كفروا بالله، وأشركوا به، ويستعيذ بالله من الشرك، والكفر، وأهله، وما أعده لهم يوم القيامة من العذاب.يقول الله تعالى:(**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا**

١- سورة الحشر-١٠

٢- سورة المجادلة- ٢٢.

٣- سورة إبراهيم٣٥-٣٦.

غَيْرَ الَّذي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧))[١].

إن الله سبحانه، وتعالى قد حرم علينا استخدام ألفاظ توحي بمدلولات فيها إساءة، أو تنقيص لبعضنا البعض. قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)**[٢]. وكذلك الخطاب مع رسوله صلى الله عليه وسلم.يقول الله تعالى:**(لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[٣] ويقول الله تعالى:**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[٤].فالله سبحانه، وتعالى نهى المؤمنين عن استخدام لفظة راعنا، وطلب منهم استخدام لفظة انظرنا مع أن اللفظتين لهما نفس المعنى؛ وذلك لأن اليهود صاروا يستخدمون كلمة راعنا بمعنى الرعونة، والطيش فصاروا باستخدامهم لهذه اللفظة يصفون الرسول صلى الله عليه وسلم، بهذه الأوصاف، فنهى الله المؤمنين عن استخدام هذه اللفظة، وعليه فإنه لا يجوز استخدام أي لفظة لها مفهوم خاص يخالف آداب الإسلام لأن المؤمنين، وغيرهم من أهل الضلال يشتركون في مسمى العقيدة فكيف نساوي من فرق الله بينهم بمسمى الكفر، والشرك، والنفاق، والإلحاد، والزندقة فنقول العقيدة الإسلامية، وعقيدة النصارى (عقيدة الثالوث)، وعقيدة اليهود، والعقيدة الماسونية، والعقيدة البوذية، وغيرها من العقائد الفاسدة مع أن القرآن سماهم بالكافرين، والمشركين، والملحدين.

١- سورة فاطر ٣٦-٣٧
٢- سورة الحجرات- ١١.
٣- سورة النور-٦٣
٤- سورة البقرة - ١٠٤

إن الرسول صلى الله عليه وسلم، نهى أن نغير كلمة العتمة بالعشاء لأنهاحقيقة شرعية جاء بها الوحي. يقول الله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**)[1].عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم فإنها العشاء وإنهم ليعتمون بالأبل)[2]. وكذلك نهى تسمية العنب بالكرم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسموا العنب الكرم فإن الكرم المسلم)[3] وهذه الكلمات هي كلمات عربية فصحى. فكيف نخضع كلمة شرعية لكلمة مبتدعة. أرسل الله من أجلها سيدنا جبريل عليه السلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل أن يعلم الأمة كلها الإيمان (حديث جبريل عليه السلام الذي يعتمدون عليه في تعريف العقيدة) نغيرها بكلمة أحدثت في القرن الرابع ثم اصطلح عليها في القرون المتأخرة فتكون هي الأصل، والإيمان تابع لذلك المصطلح الذي أحدث.

لابد أن نقرر قبل الخوض في البحث أن النظر، والحكم عليه لابد أن يكون من زاوية الشرع، وعليه فعند النظر لمصطلح العقيدة لابد أولًا من تحديد مدلوله عند واضعيه حتى نستطيع الحكم عليه أخذًا، أو وردًا فإن كان حقًا نابعًا من الكتاب، والسنة قبلناه، وإن كان غير ذلك رددناه فالحق أحق أن يتبع. فما المقصود بمصطلح العقيدة؟

فهل مصطلح العقيدة حقيقة شرعية مثل الإسلام، والإيمان،

١- سورة النور-٥٨.

٢- رواه النسائي وابن ماجة

٣- متفق عليه وهذه رواية مسلم.

والكفر،والصلاة، والزكاة له تعريف محدد، وواضح عند السلف، وهل يبنى عليه أحكام شرعية من الكتاب، والسنة في الدنيا، والأخرة؟ وبالرجوع لمدلوله عند واضعيها نجد له مدلولات عديدة متباينة بعضها يتناقض مع الشرع. والآخر جعل بعض الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة له.

المتأخرون هم الذين أجمعوا على تعريف العقيدة لزامًا أن تُجمع تلك التعريفات عن مصطلح العقيدة ثم نذكر كل تعريف على حدة ثم نعقد مقارنات، وموازنات لكل إطلاق مع الآخر لمعرفة الصفة الجامعة لتلك الاطلاقات لنتعرف على السبب الذي جعلهم يفضلون تلك التعريفات على غيرها،وسبب اختلافهم في تلك التعريفات، وملاحظة علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي.

سيخوض المؤلف في بحر لجي يكتنفه الخوف، والرهبة من الغرق في القول في علمائنا بغير علم، أو رجمًا بًالغيب لولا كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الذي يكون سفينة يبحر بها إلى شاطئ حقائق الإيمان، لم أتجرأ على القول في علمائنا كما قيل:إن لحومهم مسمومة تحذيرًا من الخوض في أقوالهم بغير علم من أجل الطعن فيهم، أو التنقيص من شأنهم؛ ولكن يجب أن الحذر من زلة العالم التي ربما يضل بها الكثير لو لم ينبه إليها.

وإن من أخطر ما تتعرض له الأمة في دينها زلة العالم، ولأن العالم قدوة، ومحل ثقة الناس، فإذا زل فقد يتبعه الناس في زلته دون بصيرة فإنه لم يسلم من الخطأ أحد من العلماء، وكثير من مجتهدي السلف وقع من أفرادهم ما يخالف السنة، ولم يقدح ذلك في إمامتهم.وأهل السنة إنما يتبعون الدليل، ويدورون معه حيث دار، ويقتدون بأئمة الهدى ويجلونهم، ويعذرون المخطئ، ولا يتبعونه فيما أخطأ فيه.١

١- ناصر بن عبد الكريم العقل- دراسات في الأهواء والفرق و البدع وموقف السلف منها-مركز الدراسات والأعلام -دار اشبيليا – السعودية-الطبعة الأولى ١٩٩٧-ص١٢٩-

بين هذا، وذلك سنبحر في هذا اللجة، مستعينين بالله بأن يهدينا سواء السبيل فإن ضللت فإنما أضل على نفسي، وإن اهتديت فما توفيقي إلا بالله. وسيكون القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين خير ما استرشد به. لأنه الحكم الفصل. يقول الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**)[1].

١- سورة النساء- ٥٩.

تأملات في بعض الآيات القرآنية

(وَلْيَعْلَمَ الَّذينَ نَافَقُواْ وَقيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتلُواْ في سَبيل اللّه أَو ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ للْكُفْر يَوْمَئذ أَقْرَبُ منْهُمْ للإيمَان يَقُولُونَ بأَفْوَاههم مَّا لَيْسَ في قُلُوبهمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بمَا يَكْتُمُونَ)[(١)]

(كَيْفَ يَهْدي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إيمَانهمْ وَشَهدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لَا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالمينَ)[٢].

(إنَّ الَّذينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُن اللّهُ ليَغْفرَ لَهُمْ وَلَا ليَهْديَهُمْ سَبيلا)[٣].

(وَلَئنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبالله وَآيَاته وَرَسُوله كُنْتُمْ تَسْتَهْزئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانكُمْ إنْ نَعْفُ عَنْ طَائفَة منْكُمْ نُعَذِّبْ طَائفَةً بأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرمينَ (٦٦))[٤]

(وَقَالَ الَّذينَ أُوتُوا الْعلْمَ وَالْإيمَانَ لَقَدْ لَبثْتُمْ في كتَاب الله إلَى يَوْم الْبَعْث فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْث وَلَكنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[٥]

(وَكَذَلكَ أَوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحًا منْ أَمْرنَا مَا كُنْتَ تَدْري مَا الْكتَابُ وَلَا الْإيمَانُ وَلَكنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدي به مَنْ نَشَاءُ منْ عبَادنَا وَإنَّكَ لَتَهْدي إلَى صرَاط مُسْتَقيم)[٦].

(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلَامَكُمْ بَل اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ للْإيمَان إنْ كُنْتُمْ صَادقينَ)[٧].

(وَالَّذينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمَان أَلْحَقْنَا بهمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ منْ عَمَلهمْ منْ شَيْءٍ كُلُّ امْرئٍ بمَا كَسَبَ رَهينٌ)[٨]

١- سورة آل عمران-١٦٧
٢- سورة آل عمران- ٨٨.
٣- سورة النساء- ١٣٨.
٤- سورة التوبة ٦٥-٦٦.
٥- سورة الروم- ٥٦.
٦- سورة الشورى -٥٢.
٧- سورة الحجرات-١٧.
٨- سورة الطور-٢١.

المصطلح

المصطلح يشكل حيزًا كبيرًا وأساسًا لاغنى عنه لأي علم مهما كان نوعه فهو الوسيلة الأساسية التي تُبنى عليها الأسس التي ينشأ عليها ذلك العلم، ويحدد معالمه التي تنير الطريق للأجيال القادمة، ويمنع تسرب أي أفكار دخيلة تدخل على ذلك المصطلح، والتي تؤدي بدورها إلى تضليل ذلك المصطلح، أو تشويهه.

تأتي أهمية، وخطورة المصطلح في عدم إدراك الأمة ما يعمله المصطلح من تغير الأفكار، والسلوك، وعملية التفكير االنابعة من مكوناته الدينية، أو الثقافية، وبالتالي تسير على ضلالة في أمرها؛ لأن أي مصطلح عندما يستخدم يحمل معه أفكارًا، وقيمًا مرتبطة بثقافة، أو ديانة ذلك المجتمع الذي أسس هذا المصطلح، وعندما ينتقل إلى أي مجتمع آخرلابد أن يؤثر في سلوك وأخلاق ذلك المجتمع الذي انتقل إليه. ولأن اللغة تلعب دورها في خلق المعاني التي توثرفي السلوك، والأخلاق.

إن دراسة الحقائق الشرعية، والمصطلحات الإسلامية من الموضوعات ذات الأهمية البالغة التي يجب علينا العناية بها، لأنها مرتبطة بالقرآن والسنة التي تبين لنا ممارستهما تعبدًا، وسلوكًا، وبين المصطلحات المحدثة التي توغلت على الحقائق الشرعية مما يؤدي إلى اللبس بينهما، وحتى لايحصل انفصام في الشخصية نتيجة ذلك الالتباس. فقد تعرضت الأمة الإسلامية في الماضي، والحاضر إلى فتنة الاعتداء عليها، وذلك بتحريفها بمفاهيم جديدة تحمل معاني فاسدة، وآراء مشبوهة، تفتن المسلمين في إيمانهم، وإسلامهم، وتلبس عليهم الحق بالباطل، وتبعدهم عن تعاليم الإسلام، وهكذا يضعف أثر الإسلام في حياة المسلمين بفعل ازدواجية الحقائق الشرعية، والمصطلحات المحدثة، واختلاطهما في عقول المسلمين، وتزاحمهما فتصبح المصطلحات الشرعية فارغة عن مدلولها القرآني،

والنبوي مما يودي إلى الازدواجية في السلوك، والتفكير. خذ كلمة فائدة في استخدامها في المصارف، وكلمة الربا الشرعية. ستجد الاضطراب الشديد، والجهل بحقيقة الربا في ظل تزاحم كلمة الفائدة.

تعريف المصطلح

- قبل تعريف المصطلح يجب أن نلاحظ الفرق بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، ومن ثم العلاقة بينهما؛ لأن ذلك سيكون لنا دليل في بحثنا عن التفرقة بين ما هو خاص بالدراسة اللغوية، والدراسة الاصطلاحية

لا شك أنَّ ثمة غموضًا في دراسة المصطلح، إذ يقع الخلط بينهما وبين أمرين:

(١) الدّراسة المعجمية.

(٢) وبينها وبين الدّراسات الإشكالية الموضوعية التي تتعلق بما ينبني على مصطلح ما من قضايا.

يتلخص من التعريف أنَّ الدّراسة المصطلحيّة منهج للبحث في المفهوم العلمي، وما يتعلق به من أعراض، وليست بحثا معجميًا، ولا قاموسيًا، ولا تأثيليًا، ولا دلالياً، وإن كان بينهما وبين ذلك كله روابط جدلية أخذًا وعطاءً. أمَّا المصطلح فهو: اللفظ الدالّ على مفهوم علمي خاص، وليس بمعناه اللُّغوي العام. ولهذا فالدّراسة المصطلحيّة: هي بحث في المصطلح ضمن مجاله العلمي.[1]

أما الجرجاني في التعريفات فقد عرف المصطلح بقوله: "اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى"[2].

المصطلح اصطلاحًا: هو اللفظ المختار للدلالة على شيء معلوم ليتميز به عما سواه.[3]

١- -القرشي عبد الرحيم البشير -المصطلح الشرعي ومنهجية الدراسة المصطلحية -مجلة جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية ٢٠٠٦-ص ١٠٩

٢- ٢ التعريفات للجرجاني، عالم الكتب، بيروت ص/٢٢.

٣- ٥-المواضعة في الاصطلاح على خلاف الشريعة، ضمن كتاب فقه النوازل،لشيخ بكر أبو زيد،١٢٣/١، مؤسسة

وقيل: هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيئ باسم ما ينقله عن موضعه الأول[1].[2]

أما الألفاظ التي وردت في الكتاب والسنة فثابتة لا يمكن أن تتغير؛لأنها مرتبطة بمراد الشارع ولا يمكن تبديلهما بأي مصطلحات أخرى. ولأن المصطلح هو اتفاق مجموع من العلماء في تخصص معين اصطلحوا على تعريفه وهذا بخلاف نصوص الشرع لأن الرسول هو من عرفها لنا لأنه لو حدث مثل هذا سيفتح الباب على مصراعيه لكل متطفل يريد أن يؤصل لمذهبه الباطل. كماحدث في حقيقة الإيمان عند الفرق التي خالفت منهج الكتاب، والسنة.

أما المصطلحات التي لم تؤخذ من الشرع الكريم فهذه يمكن أن تحدث نتيجة تغير، أوتبديل لأسباب مختلفة لما يحدث في ذلك المصطلح من أسباب يضطر أصحاب ذلك العلم من أحداث تغير في المصطلح.

يقول أبو البقاء الكندي رحمه الله (الاصطلاح إخراج الشيئ عن المعنى اللغوي لمعنى أخر لبيان المراد ويستعمل الاصطلاح غالبا في العلم الذي تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال لأن من هذه الألفاظ الاصطلاحي ما لا يثبت دلالته على وتيرة واحده بل تعترها الاستبدال، والسعة، والضيق، وحيث تتسع مدلولاتها أو تضيق وتختص لمعنى ما ولكن هذه التغيير في نطاق مقاييس اللغة، أما الألفاظ المتعلقة بنص من الشارع فهذا غير وارد فيها ولهذا حصل التفريق في ألقابها فيقال بما ورد به نص حقيقة شرعية ولا يقال حقيقة اصطلاحية [3].

من أجل ذلك لابد من ضبط حقائق الشرع، وعدم خلطها بالمصطلحات

الرسالة، الطبعة الأول ١٤١٦هـ.

١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،٢/ ٩٧٠، دار الندوة للنشر، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

٢- نقلا عن حسم سليمان العابدي حلس – رسالة ماجستير- الجامعة الإسلامية – غزة كلية أصول الدين – ص٢٠

٣- – حسن سليمان العامري ، الاختلاف في المصطلحات العقائدية والفكرية وأثرها على الأمة الإسلامية ، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية ، غزه ، ص ٢٠ – ٢٧ بتصرف .

الحادثة فالواجب التفريق بينهما في الاستخدام فنقول حقيقة شرعية، ومن ذلك الإيمان، والكفر، والشرك، والنفاق، وغيرها، وذلك لما يترتب عليه من أحكام في المعاملات التي تحدث بينهم، وبين غيرهم لأننا سنرى اختلالاً كبيرًا في الموازين بسبب ضياع حقائق الشرع مما أدى إلى ضبابية في التعامل مع المخالف في الإيمان، والتوحيد.

فإذا أراد علماء الأمة النهوض بالأمة من جديد، عليهم أن يعيدوا حقائق الشرع إلى وضعها الأصلي، وتستنير بهدى القرآن، والسنة؛ إذ هو أصل التلقي في هذه الأمة، فتقوم بعملية إبعاد المصطلحات المحدثة في تناول مسائل الشرع التي انتشرت فيها، وربطها من جديد بألفاظ القرآن، والسنة.

فالواجب نحوها يقتضي المحافظة عليها لفظًا، ومعنى فتستعمل الحقيقة الشرعية للدلالة على مرادها، ولا يسمى بغير اسمها. والسبب في الحاجة للحقيقة الشرعية هو عجز كلمات الإنسان عن إدراك المفاهيم الشرعية وبيان ذلك أنَّ المصطلح الشرعي امتثالي، والخطاب الشرعي يقتضي ارتباطه بفعل الإنسان وصيرورة الكلمات قنوات تنقل العلم إلى الإنسان. والعلم المنقول للإنسان هو علم الله أولاً، والكلمات المنقولة، بصرف النظر عن أصلها هي كلمات الإنسان من حيثية كونها عرفًا واستعمالاً قبل نزول القرآن، فلازم ذلك أن تضيق كلمات الإنسان عن مضمون قصد الشارع من حيث هي كذلك، فتعيَّن عليها أن ترجع إلى ربها طوعًا أو كرهًا، فترقى دلالاتها من مقام كلمات اللسان النافدة، إلى مقام كلمات الله التي لا تنفد. يقول الله تعالى: (**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**) الكهف.[1]

لذلك ينبغي الحرص على استعمال الحقائق الشرعية بكل دقة وأمانة في بحوثنا ودراساتنا؛ لأنها ذات دلالات واضحة ومحددة، ولأنها معايير شرعية تتعلق بها أحكام في الدنيا والأخرة.

١- قرشي عبد الرحيم البشير -مصدر سابق-ص- ١٠٥.

فينبغي أن نحافظ على تلك الألفاظ الشرعية بدلا من مصطلحات نبتت في أوساط مضطربة، وصراعات، وجدل من أجل تثبيت الحق بأي أسلوب دون النظر إلى مراد الشارع؛ لأن الشارع لا يجبر أحدًا على الإيمان. يقول الله تعالى:(**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**)[1]. وقال الله تعالى: (**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**)[2] أما من أراد أن يلزم الأخر بالحق، أو الباطل فانه يستخدم أساليب، وألفاظًا غير محمودة، وربما تجاوز فيها حدود الشرع، ومن ذلك الألفاظ التي ابتدعها أهل الكلام في سبيل البحث عن الحق دون استخدام ألفاظ الكتاب، والسنة.

١- سورة يونس -٩٩.

٢- سورة هود٢٨.

نشأة العقيدة

إن الأصل الذي جاءت به الأنبياء، والرسل هو توحيد الله سبحانه وتعالى. قال الله تعالى:(**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**).[1]والإيمان بالرسل لمحاربة الشرك. حيث كان الناس على التوحيد الصحيح منذ بداية الخلق ثم حدث الشرك بالله في قوم سيدنا نوح عليه السلام حيث نصب الزعماء، والقادة بعض الصالحين آلهة من دون الله، والشيطان زين لهم تلك العبادة، ثم جاءت الرسل لتعديل سلوك هؤلاء الذين أشركوا بالله إلى الإيمان بالله، ورسله من أجل إقامة التوحيد والعبودية لله وفق ما يشرع الله سبحانه وتعالى على لسان رسله. يقول الله تعالى: (**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**)[2].

رفض المشركون توحيد الله، وإقامة العبادة وفق ما جاءت به الرسل منذ سيدنا نوح عليه السلام. وبقوا على شركهم بالله. يقول الله تعالى: (**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)**).[3]ويقول الله تعالى: (**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**). ويقول الله تعالى:(**قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**)[4]. وكذلك كفار قريش

١- سورة النحل٣٦.

٢- سورة الشورى-١٣.

٣- سورة نوح- ٢١-٢٢-٢٣.

٤- سور هود ٥٣-٦٢

رفض دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وصبروا على آلهتهم. قال الله تعالى: (**وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)**).[١] وكانت إجابات أصحاب الشرك على مر التاريخ إن وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم مقتدون. يقول الله تعالى:(**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ(٢٤)**)[٢]. وكذلك أصحاب المذاهب المبتدعة في الإسلام إنا وجدنا عقولنا، أو ذوقنا، أهدى سبيلًا في المعرفة، والوصول إلى الحق بدون الكتاب، والسنة، عندما يطلب منهم الرجوع، وتحكيم الكتاب، والسنة يرفضون مما يؤكد أن الشرك والعقيدة بينهما روابط مشتركة من حيث النشأة ومن حيث الحجج التي يؤيد بها كل مشرك، أو مبتدع، وصاحب عقيدة في حجته في ادعائه شركه، أو بدعته، أو اعتقاده، أو عقيدته من غير سبب واضح، وهذا ما نراه في دعوة الأنبياء عليهم السلام والدعاة حتى عصرنا هذا نجد صاحب العقيدة نشأ في بيئة التي تتعلق بتحكيم العقل، أو التي تتعلق بالأولياء، والأضرحة، من غير علم، أو هدى على ما هو عليه إلّا اتباع الظن، والآباء، وكذلك عملية التزيين لكل صاحب عقيدة، أو بدعة لأن الشيطان هو مصدر كل ما يبعد الإنسان عن صراط الله المستقيم كما توعد ذلك ربه.يقول الله تعالى: (**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)**)[٣].

١- سورة الفرقان- ٤١-٤٢.
٢- سورة الزخرف ٢٢-٢٣-٢٤.
٣- سورة الأعراف ١٦-١٧.

يستخدم هؤلاء القوم مبدأ إنا وجدنا آباءنا على أمة في مسائل الشرك ورفض التوحيد، ولا يستخدمونه في مسائل العلم، أو شغل الحياة ذلك لأن التفكير العاطفي يتوجه إلى العبادة التي وجد عليها الآباء؛ لأن الإنسان ينشأ عليها منذ طفولته فهي تتعلق بعاطفة الحب الذي ينشأ بين الآباء، والأبناء، بغض النظر عن الديانة التي يدين بها؛ لأن خطاب العاطفة ليس خطابًا لبناء معرفي بل خطاب تأثير، ويصبح المتلقي للخطاب العاطفي في حالة انفعال، وتأثر بما يثيره الآباء، والسادة عندما يتعرض هذا الشرك أو العقدة والعقيدة للتهديد. يقول الله تعالى: (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**).[1] وقال الله تعالى: (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** (٥) **وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ** (٦) **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ** (٧))[2]. ومن ثم ينشأ الصراع بين ما يعتقده القوم، وبالرسل الذين جاؤوا بالتوحيد، وبالإيمان. فأصبحت عبادة الأصنام والآلهة المزعومة وهي شرك بالله عقدة وعقيدة يدينون بها، ويدافعون عنها ويقاتلون في سبيلها، وهم يتوارثونها كابرًا عن كابر.

يشتد الشرك ويتصلب في القلب عندما يواجه خطرًا يهدد وجوده بظهور دعاة التوحيد، والإيمان، فيتحرك الزعماء والملأ في التصدي لدعوة التوحيد، والإيمان بشتى الطرق من تهديد بالسجن، أو بالطرد، أو بالقتل. ونجد هذه المراحل التي تمر بها العقيدة في المجتمعات الإسلامية على امتداد التاريخ الإسلامي نجد كثيرًا من العقائد التي خالفت منهج الإيمان- أهل السنة- تسير بنفس الخطوات التي تسير عليها عقائد الأولين، وهي أولًا الابتعاد عن منهج الأنبياء، ثم ظهور الشرك، ثم رفض توحيد الله سبحانه وتعالى.

أما خاتمة الرسالات التي بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بها

١- سورة الأنبياء ٦٨

٢- سورة ص -٥-٦-٧.

ليظهرها على الدين كله في قومه في مكة من أجل إقامة التوحيد على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام.يقول الله تعالى:(**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)[1]. التي حرفت وبدلت بواسطة الزعماء والسادة مما جعلهم ينشؤوا دينًا مبنيًا على الأوهام، والخرافات ويعبدون آلهة مزعومة. يقول الله تعالى:(**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**)[2]. وهي مسيطرة بسلطة الملأ والسادة. يقول الله تعالى:(**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** (٥) **وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ** (٦) **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ** (٧))[3]. حتى أصبح هذا الشرك عندهم عقيدة يدينون بها لرب العالمين ويظنون أنهم على ملة سيدنا إبراهيم. حتى بعث الله إليهم رسولًا من عند أنفسهم رفيعًا وشريفًا في نسبه صادقًا أمينًا في حياته فدعاهم إلى عبادة الله الأحد الذي لا شريك له في ألوهية ولا رب سواه خالق رازق مدبر لهذا الكون. يقول الله تعالى:(**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ** (٥٩) **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** (٦٠))[4].ولكن الملأ استنكروا ذلك بحجج واهية وهي تتشكل حسب شركهم الذي أحدثوه ومن ذلك أن لهم آلهة يدعونها من دون لله، وأخرون جعلوها تشفع عند الله، وآخرون جعلوها واسطة بينهم، وبين الله.يقول الله تعالى:(**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي**

١- سورةالأنعام-١٦١.
٢- سورة الفرقان-٣.
٣- سورة ص- ٥-٦-٧.
٤- سورة النمل ٥٩-٦٠.

مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)[1].وآخرون اتخذوا الملائكة شفعاء عند الله ومنهم من عبدها.يقول الله تعالى: **(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١))**[2]وآخرون أنكروا البعث.يقول الله تعالى:**(وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧))**[3]. فعندما أقيمت عليهم الحجة بالدليل والبرهان الساطع الذي لم يجدوا منه مفرًا غير اعتراضهم الذي أجج الصراع بين أنوار الحق، والهدى الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وبين مبدأ إنا وجدنا آباء على أمة، وهذا يعني تسفيها لعقول أبائهم، وأجدادهم الذين ماتوا على ذلك وكذلك تسفيها لعقولهم ممادفعهم ذلك إلى الانصراف عن هذا الحق واستخدام كل الوسائل المشروعة وغير مشروعة في صد هذه الدعوة الجديدة التي ستسحب منهم بساط السيادة، والزعامة مما دفعهم إلى تعذيب، واضطهاد من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد الصبر على هذه الدعوة أذن لهم بالهجرة إلى يثرب وأنشأ بها مجتمعًا إسلاميًا مبنيًا على رابطة الإيمان في المدينة. قال الله تعالى: **(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)**.[4]وفي المدينة واجه الرسول صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب من اليهود، وهم كذلك حرفوا دينهم وبدلوا وكانوا ينتظرون قدومه لكي يؤمن به. يقول الله تعالى: **(وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا**

١- سورة الزمر-٣.
٢- سورة سبإ٤٠-- ٤١.
٣- سورة الصافات-١٥-١٦-١٧.
٤- سورة الحشر- ٩.

الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).[1] ولكن عندما خرج من غير ما كانوا يتوقعون كفروا به، وأنكروا أن يكون هو رسول من عند الله مما جعلهم يقيمون على دينهم المحرف. ثم جاءه وفد نجران وبعد المحاورة معهم لم يؤمن به بعد أن أقام الحجة عليهم.يقول الله تعالى:(**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّه عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣)**)[2]. مما جعلهم يقيمون على عبادتهم التي أسسها لهم الأحبار والرهبان باتخذهم المسيح وأمه إلاهين من دون الله.يقول الله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّه قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**)[3]. ثم أعزه ونصره الله على أعدائه حتى أقام الدين وبلغ الرسالة وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاهالك ودخل الناس في دين الله أفواجًا وتحررت العقول من عبادة الأوثان وارتقت لعبادة الله سبحانه وتعالى، وتعلقت القلوب به حيث لا شريك معه من نبي ولا ملك ولا ولي.

وكان الصحابة من بعده على أثره في إقامة دين الله الذي ارتضاه لهم من غير تبديل ولا تحريف حتى بدأت الفتنة تدب في الأمة بعد استشهاد سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ثم استشهاد سيدنا عثمان بن

١- سورة البقرة- ١٠١.
٢- سورة آل عمران٥٩- ٦٠ ٦١-٦٢-٦٣.
٣- سورة المائدة١١٦

عفان- رضي الله عنه- حيث اتسع الإسلام، وسيطر المسلمون على كثير من أراضي دولتي الفرس والروم ودخل في الإسلام من ليس عن رغبة ولكن كيدًا في الإسلام أمثال عبدالله بن سبأ وحاولوا القضاء على الإسلام بالكيد والدسائس والمؤامرات.ثم انتشرت كتب اليونان في عصر الترجمة التي كانت بداية الفتنة في الخوض في ثوابت الدين من الإيمان والتوحيد والصفات والأسماء، والتي أدت إلى ظهور الفرق والمذاهب التي استخدمت العقل في مسائل الشرع والتي خالفت فيها الكتاب والسنة. ومن هنا كانت نشأة العقائد في الأمة الإسلامية عقيدة الخوارج- الشيعة- المعتزلة- الجهمية- المعطلة- القدرية- الأشاعرة- الماتريدية- الصوفية: وحدة الوجود- الحلول. ففي تلك المرحلة الزمنية بدأ الصراع الفكري يدور حول مسائل إيمانية مثل مسألة الصفات، والأسماء، والكلام، ومسألة خلق القرآن والرؤية والاستواء والقدر ومرتكب الكبيرة والإيمان قول وعمل يزيد وينقص وغيرها من مسائل الإيمان التي سلّم بها الصحابة ومن بعدهم التابعون. ومعظم الكتب التي ألفت في تلك الحقبة كانت تدور حول الإيمان والتوحيد والرد على أصحاب البدعة والزنادقة وأهل الكلام وفضل الصحابة. ومن خلال سرد الكتب التي ألفت في تلك المرحلة من تاريخ الإسلام نجد أنها تدور حول الإيمان والرد على المخالفين وأصحاب البدع في مسائله.

أصحاب هذه العقائد أولًا يبتعدون عن الكتاب والسنة كماحدث ذلك في أول فرقة خرجت عن المسلمين، وهي فرقة الخوارج حيث رفضوا الرجوع إلى الكتاب، والسنة، عندما ناقشهم سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- مما أدى إلى الابتعاد عن الكتاب والسنة، ومن ثم ابتعدوا عن جماعة المسلمين ثم بدأوا يناصبونهم العداء بل خالفوهم في كثير من المسائل الإيمانية المستقرة في الكتاب، والسنة ثم بدؤوا ينشؤون أفكارًا معادية لأهل السنة، ثم اعتقدوا أنها هي الحق، ومع مرور الزمن أصبحت هذه الأفكار

عقيدة يدينون بها، ويتمسكون بها بل يقاتلون من أجلها ثم ظهرت كثير من العقائد الذين أنشؤوا أقوالاً تخالف الكتاب والسنة فأصبحت عندهم عقيدة. يقول الله تعالى: (**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**) [1]. فالعقيدة لا تظهر إلا بعد أن يختفي، أو يضعف الإيمان بالله فإذا ابتعد الناس عن التوحيد والإيمان بالله يظهر الشرك بالآلهة المزعومة، التي يصنعها السادة، والكبراء لهم ويزينها الشيطان لهم، ويعتقدون أن هذه الآلهة تنفع، وتضر وتشفع لهم عند الله فيتمسكون بها من غير علم، ولا دليل.وكذلك تظهر الأفكار الهدامة المنحرفة عن الكتاب والسنة، والتي يظن أصحابها أنها الحق المبين.

إذاً العقيدة تنشأ عند الإنسان من غيرعلم، أو دليل يستند عليه في عقيدته بل يجد الآباء، والعشيرة يسيرون في عقيدتهم التي يعتقدونها، وهو يسير عليها من غير هدى، أو نور. قال الله تعالى: (**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)**)[2]. وهذه العقيدة تبدأ من شخص برع في حادثة معينة، أو كان زعيمًا، أو قائدًا، ثم يضع لهم عقيدة يعتقدونها، ويدينون بها فعقيدة المعتزلة بدأها عطاء بن وائل، ثم بعد ذلك أسسوا الأصول الخمسة. والأشاعرة أبو الحسن الأشعري، والشيعة عبد الله بن سبأ وغيرها من العقائد المنتشرة في العالم الإسلامي في القديم والحديث نجدها لا تخرج من هذا التسلسل. أما الإيمان فهو نابع من كتاب محكم من الحكيم العليم يعتمد على العلم. يقول الله تعالى:(**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**

١- سورة الحديد-١٦.

٢- سورة غافر- ٤١-٤٢-٤٣.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)[1]. في مسائله المهمة، وهناك اختلاف في إيمان المقلد، وإن كان أقرب إلى السلامة في تقليده من صاحب العقيدة. قال أبو منصور السمرقندي: إن الإيمان بالتقليد صحيح، وإن لم يهتد إلى الإسلام، خلافًا للمعتزلة والأشعرية، فإنهما لا يصحّحان الإيمان بالتقليد، ويقولون بكفر العامة، وهذا قبيح، لأنه يؤدي إلى تفويت حكمة الله تعالى في الرسالة والنبوة، لأن من أعطى الرسالة والنبوة أمر أولًا بعرض الإسلام على الكفرة، فلو كان الإسلام لا يصح بالعرض والتقليد لفاتت الحكمة في الرسالة.[2]

١- سورة محمد ١٩.

٢- عبد الكريم نوفان عبيدات- الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية-دار النفائس -بيوت لبنان- الطبعة الأولى-٢٠٠٠-ص ١٤٩

ظهور مصطلح العقيدة

هناك أسباب تؤدي إلى ظهور المصطلح فعندما يظهر هذا المصطلح فإن العلماء (أهل الاصطلاح) يضعون له تعريفًا واضحًا جامعًا مانعًا؛ بحيث يشمل الأجزاء التي يتناولها ولا يسمح لغيرها بأن يدخل فيها بحيث لا يكون مضللاً. والمصطلحات تدل دلالة واضحة على أصالة العلم وتاريخه وأسباب نشأته. وهي غالبًاما تكون مرتبطة بهذه النشأة ارتباطًا وثيقًا لما لها من الدلالة عليه خذ مصطلح الاعتزال، فعندما قال حسن البصري: اعتزلنا واصل؛ بسب اختلافه مع الحسن البصري في مسألة مرتكب الكبيرة أدى إلى ظهور مصطلح الاعتزال (تلازم العلاقة بين اللغة ومسمى المصطلح). يقول الشيخ بكر أبو زيد: «إن تاريخ العلوم تاريخ لمصطلحاتها، وإنه لا حياة لعلم بدونها، وعلمية الاصطلاح في العلوم كعلمية الاسم على المولود في إيضاح المقصود، وتحديد المفهوم. وقد عُلم أن مصطلحات كل علم توجد معه أو بعده بالضرورة، فيسعى العلماء حين وجود الشيئ إلى تسميته فتتم على أساس من العلاقة بين اللغة والاصطلاح.[1] ومصطلح العقيدة أول ما ظهر كان عبارة عن اسم لكتاب ثم توالت الكتب التي تحمل مسمى العقيدة، حتى استقر تعريفه في القرن الخامس عشر.

وأهل الاصطلاح هم الذين أنشؤوا ذلك العلم ووضعوا قواعد وضوابطه وتواضعوا على أسماء لإفراده وتموا بناء علمهم فلم يبق لمن جاء بعدهم إلا تلقي هذا العلم عنهم وأخذ معاني مصطلحاته عنه ليفهم علمهم ويعي قولهم. فإذا أقبل الذي جاء بعدهم على علمهم بالتبديل وتغيير مدلولات المصطلحات لا مع إعلان تلك المعاني الجديدة من عند نفسه وإنها اصطلاح خاص به بل على أنها اصطلاح أهل الاصطلاح فهل سيكون لنا طريق إلى فهم ذلك العلم باعتماد كلام ذلك المبدل المغير. والسبيل إلى فهم

١- سعد عبد الله وحسن سليمان حلس- المصطلح الإسلامي في مواجهة المصطلحات الغازية بحث مقدم لمؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة- المنعقد في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية- ٢٠٠٧ ص ٢١٢.

اصطلاح أهل الاصطلاح هو الاستقراء التام لإطلاقات أهل الاصطلاح ثم نضيف هذه الإطلاقات كل إطلاق منها على حدة، ثم عقد الموازنات بين كل إطلاق والمسائل والصور الجزئية التي أطلقها عليها بغرض معرفة الصفة الجامعة (القاسم المشترك) بين تلك الصور لنعرف السبب الذي جعل أهل الاصطلاح يخصون تلك المسائل والصور بذلك الإطلاق المعين. مع الاحتمال البالغ للمعنى اللغوي الأصلي لذلك الإطلاق وملاحظة علاقة المعنى اللغوي الأصلي للمعنى الاصطلاحي الحادث، لا غضاضة أن وجد مسائل جزئية غير داخلة في مصطلح أهل الاصطلاح وتجمعها صفة واحدة أن يختار لها اسمًا لمعناه اللغوي علاقة بتلك الصفة الجامعة. لكن مع إيضاح أن ذلك الاسم ليس من مصطلحات أهل الاصطلاح حتى لا يظن في يوم من الأيام أنه من مصطلحاتهم فإذا ما ورد ذلك الاسم نفسه بعد ذلك في كلام أهل الاصطلاح بمعناه اللغوي حمله من لا يعلم على المعنى المستنبط من تلك الصفة الجامعة.[١]

نأخذ مثالاً لذلك مصطلح علم الحديث بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى الرفيق الأعلى كانت لبعض الصحابة صحف مدونة عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن بعد ظهور الفرق والمذاهب التي خرجت على جماعة المسلمين من الخوارج والشيعة والمعتزلة وبدأت كل فرقة تؤيد مذهبها من خلال اختلاق الأحاديث الموضوعة والمكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم ظهر علم الحديث الذي ضبطه علماء الحديث وجعلوا له تعريفًا واضحًا جامعًا لهذا العلم مانعا لغيره إن يدخل فيه.إذًا هنالك أسباب أدت إلى ظهور هذا العلم، وكذلك تخصص العلماء في هذا العلم فأصبح له علماء يعرفون صحيحه من سقيمه ووضعت له الشروط والضوابط.

ففي هذا العصر-أتباع التابعين يقل أن تجد مصطلحًا من مصطلحات

١- - الشريف حاتم بن عارف العديل، المنهج المقترح لفهم المصطلح، دار الهجرة والنشر، السعودية الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م. ، ١٦٧ - ١٧٩ بتصرف.

الحديث إلا وقد تداوله العلماء من أهل هذا العصر ودار على ألسنتهم والتعبير عن أحوال الرواية المختلفة وعن مراتب الرواة قبولًا وردا فتكلموا مثلًا عن الصحيح والضعيف والمرفوع والموقوف والمرسل والمنقطع وغيرها بل بلغ الأمر درجة التقعيد والتنظير وذلك في أواخر هذا العصر على يد الإمام الشافعي بما سطره في كتابه العظيم الرسالة من قواعد علوم الحديث لذلك فقد كان هذا العصر بما وقع فيه من تطور عظيم في علوم الحديث ومصطلحه إرهاصا واضحا للعصر الذي تلاه وهو العصر الذهبي للسنة وقاعدة راسخة أمكن عليها أن يتسق بناء هذا العلم بعد ذلك.[1]

وفي نفس الوقت ظهر مصطلح أهل السنة والجماعة وخاصة في مواجهة أهل البدع فكذلك أصبح مصطلح أهل السنة والجماعة له مدلوله وتعريفه الجامع المانع حيث أصبحت هناك جماعة تتمايز عن غيرها في إتباع السنة.

أما مصطلح العقيدة وهو من أكثر المصطلحات المتداولة بين المسلمين عامة وخاصة فإذا تتبعنا هذا المصطلح من حيث ظهوره سنرى أنه عبارة عن كلمة تطلق على الاعتقاد تحت أبواب كتب الإيمان، ثم ظهرت كتب تحمل مسمى الاعتقاد. لم تظهر كلمة العقيدة إلا في كتاب يحمل مسمى العقيدة الطحاوية. ولكن لم يكن هناك تعريف اصطلاحي لكلمة الاعتقاد والعقيدة مع وجود مؤلفات عنهما ولم يذكر الأسباب التي أدت لظهورهما كعلم أو مصطلح له علماء يتميزون به عن غيرهم كما في مصطلح الحديث فهذا له علماء معرفون فإذا ذكروا توجه العقل والفكر إلى علم الحديث.

أما كلمة الاعتقاد (ضمن مسائل الإيمان: التحكيم- التكفير- المنزلة بين المنزلتين – الأسماء والصفات والقدر وخلق القرآن وغيرها) فنشأت في عصر الصراع الفكري بين أهل السنة والمتكلمين من خلال كتب أهل السنة منذ ظهور الفرق التي خرجت عن جماعة المسلمين ثم سار على نهجهم

١- المرجع السابق- ص ٤٩

الطحاوي مع تغيير الاسم الذي لم يسبقه أحد إليه ألا وهو العقيدة (قد يكون لهذه الكلمة معنى معين قصده الطحاوي أو مراد خاص) مع أنه لم يأت بشيء جديد في مسائل الصراع التي كانت دائرة بين أهل السنة والمتكلمين حيث أوضح الطحاوي مذهبه(كلمة مذهب أكثر العبارات تداولاً بين السلف من كلمة اعتقاد وعقيدة) في مسائل الإيمان التي أقرها الإمام أبو حنيفة في كتابه الفقه الأكبر كما بين ذلك الطحاوي في مقدمة كتابه مع بعض الزيادة في بعض المسائل التي يقر بها أهل السنة. ثم مالبث أن ظهر كتاب آخر يسير على نفس المنوال فيما قرره أهل السنة في مسائل الإيمان التي خالفوا فيها الفرق الأخرى وهو كتاب عقيدة المسلم للصابوني، ثم الغزالي، ثم ظهر كتاب العقيدة الواسطية لابن تيمية، وكذلك سار على نفس كتاب العقيدة الطحاوية حيث عالج مسائل الإيمان التي اختلف فيها السلف مع الفرق الأخرى، وبعده توقف التأليف في العقيدة، حتى جاءت القرون المتأخرة وهي لا تحمل معها أي صراع حول تلك المسائل، إنما كان الصراع حول مسائل شركية مع الصوفية أصحاب القبور والأضرحة والنذور وغيرها من الشركيات التي كانت وماتزال منتشرة في العالم الإسلامي، ومن أشهر الكتب التي تناولت تلك المسائل وكان لصاحبها الأثر الأكبر في تغيير العالم الإسلامي كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

«الشعلة الأولى لليقظة الإسلامية الحديثة في العالم الإسلامي كله»، هكذا صرح بعض المستشرقين، والخير ما شهدت به الأعداء. حقًا؛ إنها الشعلة الحديثة للصحوة الإسلامية ولليقظة الواعية التي تنتهج منهج السلف الصالح وهذا الإتباع أو التمسك بمنهج الرعيل الأول هو سر البركة، ولذلك تجد آثارها ظاهرة اليوم في جميع قارات العالم تقريباً، وبصفة خاصة في القارة الإفريقية، التي انتشرت فيها المدارس السلفية بشكل يلفت النظر، وقد فتحت لها فيها آفاقًا واسعة، فتلك المدارس المنتشرة هنا وهناك تدرس

المنهج المتبع في السعودية نفسه، وهو المنهج السلفي الذي سبق أن تحدثنا عنه، وكذلك الحال في بعض ولايات الهند وفي باكستان مدارس وبعض الجامعات الأهلية تدرس المنهج نفسه في المواد الدينية. وقد كثر في العالم المعاصر من يتهجون المنهج السلفي، ومؤمنين به، وداعيين إليه، يعرفون في القارة الهندية بـ«السلفيين»، وبـ«أهل الحديث»، وفي بعض الدول العربية وغيرها يعرفون بـ«أنصار السنة المحمدية»؛ كمصر، والسودان، والصومال، وتايلاند، ويعرفون في الشام بـ«السلفيين»، وكلهم ينادون بالعودة إلى الإسلام عقيدة وأحكاماً بمفهومه الصحيح، وأن يهجر علم الكلام الذي حال بين الناس وبين فهم العقيدة الصحيحة التي كان عليها الرعيل الأول، ويستبعد من المنهج الدراسي في جميع المراحل، ويستبدل به المنهج السلفي الذي مصدره كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.١

فكان السبب الذي جعلهم يعرّفون كلمة العقيدة بالإيمان الموضوعات التي كانت تتناولها تلك الكتب خاصة كتاب ابن تيمية الذي تناول أركان الإيمان، لذا أدى إلى تغير المعاني مما جعلهم يخوضون في تعريف العقيدة كمصطلح له معنى مستنبط من كتاب الطحاوي، وابن تيمية ثم توسعوا في معناه بحيث أصبح له من المعاني التي لا تحصى ولاتعد من غير سند شرعي، أو علمي من الكتاب والسنة مما أدى إلى تشويه حقيقة العقيدة، واضطراب معناها وجعلها تستحوذ على حقائق الشرع فيما بعد. وجعلوا لها منزلة عالية تتقطع دونها أعناق الرجال بأن ينالوها بسوء. وأدى هذا بدوره إلى إغفال الحقائق الشرعية من الإيمان والتوحيد، مما دفعهم إلى أن جعلوهاعلمًا له سندمن الكتاب والسنة مما أدى إلى اضطراب في المفاهيم الأساسية عن الإيمان والتوحيد الذي جعلوه ركنًا من أركانها. أزاحوا ألفاظًا شرعية بلفظة مبتدعة لكي نجني السراب من هذا المصطلح، وأضاعوا حقائق الشرع من الإيمان والتوحيد.

١- .محمد أمان بن علي الجامي- العقيدة الإسلامية وتاريخها- دار المنهاج- مصر بدون طبعة-٢٠٠٤-ص ١٤٦

كلمة الإيمان وما يتعلق بها من تلقي الأوامر الربانية للمؤمنين: يآيها الذين آمنوا هي لفظة شرعية تنزل بها الوحي. يقول الله تعالى:(**الْيَوْمَ أُحلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ حلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ منَ الْمُؤْمنَات وَالْمُحْصَنَاتُ منَ الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ منْ قَبْلكُمْ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصنينَ غَيْرَ مُسَافحينَ وَلَا مُتَّخذي أَخْدَان وَمَنْ يَكْفُرْ بالْإيمَان فَقَدْ حَبطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآَخرَة منَ الْخَاسرينَ**)[1]. ومن خلالها سيتم مخاطبة المؤمنين بها وكيفية التعامل مع الكفار والمشركين وهي نقطة فاصلة بينهما. وكلما نزلت آيات الوحي عليهم يزداد إيمان الصحابة ويستبشرون. يقول الله تعالى:(**وَإذَا مَا أُنْزلَتْ سُورَةٌ فَمنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذه إيمَانًا فَأَمَّا الَّذينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشرُونَ**).[2].وجاء بها جبريل عليه السلام ليعلمها الأمة في الحديث المشهور.

إذا تأملنا النشأة الطبيعية للعلوم نجد أن أول ما يولد عادة من العلم هو المفهوم (المعنى العلمي البسيط، فيشكل المصطلح في مرحلته الأولى وعلى سبيل المثال عندما يلزم سيدنا عمر أبا موسى رضي الله عنهما- أن يأتيه بشاهد على حديث الاستئذان فإنه يمارس مفهومًا علميًا من مفاهيم علم الحديث. ذلك المفهوم تبلور بعد في إطار علوم الحديث من خلال أشكال مصطلحية منها مصطلحات (التثبت) الذي أطلق على هذه العملية والثبت الذي أطلق على الضابط لروايته تحملا وأداء. وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن المصطلح يمر بمراحل ثلاثة تبدأ بمرحلة استقرار المصطلح وهذه المرحلة تتبلور بعد مرورها بخطوات ثلاث يتداخل بعضها مع بعض فيما يلي:

١/ تدعو الحاجة العلمية لوجود المفهوم.

٢/ ثم يتردد ويتداول بلفظ أوعدة ألفاظ.

١- سورة المائدة-٥.

٢- سورة التوبة -١٢٤.

٣/ وأخيراً يستقر في مصطلح ما فيسجل بذلك أول بداية العلم.[١]

مصطلح العقيدة لم يكن له من الأسباب المنطقية والتاريخية التي أدت إلى ظهوره كعلم يعالج قضايا معينة وليس له أي مدلول داخل السياق الذي وجد فيه وهو عنوان لكتب، وبالتالي لم يكن له تعريف اصطلاحي. وليس هناك دواع علمية، أو شرعية للمتأخرين في استخدامها كمصطلح يحتل تلك المنزلة العظيمة عندهم. بل الإيمان هو الأصل الذي يدور الصراع حوله بين المؤمنين، والكفار، والمشركين، وأصحاب الفكر المنحرف.

وسنلاحظ أن حقيقة الإيمان اختفت عند العلماء المتأخرين فأصبح مصطلح العقيدة هو المسيطر عليهم وهذا خلاف ما كان عليه الصحابة والقرون المفضلة الذين كانوا يستخدمون الإيمان في خطابهم ومصنفاتهم لأن الإيمان حقيقة شرعية يقابلها الكفر فالرؤية واضحة في الإيمان والكفر منذ بداية الدعوة الإسلامية .

عندما أصاب الأمة الضعف والوهن وبدأنا نستورد المصطلحات الغربية أدى هذا إلى ردة فعل من المصلحين إلى العودة إلى التراث خاصة في أمور الدين. ولقد شاعت كثير من المصطلحات في أوائل القرن العشرين، لكن لمَّا اتجه العلماء إلى تنقيب التراث وتجلية المصطلحات؛ رأينا مصطلحات شرعية حلَّت محل تلك المصطلحات: فمثلاً كانت مصطلحات نحو: (اشتراكية الإسلام) فتغيَّرت إلى (عدالة الإسلام)، و(الأيديولوجية الإسلامية) فرجعت إلى أصلها من (العقيدة الإسلامية) أو (المذهبية الإسلامية)، و(المناضل) و(الرفيق)، عادت إلى الأصل من مصطلح (المجاهد) بدلاً عن المناضل[٢].

عندما بدأت الصحوة الإسلامية في الدول الإسلامية وقامت الحركات الإسلامية، وخاصة الحركة الإصلاحية التي قام بها محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية وبدأت الدعوة السلفية على يده تنتشر حتى تكونت

١- –القرشي أحمد البشير- مصدر سابق- ص١٦٥

٢- . القرشي أحمد البشير مصدر سابق- ص١٠٧

الدولة السعودية، وبدأت الدعوة السلفية تنتشر في الدول الإسلامية وبدؤوا العكوف على كتب أهل السنة ومن أشهر الكتب التي نالت الشروح هي كتب ابن تيمية حيث يمثل مدرسة قائمة بذاتها أخذت شعار العودة إلى الكتاب والسنة. وبما أن الدعوة السلفية كانت تعادي أهل البدع والمتكلمين، فبدأت بكتب ابن تيمية الذي كانت له صولات وجولات معهم ومن أهم تلك الكتب كتاب العقيدة الواسطية التي نالت الحظ الأوفر من الشروح، وكذلك كتاب العقيدة الطحاوية للطحاوي.لأن أهم ما تناولته أركان الإيمان الستة، والأسماء، والصفات، والتوحيد. ومع كثرة تداول لفظة العقيدة تطورت إلى مصطلح خاص يحمل مدلولات الإيمان بناءً على موضوعات كتب العقيدة، ثم بنوا عليه شرائع الدين كله، ثم اسند بعضهم كل مصنفات السلف الصالح منذ بداية التأليف إلى هذا المصطلح. ومع مرور الزمن أصبح لفظ العقيدة مع كثرة التأليف من أكثر الكلمات التي تدور بين أهل السنة في مواجهة أهل البدع من أجل تصحيح تلك العبادات الشركية التي يمارسها بعض الصوفية التي كانت تنتشر فيها الدعاء، والذبح، والتوسل بالصالحين، والتبرك بهم.

استقرت كلمة العقيدة عند المتأخرين. وأصبحت هي المسيطرة لديهم ثم جعلوها مصطلحًا له تعريفات عديدة. هذه التعريفات كما سنرى ليس لها اتفاق في المعنى الاصطلاحي وذلك لعدم وجود رؤية واضحة أدت إلى ظهوره كعلم يعالج قضايا معينة، مما أدى إلى أن يعرف كل عالم العقيدة كما يرى وليس بناءً على ما سبق في هذا المصطلح كما هو متعارف عليه في علم المصطلح.

وعندما بدأ التأليف في العقيدة لم تكن موضوعاتها واضحة المعالم سوى التحدث عن أركان الايمان والأسماء والصفات والسنة والتوحيد بنفس الطريقة التي كان يناقش بها السلف أصحاب الفرق والمذاهب التي خرجت عن جماعة المسلمين، ثم ذهب البعض الأخر إلى البحث عن عقيدة السلف

ابتداء من الأئمة الأربعة كما بينها الطحاوي في عقيدته على مذهب الإمام أبي حنيفة وانتشرت تلك الكتب التي شملت بعض العلماء المعاصرين فتقرأ عقيدة محمد بن عبدالوهاب وعقيدة محمد رشيد رضا وغيرهم من العلماء في تبرئة عقيدتهم من أهل الكلام، والأشاعرة، والماتريدية، بل تجد العقيدة في الله. ثم انتقلت تلك الدراسة إلى الرسائل العلمية في الجامعات التي تمنح درجات علمية في علم العقيدة الذي تحول من مصطلح العقيدة إلى علم العقيدة. ثم أنشئت أقسام داخل الكليات تحمل اسم العقيدة حيث الألقاب العلمية في العقيدة (أستاذ مساعد ومشارك وأستاذ في العقيدة). ولا تجد دراسة، ولا كتابًا، ولا حديثًا يتكلم عن الإيمان، والتوحيد إلا قليلًا إذ أصبح الإيمان والتوحيد ركنين من أركان العقيدة الإسلامية، أو تابعين لها. هذا مما دفعهم إلى تعريف لفظة العقيدة فلم يجدوا لها تعريفًا في مؤلفات السلف لا لغة ولا اصطلاحًا؛ التي تتحدث عنها مما دفعهم إلى تعريف العقيدة من خلال اجتهادات فردية ليس مبنية على أصول علم المصطلح إنما مبنية على اللغة فقط حيث بحثوا عنها فلم يجدوها، فبحثوا عن جذرها الذي كان عمدتهم في أصلها من حيث اللغة، العقيدة أصلها من العقد. مما أدى إلى تعريفها اصطلاحًا بتلك التعريفات الكثيرة التي ليس بينها أي ترابط وذلك لعدم وجود أسباب واضحة دعت إليها الحاجة مما جعلهم يستدلون بآيات القرآن في عملية البحث مما أدى إلى هذا الاضطراب، والتخبط. مع ذلك فهي تتشكل وفق رأي من يريد أن يعرفها من غير سند علمي، أوشرعي يحول بينه وبين التخبط في حمل آيات الله ما لا تتحمل.

نظرت في المطبوع من كتب العقيدة التي بين أيدينا وطفقت أبحث عن مسائل العقيدة التي لم يذكرها شيخ الإسلام في الواسطية فوجدتها لا تزيد عن تسع مسائل ذكرها أبوجعفر الطحاوي رحمه الله في متنه المشهور، أو ذكرها شارحه ابن العز الحنفي وهي كالآتي: الجماعة والفرقة-الموالاة

والمعادة- والحكم بغير ما أنزل الله- عدم الخروج على الإئمة- الميثاق- الإسراء والمعراج- أشراط الساعة- والجنة والنار- ذم الكلام ووجوب التسليم لنصوص الكتاب والسنة. ولم أذكر في هذا المحلق المسائل المتعلقة بالتوحيد وأقسامه والشرك وأنواعه لأن هذه المسائل مظانها كتب التوحيد وشروحها وبذكرها يتضاعف الكتاب عن أصله فيُعلم.[1]

إذًا العقيدة هي مسائل مبثوثة في كتب العقيدة، وإن مسائل التوحيد ليس من مسائلها. وبما أن أغلب مسائل العقيدة من الأصول وغالب المسائل العملية من الفروع، فقد اصطلح على تسمية العقيدة (أصول الدين) وعلى تسمية الأحكام العملية (بالفروع) ولهذا اسمى بعض العلماء مؤلفاتهم في العقيدة باسم (أصول الدين) مثل الإبانة عن أصول الدين لأبي حسن الأشعري.[2]

لاحظ المؤلفات في العقيدة سموها باسم أصول الدين، ثم تجدها ضمن مسائل العقيدة، ثم هي من أسماء العقيدة. والآن تأمل لفظة الاعتقاد، والعقيدة وتلك المسائل التي أوردوها في مصنفات السلف التي تتحدث عن التوحيد والشرك وأصول الدين. لترى مدى الفجوة الكبيرة بين مسائلها ومصنفات السلف التي حاولوا أن يخضعوها لمسائلها.

١- . . محمد خليل هراس -العقيدة الواسطية -تعليق محمد بن صالح العثيمين- الدرر السنية- السعودية- الطبعة الخامسة- ٢٠٠٥- ص٣٠٠

٢- عبدالله بن عبدالعزيز بن جبرين ، تسهيل العقيدة الاسلامية-دار الصميعي- السعودية- بدون طبعة وتاريخ-ص٣.

مصنفات العقيدة

بدأ التأليف في مسائل الإيمان- الذي أصبح مسماه الاعتقاد بعد الاختلاف الذي حدث في الأمة في مسائل الإيمان، وهو من الأكثر الألفاظ استخدامًا من العقيدة، ثم أصبحت العقيدة الأكثر استخدامًا عند المتأخرين، حيث استبعد الإيمان من تلك الصراعات بين الفرق والمذاهب ليدور الصراع حول الاعتقاد والعقيدة والمعتقد، حتى ينتهي الخلاف بينهم ليعودوا إلى حقائق الإيمان ليواجهوا الكفر والشرك، هذه هي القضية الجوهرية في حياة كل مؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم. بعد ما انتشرت أقوال، وعبارات الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة كما هو موضح في الجدول. نجد عبارات الفرق مختلفة مما أدى إلى تلك المؤلفات المتنوعة من السلف في تلك المسائل التي يثيرها المخالفون لأهل السنة. وسنقف على بدايات هذه المقولات التي أطلقها المخالفون والتي كانت بداية نشأت تلك الفرق، ومن ثم بنت عقيدتها على تلك الأقوال متجاوزة حقائق الإيمان.

أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين ونشأت المعتزلة: أول من أعلن القول بالمنزلة بين المنزلتين واصل بن عطاء(ت ١٢١هـ) و عمرو بن عبيد (ت ١٤١هـ) وذلك حين ظهرت مقولة الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة والقول بتخليده في النار إذا مات مصرًا على كبيرته ثم كثر لغط أهل الأهواء في هذه المسألة.

أول من أظهر التشبيه والقول بالحلول والتناسخ بيان بن سمعان الشيعي سنة(١٩١هـ) تقريبًا.

أما أول من أطلق الجسمية وزعم أن الله- تعالى-جسم هو هشام بن الحكم(الرافضي)

ظهور بدعة تعطيل الأسماء و الصفات(نفي الخلة والتكليم) ونشأة الجهمية. أول من نفى الخلة والمحبة والتكليم (أي كلام الله- تعالى) الجعد بن درهم.

ظهور بدعة القول بخلق القرآن: أول من أعلن بدعة القول بخلق القرآن الجعد ثم الجهم على الراجح (١٢٨هـ).

أول من قال بالجبر (في القدر) الجهم بن صفوان المقتول سنة(١٢٨هـ) ونشأة الجبرية الغالية.

أول من نفى أسماء الله وصفاته الجهمية.

أول من خاض في علم الكلام من المنتسبين للسلف والسنة ابن كلاب(ت ٢٤١هـ)

أول من تكلم بأحوال الصوفية ومقامات الولاية ذو النون المصري(الصوفي) (ت ٢٤٥هـ).[١]

وبناءً على تلك المقولات التي تصدر من المخالفين لأهل السنة، والجماعة يرد عليهم أهل السنة في تلك المسائل التي يثيرونها. لذا لم ترد في تصانيف السلف لفظة الاعتقاد، والعقيدة.لأنها ليست لها علاقة من حيث المعنى ومن حيث العلم الذي تبحث عنه في تلك المسائل كما سنرى مؤلفاتهم التي ألفوها والتي نسبها المتأخرون إلى علم الاعتقاد، والعقيدة. أما الكتب التي تحمل مسمى العقيدة فكانت البداية في القرن الرابع ثم كانت متباعدة إلى ابن تيمية، وهي تتحدث في مسائل إيمانية محددة. وإن المتأخرين هم الذي أجمعوا على تعريف العقيدة، مع أنه لم تكن عند السلف بالتعريف الموجود الآن إلا في أذهان الذين عرفوا لنا كتب السلف. لذا كان التطرف في عملية البحث مما عمّق تأصيل مصطلح العقيدة لديهم وأصبح التحدث عنه بأنه ليس له أصل لا في الكتاب ولا في السنة أمر محفوف بالمخاطر لأن الكل سيعترض عليك في البحث عن حقيقته.

سنعرض بعض مصنفات السلف من بداية التأليف في مسائل الاعتقاد والعقيدة حسب زعمهم. سنورد نماذج لبعض الكتب (لاحظ كتاب العقيدة

١- ناصر بن عبد الكريم العقل- مصدر سابق-ص١٢٩.

الطحاوية الذي كان بداية بدعة المصطلح عند المتأخرين) وسنبدأ حصر هذه المصنفات بالتالي:

لقد كان أولى المصنفات والرسائل في مسائل الاعتقاد هي للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وقد كثرت وتنوعت ما بين رسائل شاملة ورسائل تحث على التمسك بالسنة ورسائل في بعض أبواب الاعتقاد كالإيمان والقدر وغيرها من المسائل، وسنلحق المسائل المتفرعة عن المسائل العامة بالمسائل العامة فمثلاً نلحق رسائله التي فيها الحث التمسك بالسنة نوردها ضمن هذا المبحث وهي الرسائل الشاملة.[1]

مصنف في أبواب الاعتقاد×

اسم الكتاب والمصنف	تاريخ الوفاة بالهجري
رسالة في التوحيد لابن عباس	٦٨
رسالة أبي الزناد عبد الله بن ذكران في أمر الاعتقاد	١٣٠
أصول الدين ومسائل السنة للشافعي	٢٠٤
السنة والجماعة وذم الهوى للواقدي	٢٠٧
كتاب السنة لأسد بن موسى	٢١٢

الكتب المصنفة على الأبواب×

اسم الكتاب والمصنف	تاريخ الوفاة بالهجري
رسالة في القدر لعمر بن الخطاب أرسلها إلى أبي موسى الأشعري	٢٣
ما كتبه سعيد بن جبير في الإيمان إلى عبد الملك بن مروان	٩٥
رسالة للضحاك بن مزاحم في الإيمان	١٠٢
رسالة في ذم الرافضة للشعبي موجهة لمالك بن مغول	١٠٤
رسالة في القدر للأوزاعي إلى صالح بن بكر	١٥٧

١- ناصر بن يحيى الحنيني- منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة-مركز الفكر المعاصر- السعودية- الطبعة الأولى- ١٤٣١هـ- ص-١٠٤٦-١٠٩١-

المصنفات في الرد على أهل البدع× [1]

اسم الكتاب والمصنف	تاريخ الوفاة بالهجري
الرد على القدرية للحسن بن محمد ابن الحنفية	٩٩
الرد على الرافضة لجعفر الصادق	١٤٨
الرد على الخوارج لجعفر الصادق	١٤٨
الرد على أهل الأهواء للشافعي	٢٠٤
الرد على الملحدين في تشابه القرآن لمحمد بن المستنير أبو علي المعروف بقطرب النحوي اللغوي	٢٠٦

جدول بالمصنفات في مسائل معينة×

ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى بعض الأجناد في أمر الرؤية	١٠١
كتاب الاخلاص للحسن البصري	١١٠
رسالة في الإيمان والتكفير من قال بخلق القرآن لأبي حنيفة	١٥٠
كتاب الرد لابن وهب	١٩٧
كتاب الشفاعة لإسماعيل الجهضمي	٢٠٢

المؤلفات الشاملة لمسائل العقيدة الإسلامية×

صريح السنة محمد بن جرير الطبري	٣١٠
كتاب السنة أحمد بن محمد بن هارون الخلال	٣١١
العقيدة الطحاوية أحمد بن جعفر الطحاوي	٣٢١
الإبانة في أصول الديانة علي بن إسماعيل بن أبي بشر	٣٣٠
أصل السنة واعتقاد الدين عبد الرحمن بن محمد الرازي	٣٢٧

المؤلفات في باب معين من أبواب العقيدة، أو مسألة من مسائلها×

كتاب القدر جعفر بن محمد الفريابي	٣٠١
التوحيدو إثبات صفات الرب عز وجل محمد بن إسحاق بن خزيمة	٣١١
تقسير أسماء الله الحسنى إبراهيم بن السري بن سهل البغدادي	٣١١
كتاب البعث أبو بكر ابن أبي داؤد السجستاني	٣١٦
كتاب الرؤية أبو الحسن الدارقطني	٣٨٥

١- -ناصر بن يحيى الحنيني المصدر السابق- ص-١٠٤٦-١١٢٢-١١٦٣-١١٤٥

المؤلفات في التحذير من البدع أو الرد على المبتدعة١ ×

مقالات الإسلاميين أبو الحسن الأشعري	٣٢٤
الردعلى من يقول: إن القرآن مخلوق أحمد بن الحسن بن إسرائيل البغدادي الحنبلي	٣٤٨
التنبيه والردعلى أهل الأهواء والبدع محمد بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الحسين الملطي الشافعي المقرئ	٣٧٧
الرد على الجهمية أبو عبد الله بن منده	٣٩٥
الإمامة والرد على الرافضة أبو النعيم الأصفهاني	٤٣٠

وقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله، عند ترجمته لأئمة السنة النبوية، أسماء مصنفاتهم الخاصة بمسائل الاعتقاد في كتابه «سير أعلام النبلاء»، وسوف أقوم بسردها مرتبة، حسب ورودها في «السير»، مع نسبتها لأصحابها وهذا أوان الشروع في سردها:

١. الإمام مالك بن أنس (ت : ١٧٩هـ)، قال الذهبي : «له رسالة في القدر، كتبها إلى ابن وهب، وإسنادها صحيح»
٢. الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ذكر له من الكتب:الإيمان– نفي التشبيه–الإمامة الرد على الزنادقة– فضل الصحابة.
٣. الإمام أبو مروان عبد الملك بن حبيب المالكي (ت ٢٣٨هـ) وله كتاب في فضائل الصحابة
٤. الإمام محمد بن أحمد بن حفص الزبرقان (ت٢٦٤هـ) وله كتاب الرد على اللفظية وكتاب الأهواء والاختلاف
٥. الإمام ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) وله من الكتب: الرد على من يقول بخلق القرآن والردعلى الجهمية.[٢]

أولًا: ما نلاحظ في هذه المصنفات المفارقة بين تعريف مصطلح العقيدة

١- –يوسف بن علي الطريف– تدوين علم العقيدة – دار خزيمة – السعودية – الطبعة الأولى–٢٠٠٩ –ص ١٠٩– –٢١٧– ٣٠٧.

٢- .جمال بن أحمد بن بشيرباي – الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتفاد من كتاب سير أعلام النبلاء للامام الذهبي المجلد الاول – دار الوطن السعودية بدون طبعة رسالة دكتوراة ص٣١ – ٣٣

بالإيمان وأركانه الستة. والتعريفات الأخرى التي تعرفها بالنظرة الكلية للكون والمصنفات التي أوردوها وهي تتحدث عن السنة والتوحيد، والردود التي يرد بها السلف على مسألة معينة مثلا الصفات والأسماء وفضل الصحابة أو الإمامة، القدر وغيرها من المسائل، والتي جعلوها من مسائلها وفي تلك الفترة لم تظهر لفظة العقيدة في مصنفات السلف إلّا كتاب الإمام أحمد بن جعفر الطحاوي.

ثانيًا: هذه المصنفات تزعم أنها تحمل عنوان العقيدة ثم تذكر المصنفات التي تتحدث عن الاعتقاد يحدث بينهما تبادل في الطرح حسب ما تقتضيه الحال لأن كلمة الاعتقاد هي الأكثر والأسبق في التداول لذا يلجؤوا إلى استخدامها أما كلمة العقيدة ظهرت في القرن الرابع. مع أن مسائل الاعتقاد هي نفسها مسائل العقيدة، مثلًا: رسالة في التوحيد لابن عباس من أبواب الاعتقاد، والتوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة من أبواب العقيدة. مما يوحي لك كأنهما اسم لمسمى واحد ومن ذلك كتاب ابن تيمية حيث لم يذكر كلمة العقيدة في المتن بل ذكر كلمة الاعتقاد مع أن مصطلح الاعتقاد له تعريف يختلف عن تعريف العقيدة بحيث يخلق لك تشويشًا في فهم المصطلحات على الرغم من هذه رسائل جامعية لنيل درجة عالمية تفتقد إلى عملية ضبط مصطلحات الدراسة التي تسير على ضوئها من أجل الوصول إلى نتائج واضحة تسهم في البناء المعرفي. ثم لم يوضحوا الفرق بينهما بل تجدهم يعرفون العقيدة فقط.ولم يعرفوا الاعتقاد مع أنهم يذكرونه دائمًا في مصنفات السلف.

ثالثًا: جعلوا المسألة الطارئة التي تحدث(مسألة التحكيم- أو التكفير وخلق القرآن) ويكتب عنها السلف وهي حادثة ملحة تطرأ على المجتمع تهدد إيمانه مما تفرض على العلماء توضيح المسألة بالكتاب والسنة من أجل حماية إيمان المسلمين من هذه الأفكار المضللة، جعلوا تلك المسائل من مسائل

مصطلح العقيدة والاعتقاد. ولم يظهر مصطلح العقيدة والاعتقاد بعد من أعلم بمراد كلامه؟ ثم إن هذه المسألة لم تمس السلف ولم تخطر ببالهم أنما أحدثها المخالفون بناءً على شكوكهم. فهي لم تكن من أصل دينهم ولا من مسائل مباحث السلف. فالصحابة والتابعون يؤمنون بأن القرآن كلام الله قبل أن تظهر هذه الفتنة ثم ظهرت هذه الفتنة ثم انتهت من غير رجعة. إذا هي ليس من مباحث العصر الذي لم تظهر فيه هذه الفتنة. ولكن مسألة الصفات والأسماء تثأر من بقايا أهل الكلام من الأشاعرة، والماتريدية، فتظل مبحث من مباحث أهل السنة في الردعلى المخالف.

أضف إلى ذلك أن المشكلات الكلامية المثارة في الماضي نشأت عن أسباب وعوامل نبعت من البيئة الثقافية حينئذاك، وقد قتلت بحثًا وتحليلًا ومناقشة وظهر فيها الحق بين المذاهب والفرق، وربما كانت محتملة عندما كانت الحضارة الإسلامية سائدة، أما وقد آل الحال إلى ما نحن عليه، فلم يعد من المحتمل إثارة هذه المشكلات من جديد. وقد سبقنا علماء الحديث والسنة إلى توجيهنا إلى هذا الأصل الجامع، ومنهم ابن حزم بكتابه (مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات) وعنوانه يشير إلى مضمونه، يعنينا ما سجّله في باب الاعتقادات، وقال:(واتفقوا أنه منذ مات الرسول صلى الله عليه وسلم فقد انقطع الوحي وكمل الدين واستقر وأنه لا يحل لأحد أن يزيد شيئًا من رائه بغير استدلال منه، ولا أن ينقص منه شيئًا ولا يبدل شيئًا مكان شيئ ولا يحدث شريعة، وأن من فعل ذلك كافر، واتفقوا أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صح أنه كلامه بيقين فواجب إتباعه).[1]

رابعًا: جعلوا السنة من مسائل الاعتقاد والعقيدة. وقد ساد إطلاق مصطلح السنَّة على العقيدة في القرن الثالث الهِجري في عصر الإمام أحمد ابن حنبل، حين ظهرت الفِرَق وراجَت عقائد المعتزلة والرافضة والصوفيَّة

١- - مصطفى حلمي- منهج علماء الحديث و السنة في أصول الدين- دار الكتب العلمية- لبنان- الطبعة الأولى- ٢٠٠٥-ص.٢٥٢.

وأهل الكلام، فأخذ أئمة الإسلام – حينذاك – يُطلِقون على أصول الدِّين ومسائل العقيدة:»السنَّة»؛ تمييزًا لها عن مَقولات الفِرَق.[1] انظر إلى هذا التخبط في مسائل العقيدة وأصول الدين تطلق على السنة. حيث جعلوا السنة من مسائل العقيدة. ثم يطلقون مسائلها على السنّة ومصطلح العقيدة لم يظهر بعد حيث ظهر في القرن الرابع.

خامسًا: البداية في كتابة مصطلح الاعتقاد والعقيدة قبل أن يظهر المصطلح فرسالة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- سنة ٢٣هـ هي البداية. فهل سيدنا عمر كان يجهل ذلك ومن بعده. مع أن أول ظهور لكلمة الاعتقاد ظهرت في القرن الثالث وأول كتاب عن العقيدة ظهر في القرن الرابع. وهذا الحصر والتأليف والرصد لم يكن إلّا في القرن الخامس عشر. إذًا كيف تحوي كلمة مبتدعة علم السلف فهل عجزوا أن يهتدوا إلى تعريف علمهم؟

سادسًا: هل يبحث مصطلح العقيدة والاعتقاد عن قضايا محددة منذ ظهوره كعلم له علماء مثل علماء الحديث والتفسير والفقه؟ وهل يمكن أن يظهر علم في أصول الدين لتثبيت قواعده من التحريف ودفاعًا ضد الأعداء المتربصين به. ولا يسمونه ليأتي من بعدهم ليسموا لهم علمهم الذي تركوه لهم؟ مع أن السلف أعلم من المتأخرين. وهم أنفسهم لم يتفقوا على مسمى واحد فأول ما ظهر مسمى الاعتقاد ثم لم يلبث فترة حتى ظهر من يطلق عليه اسم العقيدة فأصبح الاسمان متلازمين لعلم السلف الذين عجزوا عن تسمية علمهم حتى جاء المتأخرون ليستقر عندهم علم السلف في مصطلح العقيدة. ومع هذا لم يتفقوا على تعريفه. والكل يسميه حسب ما يرتضيه.

١- . عثمان جمعة ضميرية - مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية– مكتبة السودي- جدة السعودية – الطبعة الثالثة-ص:٩٦

بناء العقدة أو العقيدة

أما العقدة أو العقيدة فهي في اللغة من العقد الذي يعني الربط والشدّ(كما بينوا ذلك)، فهي ربط مشدود قائم على موروثات تتناقل عبر الأجيال محمية بسلطة الآباء، والكبراء، والسادة. فهي قيود تكبل الإنسان، وتعيق عملية التفكير والانطلاق إلى رحاب الإيمان بالإله الحق الذي لا إله إلاهو. وهي حجر على العقل والتسليم الكامل لتلك العقدة، أو العقيدة وممارسة طقوس تعبدية من غير هدى ولاعلم داخل البيئة التي نشأعليها الفرد من غير استخدام العقل في حقيقتها وأن كانت تعارض الفطرة السليمة. ومن ذلك عقدة أو عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام-عقيدة الثالوث. يقول الله تعالى:(**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦)**) [1].وكذلك عقدة، أو عقيدة عبادة الشمس. والشمس آية من آيات الله. قال الله تعالى:(**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨)**) [2]. لذا أنكر الهدهد من يعبدها من دون الله. يقول الله تعالى:(**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**

١- سورة المائدة-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦.

٢- سورة فصلت-٣٧-٣٨.

وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦))[1].

أما ما حدث في تاريخ الإسلام من خروج جماعات وفرق عن جماعة المسلمين ابتداء من الخوراج والقدرية والشيعة والمرجئة والمعتزلة ثم ظهور الصوفية بطرائقها المختلفة كلها ابتعدت من الكتاب والسنة ثم بدت تنشيء أقوالًا وآراءً تخالف بها الكتاب، والسنة بتأويلات فاسدة من أجل التأكيد على ما ذهبت إليه في تلك المسائل ثم بنت عُقد في أتباعها مما تشكلت لديهم العقدة، أو العقيدة، ومن ذلك مقولة عدم الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة. بناؤهم عقيدة عدم الأخذ بحديث الآحاد على الوهم والخيال. وموضع العجب أن قولهم هذا هو في نفسه عقيدة.[2] فهؤلاء كما قال أبي بن كعب: « هلك أهل العقدة ورب الكعبة، هلكوا، وأهلكوا كثيرًا، والله ما عليهم آسى، ولكن آسى على ما يهلكون من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم-؛ يعني بالعقد الذين يعتقدون على الآراء، والأهواء، والمفارقين للجماعة.

وهذه العقيدة درجات في التصلب تبدأ من الانعزال ثم الرفض ثم الكراهية ثم الأذى بالقول أو بالفعل وتنتهي بالقتل الفردي أو الإبادة الجماعية، ليس هناك من عقيدة متسامحة. لأن العقيدة بالأساس تجمد وتقوقع×، وهذا ما نلاحظه من خروج أول جماعة خرجت على جماعة المسلمين من الخوارج حيث رفض عدد كبير منهم الرجوع إلى الحق بعدما ناقشهم عبد الله بن عباس وأصروا وتصلّبوا على مبدئهم في مسألة التكفير، مما أدى إلى العزل عن جماعة المسلمين ثم كراهية سيدنا علي -رضي الله عنه- ثم الأذى وسبه

١- سورة النمل-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦.

٢- محمد ناصر الدين الألباني- الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام- مكتبة المعرف- السعودية- الطبعة الأولى- ٢٠٠٥- ص٥٢

ومن اتبعه ثم أدى ذلك إلى قتال المسلمين، وتركهم قتال الكفار، والمشركين. وهكذا بقية الفرق التي خرجت على جماعة المسلمين. المعتزلة اعتزالهم حسن البصري ثم أدى لفتنة المسلمين في مسألة خلق القرآن حينما قتلوا من رفض بقولهم عندما تولى مقاليد السلطة في الدولة العباسية. وكذلك العبيديون في مصر. والشيعة وتعاملهم مع التتار والصليبيين، وحتى في العصر الحديث.

والتناقض في العقيدة هو أنها سراب حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً×، عندما كسر سيدنا إبراهيم الأصنام جاء القوم ووجدوها محطمة كأن لم تكن شيئًا وقبل قليل قدموا لها الطعام والنذور لتأكل فإذا هي محطمة عدا كبيرهم بدلًا عن أن يؤمن أنها لا تنفع ولا تضر أصرّوا على العناد مع أنها مكسرة أقرّوا على أنها آلهة تعبد من دون اللّه، طلب الملأ من القوم أن ينصروها مما يعكس مدى التناقض الذي يعيشه صاحب العقيدة كذلك، صاحب العقيدة الذي يعتقد أن الأولياء والصالحين يجيبون دعاءه إذا ركب في الفلك وهاج وماج به البحر ضل من يدعوه إلا اللّه فيكشف ما يدعو إن شاء ثم إذا أنجاه إلي البر أشرك باللّه. وكثير من المتكلمين حينما حكّموا العقل على النقل بنوا أوهامًا وعقائد فاسدة وعندما جاءت سكرات الموت تبيّن لهم ضلالهم وغيّهم في علم الكلام حيث أصبح سرابًا وتمنوا إيمان العجائز ومنهم من رجع قبل فوات الأوان وعكف على دراسة القرآن والسنة.

العقيدة تسلب من يعقدها أثمن وأغلى ما يمكن أن يعيش الإنسان من أجله ألا وهي حريته×، عندما يظهر له الحق المبين أمامه على يد الرسول فلا يستطيع أن يختار لنفسه طريق الهدى ويظل على عقيدة الآباء والأجداد وخير مثال لذلك أبو طالب عندما تأكّد له بمالايدع مجالًا للشك في صدق الرسول صلى اللّه عليه وسلم لم يستطع أن يحرر نفسه من عقيدة عبد المطلب فقال وهو على فراش الموت على ملة عبدالمطلب ليفقد حريته في الاختيار السليم بعد ما تبيّن له الحق مع أنه ليس هناك سلطة عليه من عبد المطلب، ولا غيره

بل هو السيد المطاع في قومه. وهذا كثيرما تجده من أصحاب العقائد.

العقيدة تأمر بالعنف والقسوة لحمايتها أو لفرضها جازمًا بأنها مقدسة×، ومن ذلك عندما اتخذ بنو إسرائيل العجل إلهًا أرادوا قتل سيدنا هارون عليه السلام عندما أمرهم بعبادة الله وحده. قال الله تعالى: (**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**).[1] من ذلك كيف كان كفار قريش يعذبون الصحابة -رضي الله عنهم- من أجل حماية اللات والعزى وكيف عذبوا آل ياسر وبلال من أجل اعتناق دين الإسلام. أما النصارى فلكي يحموا دينهم وهم يعلمون مدى الاضطراب في دينهم أن كتابهم هو كتاب مقدس وهم حرّفوا فيه ما حرّفوا ولكي يحموه سموه كتابًا مقدسًا وهم كتبوه بأيديهم. ومن يفارق دينهم يتعرض للعذاب والاضطهاد بل نجدهم عذبوا واضطهدوا المسلمين في بلاد الأندلس بعد سقوط دولة الإسلام فيها. وما فعله العبيديون في مصر بأهل السنة من اضطهاد وسجن وتعذيب وتغيير سنة الرسول صلى الله عليه وسلم بالبدع والأفكار الباطنية المنحرفة. وكذلك المعتزلة في فتنة خلق القرآن حيث حمل الناس بالقوة على هذه البدعة.

العقيدة تسلب منه الإرادة بحيث لا يستطيع أن يحدد الصحيح من الخطأ، أو أن يختار الصحيح إذا تبين له×، انظر إلى قوم فرعون عندما جاءهم موسى بالبيّنات قالوا هل أنتم مجتمعون إلى لقاء موسى مع السحرة لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين وعندما هُزم السحرة وآمنوا برب موسى وهارون لم تكن لهم إرادة أن يؤمنوا كما آمن السحرة بل ظلوا على عقيدة عبوديتهم لفرعون.لأن الإيمان يتطلب بذل النفس من أجله، ومن رضي بالعقيدة فلا يناله العذاب. تأمل كيف يسيطر الملأ على العقول والحجر عليها

١- سورة الأعراف-١٥٠.

وسلب الإرادة في حق الاختيار.يقول الله تعالى: (**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)**)[١]. يقنعون العامة أن الأنبياء بشر وإذا أطعتم بشرًا إنكم لخاسرون ونسي الملأ أنهم بشر كذلك، والمعادلة الصحيحة إذا أطعناكم إنّا كذلك لخاسرون لأنكم أنتم بشر.. إذًا اتركونا نحدد طريق الإيمان بالرسل أو البقاء على دين الآباء ومن ثم نتحمل نتيجة هذا الاختيار. والذين اختاروا ا تباع الملأ، والكبراء لن ينفعهم من عذاب الله شئيا يوم القيامة.يقول الله تعالى:(**وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ**)[٢].

كما أن العقيدة تقتل التواضع وتبعث على الغرور وعلى رفض وجهات النظر الأخرى، تبني جدران العقيدة بحجارة الشك. يروي أن الإمام الرازي دخل قرية فتحلق الناس حوله، فسألت عجوز من أهل البلد: «من هذا؟ فأجابها أحد تلامذته : «إنه الإمام الرازي الذي أوجد مئة دليل على وجود الله». فعجبت العجوز وقالت :»وهل يحتاج الله إلى دليل على وجوده؟؟!!! لو لم يكن عنده مئة شك على وجود الله لما أوجد مئة دليل». فوقعت هذه الكلمة في أذن الرازي، فقال «اللهم أسالك إيمانًا كإيمان العجائز» كذلك فإن تقديس الرموز يصنع العقيدة.× عندما نجت عير قريش من الرسول

١- سورة المؤمنون-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧.

٢- سورة إبراهيم- ٢١.

صلى الله عليه وسلم رأى بعض زعماء قريش أن يرجعوا من غير قتال ولكن غطرسة وكبرياء وغرور أبي جهل أصرعلى قتال الرسول حتى تسمع بهم العرب فتهابهم. فأطاعوه فكانوا من الخاسرين.

ويرى عبدالله القصيمي أن الهوى هو الذي يصنع العقيدة، كذلك فإن الخوف يصنع العقيدة، والعقيدة تصنع العنف، والعنف يصنع القتل، كيف تصنع العقيدة. العقيدة فكرة قطيعية ثابتة لا يجرؤ على كسرها إلا الشجاع الذي يريد فعلًا كسر قيد الفكر والعقيدة وبلوغ الحرية غير أبه بثغاء القطيع ولا بنباح الكلاب؟ بسبب خوفهم وجهلهم وضعفهم. فكلما زاد الخوف زاد التقوقع والتمترس وراء دروع ومجان (جمع مجن)، إنها تؤذيهم، فهي تزيد من جهلهم. وإذا كان هناك من مستفيد فهي المؤسسات الدينية حماة العقائد وحراسها وصانعو الوهم أوسدنة هياكل الوهم؛ فهي ليست سوى مصانع «طماسات» عقائدية تبيعها لأتباعها فتزيد بذلك من ثروتها وسيطرتها وجهلهم. إنها تتاجر بخوفنا وجهلنا وضعفنا.×[1]، تأمل ما يفعله الملأ من أصحاب العمائم من الشيعة في أتباعهم من تقديس آل البيت وجعل الإمام بمنزلة الرسول يوحى إليه.

أما النصارى فإن عقيدتهم في الله ثم في سيدنا عيسى والسيدة مريم عليهما السلام هي تخبط واضطراب لأنهم بدلّوا وحرفّوا ثم اتبعوا آراء الرجال من القساوسة في الدين وبما أنها عقيدة وعقدة من صنع البشر لابد أن يعتريها الزيف والضلالة في جوانبها لأنها منحرفة من كتاب سماوي يأمرهم بعبادة الله وحده. والإيمان برسول أخر الزمان. الذي يدعوهم إلى عبادة الإله الحق الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. وهو ما يخالف عقيدتهم التي جعلت من البشر آلهة وندًا لله سبحانه وتعالى صعب عليهم التحول من دين الآباء وعبادة البشر إلى عبادة رب

١- محمد علي عبد الجليل-أثر العقيدة في وعي المعتقدين -/:09megs.com/issue-septemer50http
maaber./edioial.htm

السماوات والأرض والإيمان بأخر الرسل صلى الله عليه وسلم.

فان عقيدة التجسيد وهي تعني عندهم أن الله تجسد وظهر بصورة إنسان يقول القس وهيب عطا الله: (إن التجسيد قضية فيها تناقض مع العقل والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ولكن نصدق به ونؤمن أن هذا ممكن وإن لم يكن معقولاً). يقول محمد مجدي مرجان: الذي كان مسيحيًا وأنعم الله عليه بالإسلام ولقد قمت بمناقشة كثير من المسيحيين في مدى فهمهم وتقبلهم لهذه العقيدة – عقيدة الثالوث المقدس. تارة عندما كنت محسوبًا في جماعة المسيحيين وتارة بعد انسلاخي عنهم وكثير من هؤلاء المسيحيين أصدقاء وأقارب يولونني ثقتهم ويصدقونني الحديث فأخبروني أنهم لا يستطيعون فهم كنه الثالوث المقدس عندهم وأن كثيرًا منهم يعيشون في صراع بين عقولهم وموروث معتقداتهم وإن كثيرًا منهم حيث تناقشت مع بعض الآباء الكهنة أخبروني أنه يجب الإيمان بالثالوث دون تفحص أو تفكير وأنه يلزم التسليم بهذا الاعتقاد الثالوثي تسليمًا مطلقًا أي تسليمًا أعمى وعلى المسيحي أن يؤمن ويعتقد أولًا بالثالوث ثم يمكنه أن يجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقد فإذا لم يفلح في ذلك فإنه خيرا له أن يلغي عقله ولا يلغي عقائد الآباء وتراث الأجداد وتعاليم القساوسة.

ولمن أراد أن ينظر في عقيدة التثليث أنه من العبث أن تنطق بألفاظ لا يستطيع العقل تثبيتها وأنه لا شيئ يمكن تصديقه إلّا إذا أمكن فهمه أولًا وإن من أسخف الأشياء أن يعظ إنسان غيره بشيء لا يستطيع هو نفسه أن يفهمه ولا يستطيع من يسعى إلى تعليمهم أن يفهموه.(١)

فاليهود على حفظهم لأصل عقيدة التوحيد، قد غلب عليهم التشبيه، وغاب عنهم أن يجمعوا بين النصوص المتشابهة في صفات الله وبين عقيدة التنزيه. فقد جعلوا الله كالإنسان يتعب ويندم على ما فعله كخلقه الإنسان لأنه لم يكن يعلم أنه سيكون مثله أو مثل الآلهة وزعموا أنه يظهر في شكل

١- .أحمد علي –أثر الفكر الأوروبي ،دار الآفاق العربية مصر ، الطبعة الأولى٢٠١٠م ، ص ٣٥.

الإنسان حتى أنه صارع إسرائيل، ولم يقدر على التفلت منه حتى باركه فأطلقه وعبدوا بعلًا وغيره من الأصنام.[1]

هذه هي العقدة، أو العقيدة مسائل، ومبادئ، وآراء ينشأ عليها المرء من غير هدى ولا كتاب منير يسترشد به في عبادته لله سبحانه وتعالى وما تزيده إلّا بعدًا منه،ويظن أنه على صراط مستقيم.

أثر الوالدين في بناء العقدة أو العقيدة :

وهي النشأة التي ينشأ عليها المولود فقد روي البخاري في صحيحه:عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) . وهي تتعلق بعاطفة الحب والتعلق بهما منذ الصغر وتقليدهما في سلوكهما وعبادتهما باعتبارهما قدوة يقتدي بهما وفي تلك الفترة لا يمتلك الابن المقومات العقلية والمعرفية التي تجعله يردها أو يرفضها. ثم تتعمق هذه العقدة أو العقيدة مع مرور الزمن وتزداد رسوخًا عندما يختلط مع أفراد المجتمع ويرى كل أفراده على هذه العقدة أو العقيدة مما يطمئن قلبه لهذه العقدة أو العقيدة وخاصة في المناسبات الدينية عندما يتزينون بأزهى الملابس والزينة ممزوجة بالفرح والابتهاج. حتى لوكانوا يعبدون البقر، أوالصليب، أو الشمس، أوغيرها. ولكن مهما كانت سلطة الآباء على الابن فإنه عندما يبلغ مرحلة التكليف والتمييز يستطيع أن يحدّد بعقله مدى صحة العقدة أو العقيدة التي نشأ عليها ويمكن أن يتحرر منها فقد أرشدنا القرآن إلى عدم طاعة الوالدين في عقدة أو عقيدة الآباء (الشرك بالله) .يقول الله تعالى: (**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** (٨)[2].يقول الله تعالى: (**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ**

١- السيد محمد رشيد رضا- الوحي المحمدي ثبوت النبوة بالقرآن- عز الدين- بيروت لبنان- الطبعة الثالثة- ١٤٠٦هـ- ص ١٩٤

٢- سورة العنكبوت-٨.

أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)[١].

يمكن لهذا الابن أن يتمرد على سلطة الأب وعاطفة الحب التي يتعلق بها ومن ذلك الشقي الذي لم يلتفت إلى نداءات عاطفة الوالدين في اتخاذ سبيل الإيمان والهدى والرشاد، ولكنه تمرد على تلك العاطفة ليحدد اختياره. يقول الله تعالى: (**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**)[٢]. بل وإن كان الأب من أولي العزم من الرسل فلن يستطيع أن يجبره على الإيمان به بل يحدد الابن كفره وإيمانه. يقول الله تعالى: (**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)**)[٣]. وليس هناك أي حجة أو مبرر لقاعدة إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون.

أما في الجانب الأخر فقد يتحرر الإنسان من سلطة الوالدين وعقدتهما أو عقيدتهما عندما يستبين له طريق الحق والإيمان فيتخذه سبيلاً ويتخلى عن عقيدة الآباء والأجداد ولكن هذا السبيل محفوف بالمخاطر والصعاب لأن هذا التحول من عقيدة الآباء سيعرضها إلى الاستخفاف بل يعرض الأجداد والعشيرة كلها لضعف عقولهم في عبادتهم التي يعكفون عليها. يقول الله

١- سورة لقمان-١٤-١٥.
٢- سورة الأحقاف-١٧.
٣- سورة هود-٤٠-٤١-٤٢-٤٣.

تعالى: (**قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)**)[1]. وهذه الآلهة (أصنام– صليب— شمس- كواكب- نجوم وغيرها من الآلهة المزعومة) أمام هذا الإيمان الذي ينافي عقيدتهم مما يعرض الابن إلى العذاب والاضطهاد من أجل الرجوع إلى عقدة أو عقيدة الآباء. يقول الله تعالى: (**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**)[2]. ويقول الله تعالى: (**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**)[3].

سلطة الملأ في حماية العقدة أو العقيدة:

إذا كان هذا في جانب الوالدين اللذين لهما الفضل الذي لا يدانيه فضل من حيث هما من أسباب وجود الإنسان ومن ثم الرعاية والتربية لذا قرن الله طاعتهما وبرهما بعبوديته سبحانه وتعالى. يقول الله تعالى: (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**)[4]. وما دونهما أهون في الفضل، فبالتالي يمكن للإنسان أن يتحرر من سلطة أي أحد مهما كانت بل ليس هناك سلطة على أحد، الإ من أراد لنفسه التبعية. يقول الله تعالى: (**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ**

١- سورة الأنبياء-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧.
٢- سورة مريم-٤٦.
٣- سورة الكهف-٢٠.
٤- سورة الإسراء-٢٣.

(٣١) **فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ** (٣٢)[١]. ومن ذلك سلطة الملأ والسادة الذين يتحكمون في عقول أتباعهم بحيث يصرفونها كيف شاؤوا وخاصة فيما لا علم لهم به ومن ذلك أمور العبادة التي ليس لهم دليل من كتاب محكم منزل من الله سبحانه وتعالى لذا يعترضون على دعوة الأنبياء بحجة إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أثارهم مقتدون، مما يجعل الإنسان الذي يريد الأمان لنفسه من التخلص من تبعية السادة والملأ. أولاً: عليه أن يتحرر من سلطتهم، ويستخدم عقله في تلك العقدة أو العقيدة التي نشأ عليها وخاصة عندما تتعرض للتشكيك. ثم إبطالها بالكلية كما فعل سيدنا إبراهيم مع آلهة قومه عندها يتجلى له الحق بوضوح تجاه عقدة أو عقيدة الآباء وعندها يستطيع الإنسان التخلص من تلك التبعية وهي فقط مسألة اختيار ثم الصبر والمجاهدة وتحمل أنواع الابتلاءات التي يتعرض لها في سبيل الإيمان بالله ومفارقة عقيدة الآباء والأجداد. ومن تلك النماذج صحابة رسول صلى الله عليه وسلم. وأيضا أصحاب الكهف الذين اهتدوا بفطرتهم إلى ضلالة قومهم وما هم فيه من عبادة الآلهة المزعومة عندما طلبوا منهم برهان على ما هم فيه من عبادة الآلهة لم يستطيعوا أن يأتوا ببرهان.يقول الله تعالى:(**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** (١٣) **وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** (١٤) **هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** (١٥)[٢]. مما أدى ذلك إلى اختيار عبادة الله وحده وهم يعلمون أن الملأ والسادة لم يتركوهم على مفارقة دينهم. يقول الله تعالى:(**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**)[٣].

١- سورة الصافات -٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣ذ-٣٢.
٢- سورة الكهف-١٣-١٤-١٥.
٣- سورة الكهف-٢٠.

لأن ذلك سيعرض الملأ والسادة إلى سفاهة عقولهم، عندما اهتدى هؤلاء الفتية إلى الحق والهدى ولم يهتدوا إليه وهم العقلاء والفلاسفة وأصحاب الحكمة والعلم، مما ألجأهم إلى استخدام القوة والبطش في ردهم إلى عبادة آلهتهم المزعومة فما كان من الفتية إلّا الخروج من الأوطان ومفارقة الآباء والأمهات والأخوان في سبيل الله الذي اهتدوا إليه حتى آووا إلى الكهف لينشر لهم ربهم من رحمته. يقول الله تعالى: **(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا)**[1]. إذًا ليس هناك سلطة مطلقة على الإنسان في البقاء والركون إلى عقدة أو عقيدة الآباء وبين اختيار طريق الإيمان. حيث النقطة الفاصلة في ذلك الصبر على الابتلاءات والاضطهاد والمجاهدة في ذلك. وليس هناك أدنى مبرر عقلي ولا شرعي بحجة إنا وجدنا آباءنا على أمة، فإذا لم يتحرر الإنسان من تلك التبعية في الدنيا سيتمنى أن يتحرر منها حيث لاينفع التمني بل العذاب والندامة والخزي والسوء. يقول الله تعالى: **(إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)**[2].

الزوجة ورفض عقدة أوعقيدة الزوج:

بل حتى الزوجة يمكن أن ترفض وتتحرر من عقدة أو عقيدة الزوج الحبيب، وتختار طريق الإيمان أو ترفض طريق الإيمان وتبقى على عقدة أو عقيدة الآباء، الذي جاء به الزوج الحبيب الودود، وهو أقرب الناس إليها وأكثر معرفة به. كما أكّدت ذلك السيدة خديجة عندما جاءها الرسول صلى الله عليه وسلم، بعد ما أوحي إليه، فقالت له: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرئ الضيف وتعين على نوائب

١- سورة الكهف-١٦.

٢- سورة البقرة-١٦٦-١٦٧.

الحق والله لا يخزيك أبدا).[1]وهذا الزوج وإن كان ملك كل متاع الدنيا تحت يديه ولكن تختار طريق الإيمان ومن ثم تتحمل الابتلاءات في سبيله وأدناها مفارقة ذلك النعيم. ومن ذلك زوجة فرعون، وكذلك يمكن أن ترفض ذلك الإيمان المبعوث به زوجها وتبقى على عقدة أو عقيدة الآباء والأجداد وإن كان هذا الزوج رسولاً من أولي العزم من الرسل ويحمل معه كل البراهين والدلائل التي تؤكّد أنه على الحق المبين ومن ذلك زوجة سيدنا نوح ولوط عليهما السلام. فقد ضرب الله للمؤمنين والكافرين مثلًا بذلك.يقول الله تعالى:(**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)**).[2]

كيف يواجه أصحاب العقيدة أهل الإيمان:

صاحب الإيمان ركيزته مع مخالفيه من أصحاب العقائد الكتاب والسنة ثم (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) ثم توضيح دعوته. لأن صاحب العقيدة يعتمد على ما توارثه من الآباء والأجداد وليس له دليل من علم لذا لا يستطيع الإجابة والحجة فيلجأ إلى المجادلة ومتى يقتنع بالعلم والأدلة الشرعية والعقلية يسهل عليه تقبل الحقيقة التي لا مراء فيها فإذا رفض هذا الأمر فإنه يزداد صلابة في دين الآباء مهما تجلت له الحقيقة وبانت له ولكن مهما كان هذا الأمر فإن الحوار يظل قائمًا مادام أصحاب العقائد يعيشون بيننا من أصحاب القبور والتوسلات والنذور والذبح لغير الله. وأصحاب الأفكار المخالفة للسنة من بقايا أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية

١- مصطفى سعيد الخن- محي الدين ديب مستو- العقيدة الإسلامية، أركانها حقائقها، مفسدتها- دار ابن كثير دمشق، سوريا- الطبعة الثالثة- ١٩٩٩-ص٣٥٣.

٢- سورة التحريم-١٠-١١.

والأفكار العلمانية وأهل الأهواء والزيغ والضلال فكيف تقيم عملية الحوار بينهم. وهناك نقطة فاصلة بين الحوار الذي يقود إلى إظهار الحقيقة ورد الباطل وبين الجدل الذي يريد أن يجبر الأخر على قبول ما عنده من باطل، فأصحاب العقيدة يتخذون من الجدل سلمًا لصد صاحب دعوة التوحيد، والإيمان، أو العودة لدين الآباء. أما صاحب الإيمان مراده توضيح الحقائق بما عنده من وحي الله (الكتاب أوالسنة) أما أن يرفض أويكفر أو يؤمن فالأمر ليس بيده. يقول الله تعالى: (**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**)[1].

سنرى التشابه الشديد بين أهل الشرك والكفر وأصحاب العقائد الذين ظهروا بعد الإسلام وكيف يتعاملون مع أهل الإيمان(أهل السنة) حيث نرى ظهور الشرك يأتي بعد اندثار الإيمان والعلم وطول العهد من الوحي كما حدث في القرون الأولى منذ سيدنا نوح عليه السلام. وكذلك أصحاب العقائد الذين ظهروا بعد عيسى عليه السلام الذين استبعدوا الحق بدلا عن الهوى ثم بدؤوا يختلقون أعمالًا وأقوالًا شركية ويدعون إليها.ثم ظهرت العقائد في المجتمع الإسلامي بعد الابتعاد عن الكتاب والسنة ومن ذلك أول فرقة خرجت على جماعة المسلمين هم الخوارج ثم ظهرت بعض الفرق الأخرى التي خالفت منهج الكتاب والسنة متأثرة بكتب اليونان المترجمة وتأثر بها كثير من المسلمين وتركوا الكتاب والسنة مما أدى إلى ظهور أصحاب العقائد المناهضة للكتاب والسنة من القدرية والجهمية والمعتزلة وغيرها.

أولًا: سلوك أصحاب الكفر والشرك مع الرسل والمؤمنين حيث البيئة المشركة التي يظهر فيها التوحيد ستواجه أصحاب الإيمان.

قصة سيدنا إبراهيم مع قومه: قال الله تعالى: (**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ**

١- سورة الكهف- ٢٩.

يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)[١]. وقال الله تعالى: (**قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)**[٢]. في بداية الحوار قالوا نعبد أصنامًا؛ والعلة إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. وهي حجارة منقوشة في صور رجال صالحين، أو غيرهم. ولكن عندما حطّمها سيدنا إبراهيم قالوا من فعل هذا بآلهتنا فتحولت هذه الأصنام إلى آلهة معبودة من دون الله عاجزة عن الدفاع عن نفسها ليعكس لك مدى اضطراب صاحب الشرك، أو العقيدة أو العقدة لأنها ليست مبنية على كتاب منير مما دفعهم هذا لذلك السلوك الذي ليس فيه أدنى رحمة، أو شفقة.(**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**) ولكن من كان مع الله فلا يبالي في سبيله لأن العاقبة حميدة.

أما في المجتمعات الإسلامية فإن سلوك أصحاب العقائد مع أهل الإيمان الذين ظهروا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، يسير على نفس النمط من التهديد ثم القتل، أو الخروج من البلاد. سنأخذ أعظم فتنة مرت بها الأمة الإسلامية وتجلى فيها صدق وإخلاص أهل الإيمان الذين سطروا لنا أروع النماذج في الصبر والتضحية اقتداء بمن سبقهم بالإيمان. وهي فتنة خلق

١- سورة الشعراء-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤.

٢- سورة الأنبياء ٥٩-إلى ٧٠.

القرآن التي أظهر الله الحق فيها على يد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة والجماعة ودحر فلول الباطل. والذين تزعموا هذه الفتنة هم المعتزلة.

وقد دخل المعتزلة مسرح التاريخ الإسلامي بشكل بالغ الجسارة بحجة أنهم يدافعون عن الإسلام في الفصل الأول يتحدثون كثيرًا عن الحرية التي منحها الله لعباده حتى صاروا يخلقون أفعالهم غير أنهم في الفصل الأخير يخبؤون السيوف في عباءتهم توطئة لذبح هذه الحرية التي منحها الله لعباده، ولقد صدرت منهم في البداية مئات الكلمات الطيبة وأهدر قيمتها الفكرية إلتماع الضوء على سيوف القهر والإلزام [1]. ومن ذلك محنة خلق القرآن التي ابتلي بها أهل السنة أشد أنواع الابتلاء، منهم قضى نحبه، ومن الذين قضى نحبه، أحمد بن نصر الخزاعي. سنرى التشابه بين الكفار وأصحاب العقائد مع أصحاب الإيمان. التهديد ثم القتل.

عقد الخليفة الواثق لأحمد بن نصر الخزاعي وأتباعه مجلسًا للمناظرة، ولم يسأله في الشغب الذي أحدثه ولا في الخروج عليه، وإنما سأله في مسألة خلق القرآن، فقال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال له: أفمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، وامتنع أن يقره على قوله في خلقه، وسأله الواثق عن رؤية الله يوم القيامة، قال يا أمير المؤمنين: جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته).

فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون فيه؟ فقال عبدالرحمن بن إسحق: يا أمير المؤمنين هو حلال الدم، وقال أبو عبدالله الأرمني صاحب بن أبي داؤد: أسقني دمه يا أمير المؤمنين، وقال ابن ابي دؤاد: يا أمير المؤمنين كافر يستتاب، لعل به عاهة أو تغير عقل.

١- . أحمد شوقي إبراهيم- المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية مكتبة مدبولي- مصر- ٢٠٠٠- ص٦١

قال الخليفة الواثق: إذا رأيتموني قد قمت إليه، فلا يقومن أحد معي، فأني احتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربًا لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ودعا بالصّمصامة – سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي – فمشى إليه وقتله.[1]

١- .أحمد شوقي إبراهيم، -المصدر السابق ص٧٥.

أنواع التأويل الباطل

سنرى بعض الأسباب التي تصرف المعاني الصحيحة إلى المعاني الشاذة

١ / ما لم يحتمله اللفظ لوضعه.×

كلمة عقيدة ترد إلى الجذرعقد الذي يعني الربط والإحكام والإلزام، إذًا العقيدة هي الربط والإحكام والإلزام، فالسياق لا يحتمله عندما تقول العقيدة الإسلامية أو العقيدة الطحاوية يعني الربط والإحكام والإلزام الإسلامية أو الطحاوية فالمعنى لايستقيم. (وهنا لانتكلم عن المعنى الاصطلاحي لان هذا سيأتي في حينه) وإلا ما معنى العقيدة من غير أن تنسبها إلى العقد أو أن تنسبها إلى شخص أو جماعة أو مذهب أو دين؟ وإذا ذهبت إلى المعاجم لا تجد في القواميس العربية القديمة سوى تعريف العقد الذي هو أصل في الاستخدام العربي موجود. فنظرية النظم تتمثل في دراسة الكلمة داخل التركيب أو التشكيل الذي ترد فيه إذ لا يظهر معنى الكلمة الحقيقي ألّا أن تتحدد دلالتها من خلال السياق بضروبه المختلفة إذ لا تقتصر دراسة السياق على السياق اللغوي فحسب بل تتعداه إلى السياق العاطفي والسياق الاجتماعي والسياق الثقافي وسياق الموقف الذي ترد فيه الكلمة.[١]

٢ / ما لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب وإن ألف في الاصطلاح الحادث×.

نجدها في لغة العرب كلمة مهجورة تركها اللسان العربي مما يجعل الاستخدام غير سليم فيما استعملت له فيما بعد: العقيدة الطحاوية- عقيدة المسلم- العقيدة الواسطية، ومن فسرها من بعدهم في القرون المتأخرة بالعقد. ولم تعرّف في هذه السياقات التي وردت فيها. أما المصطلح الحادث فقد تشعبت معانيه بحيث لايستقر على تعريف واحد جامع مانع. ومع ذلك أصبحت مألوفة في المصطلح الحادث عند المتأخرين بأنها الإيمان

١- . محمد ياس خضر الدوري -دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني -دار الكتب العلمية- لبنان- الطبعة الثانية - ٢٠١٤ - ص ٣٨

الشرعي الذي أخضعوا معاني بعض آيات القرآن له. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها فهؤلاء راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان ثم هم يغلطون كثيرا في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلطون كثيرًا في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن.[1]

٣ / استعمال اللفظ في معنى لم يعهد استعماله فيه أو يكون نادر الاستعمال فيه. ×

فكلمة العقيدة مهجورة الاستعمال فتمّ استخدامها في معنى العقد، وهذا ما لا يوجد في الاستخدام اللغوي العربي بأن العقيدة هي العقد حيث استدلوا بألفاظ القرآن، مع أنه تمّ تعريفه بالربط وبالإحكام وبالإلزام. قال الشاطبي:كل معنى مستنبط من القرآن غير جارٍ على لسان العرب فليس من علوم القرآن في شيئ.لا يستفاد منه ولا ما يستفاد به ومن ادعى غير ذلك فهو باطل في دعواه.[2] فكلمة عقيدة ليست جارية في اللسان العربي. فبالتالي لا يمكن أن يستفاد منها في علوم القرآن، مع أنها أصبحت من أهم علوم القرآن والسنة كما سنرى.

٤ / التأويل الذي يوجب تعطيل المعنى الذي هو في غاية الشرف والعلو ويحطه إلى معنى دونه بمراتب×

تمّ تأويل العقيدة بالعقد مما أدى فيما بعد إلى إحلال كلمة العقيدة اصطلاحًا محل الإيمان مما أدى إلى تعطيل معنى الحقيقة الشرعية التي تنزل بها الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بكلمة محدثة مبتدعة في الدين مما عطل معنى الإيمان الذي فقد مدلوله بحيث أصبح ركنًا من أركان العقيدة. بل لا تكاد تسمع كلمة الإيمان من الدعاة، والعلماء، والكتّاب في كتاباتهم مع التزاحم الشديد من لفظة العقيدة. قد تكون أحدى اللفظتين

١- طاهرمحمود محمد-أسباب الخطأ- دار ابن الجوزي- السعودية- الطبعة الأولى-١٤٢٥ص٨٩٩
٢- طاهرمحمود محمد يعقوب المصدر السابق ص٩٨٥

المتقاربتين منحطّة الدلالة لاستعمالها في المعاني المبتذلة أو الوضيعة وتكون الأخرى ذات مدلول شريف تستعمل في مواضع الرفعة والشرف فيكون وضع أحدهما مكان الأخرى غثاء من القول لا يدركه إلا من له العناية بنظم الكلام ونسقه1. فكيف نساوي بين لفظة منبوذة في اللسان العربي ولفظة الإيمان الشرعية في تناول مسائل الشرع؟

٥ / تأويل اللفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقيضيه×٢

بحث عن كلمة العقيدة في الشعروعندما وجدها لم يفسرها من خلال السياق الذي أورده

إذا العَيشُ لَم يَكدُر عَلَيَّ وَلَم يَمُت   يَزيدُ وَإذ لي ذو العَقيدَةِ ناصِحُ×

بَلَ لجأ إلى القرآن من أجل تأصيلها واستمالت القلوب التي استقرت عندها كلمة العقيدة وتطلب أدنى دليل لتتمسك به. لذا تمّ تعريفها بالعقد وأن جذرها عقد الذي في سورة المائدة وليس هناك قرينة دالة على ذلك. وذلك من أجل أن يبرهن على أن معناها موجود في القرآن، والقرآن ليس معجم لكي يبحث فيه أو أفسر به الكلمات الشاذة في لغة العرب ولا غيرها.

المعنى يحمل على فهم مقصود المتكلم لا ما أحدثه المتأخرون من تأويلات لكلمة العقيدة التي وردت في كتاب الطحاوي والصابوني والغزالي وابن تيمية التي لم تعرف من قبلهم.إنما جاءت تلك التعريفات من المتأخرين بناءً على استخداماتهم لها. وليس كما أوردها بتلك التخريجات الشاذة في معرفة معنى كلمة العقيدة.

١- .محمد ياس خضر مصدر سابق ص ٨٢

٢- . ناصر بن يحيى الحنيني – مصدر سابق- ١٤٣-ص٨٨٦

×راجع ص ٦٠

تعريف العقيدة لغة

العقيدة والتعريف اللغوي:

ظهرت كلمة عقيدة أول مرة في مصنف لها في القرن الرابع الهجري وليس لها مدلول لغوي متعارف عليه ولا حتى في مسمى الكتاب الذي تناولها. عندما خرجت من كهفها وهي في غربة من أمرها. ثم تسللت خفية متجاوزة عقبة حدود اللغة على استحياء ثم أخذت مكانة في مسمى مصنفات بعض العلماء من غير تعريف مدلولها. حتى استقر معناها في بعض المعاجم اللغوية المتأخرة وليس لها تعريف واضح. ثم تسلسلت إلى أن توغلت في معاني الشرع عند المتأخرين حيث أصبحت مصطلحًا شرعيًا، مع كثرة التعريفات. وبكل جرأة أخذوا يعارضونها بألفاظ الوحي مما أدى إلى إخضاع نصوص الكتاب والسنة لهذه الكلمة التي أصبحت من أهم وأخطر المصطلحات الإسلامية التي لا يدانيها أي مصطلح أخر. العقيدة هي: الإيمان والتوحيد والسنة والشريعة. هكذا في حين غفلة من علماء اللغة والشرع.

نظر أصحاب كلمة العقيدة إليها وليس في ذهنهم أفكار عن حقيقة معناها ويريدون أن يبحثوا عن دليل من القرآن، أو المعاجم، أو الشعر الذي يحتج به. يريدون أن يجعلوها كلمة لها معنى لغويًا، أو شرعيًا. لم يجدوا سوى لفظة عقد أقرب إلى افتراضهم في شكل ورسم حروفها، ثم ربطها بنصوص القرآن وتكلف في حملها على ما لا تتحمله النصوص تأكيدًا على افتراضهم بأنها أصل الدين والملة، والمخالف أمره على خطر. وحفاظًا على قداسة شيوخهم من الوقوع في الخطأ أو استخدام كلمة مبتدعة في الدين أو أن يقع منهم ما يعترض البشر من السهو والغفلة وذلك إرغاماً لخصومهم. بأن ما قاله شيوخهم هو الحق المبين مما جعل نصوص الوحي تابعة لكلمة العقيدة فيما بعد وهذه ظاهرة التمسك بالتقليد الأعمى وتقديم آراء الرجال على نصوص الوحي.

سنخوض في تعريف معنى العقيدة ونستحضر معنا تلك التأويلات لمعرفة كلمة العقيدة من حيث أنها كلمة لها حضور في اللسان العربي وبين هجرانها وحقيقتها الشرعية ومن ثم تعريفها بالإيمان من حيث التعريف الاصطلاحي.

قبل أن نخوض في تعريف مصطلح العقيدة نقف عند التعريف اللغوي حيث استندوا إلى أن جذرها موجود في القرآن حيث ذكروا بعض الآيات الدالة على ذلك. ومن ذلك قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُود**)[1]. وقوله تعالى: (**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[2].

هؤلاء مقرون أن كلمة عقيدة ليست من ألفاظ الكتاب والسنة. مثل ألفاظ الإيمان والكفر والتوحيد والشرك التي يترتب عليها أحكام ومعاملات في الدنيا والأخرة. ولكن عندما لم يجدوا لها أصلًا لا في الكتاب ولا في السنة ولكنها أصبحت هي المسيطرة على العقول والقلوب ولا يعرفون لها منشأ لغويًا أو اصطلاحيًا. بدأوا البحث عن أصلها فلم يجدوا غير جذر هذه الكلمة في القرآن والسنة وهذه التعريفات هي تعريفات المتأخرين ولا نجد مثل هذا البحث عند الأقدمين في معرفة ألفاظ اللغة دعك من ألفاظ الشرع الحنيف. وهناك بحث مطول عن أصل هذه الكلمة وهو عبارة عن رد على أحد الكتاب على أن كلمة العقيدة ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة. أغلب الذين يتحدثون عن العقيدة لغة يستدلون بهذه التعريفات عند الكتابة في موضوعات العقيدة. ما عدا أبيات الشعر التي أوردها هنا.

١- سورة المائدة-١.

٢- سورة المائدة-٨٩.

- النصيحة بأن العقيدة كلمة فصيحة ١٨-٦-٢٠٠٩م.[١]

كتب الأستاذ عبد الصبور شاهين في مجلة المجمع اللغوي بمصر مقالا بعنوان: (حول كلمة العقيدة) في الصفحة (٦٨-٧٤) من العدد الثاني والعشرين ، سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م ، ذهب فيه إلى عدم وجود هذه اللفظة في الكتاب والسنة ، ولا في أمهات المعاجم ، وزعم أن أول من جمعها على كلمة (عقائد) هو القشيري في رسالته، وجاء الغزالي بعده فذكرها مفردة.

وأحسن الظن بهذا المقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد – رحمه الله – في كتابه (معجم المناهي اللفظية)(ص/ ٢٤٢، ط١، ١٤١٠هـ، دار ابن الجوزي) حيث قال: « في (مجلة مجمع اللغة العربية بمصر) بحثٌ للأستاذ عبد الصبور شاهين بعنوان : (حول كلمة عقيدة) استقرفيه عدم وجود هذه اللفظة في الكتاب أو السنة، ولا في أمهات معاجم اللغة، وأن أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها عقائد هو القشيري (م سنة ٤٣٧ هـ) في (الرسالة) كما في أولها، ومن بعده أبو حامد الغزالي (م سنة ٥٠٥ هـ) ، جاء بمفردها (عقيدة) وأما من حيث معناها فهي مولدة، إذ لم تكن في الصدر الأول، والذي يسبقها في الاستعمال لفظ اعتقاد، وهي تدل على إيمان القلب، ويسبقها أيضاً كلمة معتقد، وكان ابن جرير الطبري (م سنة ٣١٠ هـ) - رحمه الله تعالى- يذكر كلمتي : معتقد واعتقاد، كما في مقدمة الشيخ أحمد شاكر لتفسيره، والله أعلم » .

ولم يتعقبه الشيخ علي رضا في كتابه نظرات في معجم المناهي اللفظية ثم استدرك في الهامش بأن الإمام أبا إسماعيل الصابوني (ت٤٤٩هـ) هو أول من استعمل لفظة عقيدة في كتابه: "عقيدة السلف أصحاب الحديث" .

وأخذ بقول الأستاذ بادي الشيخ محمد علي فركوس في فتواه حول ملازمة العقيدة المنهج حيث قال: «... من المعلوم أنّ لفظة: «العقيدة» لم يرد استعمالها في الكتاب والسُّنَّة، ولا في أُمَّهات معاجمِ اللغة، واستعمل الأئمَّة السابقون ما

١- الموقع شبكة الإمام الآجري-www.ajurry.com

يدلُّ عليها، ك: «السنَّة»، و«الإيمان»، و«الشريعة»، واستعمل كثيرٌ من الأئمَّة لفظتي: «اعتقاد»، و«معتقد»، كابن جرير الطبري، واللالكائي، والبيهقي »، ثم نقل عنه بالنص تعريف العقيدة المنقول عن كتاب "مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة".

وهذا المقال عن كلمة عقيدة غير صحيح أبدًا ،وبرهان ذلك ما يأتي:

أولا: لم أجد في مقدمة الشيخ أحمد شاكر- رحمه الله-لتفسير الطبري ط٢ مكتبة ابن تيمية) ما ذكره الشيخ بكر، إنما وجدته استعمل كلمة معتقد اسم فاعل لامصدر ميميا، واستعمل كلمة اعتقاد في سبعة مواضع.

ثانيا:عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني ليس بأول كتاب استعمل لفظ العقيدة، بل هو مسبوق بكتاب « العقيدة: للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي(ت٣٢١ه) الذي قال في أوله: هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة) بل قبلهما كتاب العقيدة» للإمام أحمد بن حنبل المطبوع بتحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة(ت٢٤١) دمشق.

وأما كلمة الاعتقاد – بالتعريف – فقد استعملها قبل الطبري أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) في «كتاب الإيمان» (ص/٥٢، ط١، ١٤٢١، دار المعارف) ووردت عنواناً في (كتاب اعتقاد أهل السنة) لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (ت: ٣٧١ه). وقد ساق اللالكائي في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" اعتقادات أهل السنة.

ثالثا : ورد في القرآن جذر كلمة العقيدة وبعض متصرفاتها؛ ولا بأس أن أنقل من (تهذيب اللغة) (١/١٩٦-١٩٧، ط، الدار المصرية) قول الأزهري في مادة عقد، وهو: «قال الله جلّ وعزّ: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُود**)(المَائدة : ١) قيل : العُقود: العهود، وقيل: الفرائض التي أُلزِموها. وقال الزَّجاج في قوله: (أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ): خاطب الله جلّ وعزّ المؤمنين بالوفاء بالعقود التي عقدها عليهم، والعقود التي يَعقدها بعضُهم على بعضٍ على

ما يوجبه الدِّين. قال والعُقود: العهود، واحدُها عَقْد، وهي أوكدُ العهود. يقال: عهدتُ إلى فلان في كذا وكذا، فتأويله ألزمتُه ذلك، فإذا قلت عاقدتُه أو عَقَدتُ عليه، فتأويله أنك ألزمته ذلك باستيثاق. ويقال: عقدتُ الحبلَ فهو معقود، وكذلك العهد. وأعقدت العسل ونحوه فهو مُعْقَدٌ وعَقيد. وروى بعضهم:عقدت العسل

والكلامَ: أعقدت، أنشد : وكأنْ رُبا أو كحيلاً مُعقداً.

ويقال : عقَد فلانٌ اليمين، إذا وكَّدها. وأخبرني المنذريّ عن ابن اليزيديّ عن أبي زيد في قوله عزّ وجلّ: (**وَالَّذينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ**) (النِّساء : ٣٣) و(عاقدت أيمانكم)وقريء : (عَقَّدت) بالتشديد ، معناه التوكيد كقوله : (**وَلاَ تَنقُضُواْ الأيمان بَعْدَ تَوْكيدهَا**) (النّحل : ٩١) في الحلف أيضاً. قال : فأما الحرف في سورة المائدة : (**وَلَكن يُؤَاخذُكُم بمَا عَقَّدتُّمُ الأيمان**) (المَائدة : ٨٩) بالتشديد في القاف قراءة الأعمش وغيره، وقد قرئ بالتخفيف:(عَقدتم).

رابعا : ورد لفظ (يعتقد) في السنة الصحيحة كما عند الدارمي (١/٣٠٢-٣٠٣، ط١، ١٤٢١هـ، دار المغني) قَالَ- صلى الله عليه وسلم :(لاَ يَعْتَقدُ قَلْبُ مُسْلم عَلَى ثَلاَث خصَال إلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ». قَالَ قُلْتُ : مَا هُنَّ؟ قَالَ : «إخْلاَصُ الْعَمَلَ للَّه ، وَالنَّصيحَةُ لوُلاَة الأَمْر ، وَلُزُومُ الجماعة) وورد في الأثر كما في (الإبانة الكبرى) لابن بطة (١/٩٣، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية ، برقم ٢٠٧) بسند صحيح عن الحسن أن أبي بن كعب قال: « هلك أهل العقدة ورب الكعبة، هلكوا، وأهلكوا كثيرا، والله ما عليهم آسى، ولكن آسى على ما يهلكون من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم-؛ يعني بالعقد الذين يعتقدون على الآراء، والأهواء، والمفارقين للجماعة.

خامسا : في الشعر المحتج به في اللغة، وردت كلمة اعتقاد في شعر حسان بن ثابت – رضي الله عنه– كما روى ذلك أبو بكر الآجري في كتاب (الشريعة)

(ص/٦٩١، ط، دار الحديث) عن الزهري قال : أول حب كان في الإسلام حب النبي – صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنهما–، وفيه قال حسان بن ثابت الأنصاري – رضي الله عنه :

تباريح حب ما تزن بريبة تحمل منه مغرماً ما تحملا
وإن اعتقاد الحب كان بعفة بحب رسول الله عائش أولا
حباها بصفو الود منها فأصبحت تبوء به في جنة الخلد منزلا
حليلة خير الخلق وابنة حبه وصاحبه في الغار إذ كان موئلا

وهذا الشعر غير موجود في ديوان حسان المطبوع.

وردت أيضاً في شعر عمر بن أبي ربيعة كما في ديوانه (ص/٣٩٨، ط مطبعة السعادة)، قال :

قطوف ألوف للحجال غريرة وثيرة ما تحت اعتقاد المؤزر

ووردت كلمة العقيدة مفردة في شعر قيس بن الملوح الشهير بمجنون ليلى (ت٦٨هـ)، قال – كما في ديوانه برواية الوالبي (ص/٥٥، ط، المطبعة الخديوية ببولاق)–:

خَليلَيَّ هَل قَيظٌ بنُعمانَ راجِعٌ لَياليه أَو أَيّامُهُنَّ الصَوالِحُ
ألا لا وَلا أيامُنا بمُتالِع رَواجِعُ ما أورى بِزَندِيَ قادِحُ
إذا العَيشُ يَكدُر عَلَيَّ وَلَم يَمُتْ يَزيدُ وَإذ لي ذوالعَقيدَة ناصِحُ

ووردت جمعا "عقائد" في شعر عنترة بن شداد العبسي كما ديوانه (ص/٦٧، ط، ١٨٩٣م، مطبعة الآداب بيروت)

أفمِنْ بكاء حمامة في أيكة ذرفتْ دموعكَ فوقَ ظهر المحمل
كالدرّ أو فضض الجمانِ تقطعت منهُ عَقائدُ سلْكه لم يُوصل

سادسا : وردت كلمة عقيدة في أمهات المعجمات، وهذا بيان ذلك :

١. قال ابن سيده (ت٤٥٨هـ) في (المحكم والمحيط الأعظم) (٣١٦/٨، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية) : "والبصيرة : عقيدة القلب، وقيل : البصيرة: الفطنة، تقول العرب : أعمى الله بصائره أي : فطنه، عن ابن الأعرابي.

٢. وقال الزبيدي (ت٨١٧هـ) في (القاموس المحيط) (١/ ٣٧٠، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية) :(والبصيرُ : ج: بُصَراءُ، والعالمُ، وبالهاء : عقيدة القلب).

٣. وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ) في (لسان العرب) (١/ ٢٩١، ط، دار المعارف) :(والبصيرة : عقيدة القلب، قال الليث : البصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر).

٤. وقال الفيومي (ت ٧٧٠هـ) في (المصباح المنير) (ص ٢٥٠، ط، دار الحديث) : (واعتقد كذا : عقدت عليه القلب والضمير؛ حتى قيل: العقيدة : (ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة : سالمة من الشك، واعتقدتُ مالا جمعته).

٥. وقال الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) في (تاج العروس من جواهر القاموس) (١٠/ ١٩٢، ط، ١٣٨٥، حكومة الكويت) :(و) البصيرة (بالهاء : عقيدة القلب) ، قال الليث : البصيرة : اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق. وقد استعملها في مواضع أخرى معرفة.

٦. ٧- وفي (المعجم الوسيط) لمجمع اللغة العربية بمصر (ص٦١٤، ط٤، ١٤٢٥، مكتبة الشروق الدولية) : ((العقيدة) : الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في (الدين): ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله، وبعثة الرسل، (ج) : عقائد... و(المعتقد): العقيدة "وفي المعجم الوجيز) : (العقيدة) : ما لا يشك معتقده فيه، كعقيدة وجود الله، وبعثة الرسل. (ج : عقائد). قال الله جل وعز (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**) المائدة١. قيل العقود.

هل كلمة عقيدة كلمة عُرفية أم كلمة لغوية؟ ومن خلال هذا السرد يتبين لنا

أنه بحث لغوي وليس كلمة عُرفية. (والعُرف في الاصطلاح: هو عادة جمهور قوم في قول أو عمل. وأمّا إثبات الاسم من جهة عُرف الاستعمال فهو: أن يكون اللفظ في اللغة موضوعًا لمعنى إلّا أن الناس استعاروه في غيره واستعملوه فيه وكثر استعمالهم له حتى غلب على ما وضع له اللفظ في اللغة.

شروط تقديم العُرف على الذي يقدم على اللغة:

أن يكون هذا العُرف قائمًا في زمان الرسول صلى اللّه عليه وسلم- أو موجودًا قبله، فأما ما عُرف بعد ما حدث بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم- واصطلح الناس على استعمال اللفظ فيما بينهم فيه لا يجوز حمله على خطاب اللّه-عز وجل وخطاب رسول اللّه عليه وسلم.

أن يكون هذا العُرف مطردًا أو غالبًا، فإن كان مضطربًا فلا يقدم، ويرجع إلى اللغة.[1]

يتبين لنا أن كلمة عقيدة كانت كلمة لغوية تحمل معنى مضطربا، ثم أصبحت كلمة عُرفية عند المتأخرين الذين اصطلحوا على استعمالها في معنى الإيمان الشرعي، فغلبت الاسم الشرعي. مع أن هذا العُرف لم يكن عند الذين أطلقوها. ولم يكن قائمًا في زمن الرسول صلى اللّه عليه وسلم، فكيف نحملها على المعنى الشرعي للإيمان الذي كان متعارفًا عليه في زمن الرسول صلى اللّه عليه وسلم ومن بعده؟

فقد تم تعريف العقيدة مجردة من السياقات التي أوردوها بل أسرعوا إلى القرآن للبحث عنها فلم يجدوا سوى كلمة العقد ثم نسبوها إلى جذرها. ثم أوردوا الآيات الدالة على ذلك ومن ثم بدؤوا يشرحونها وأنزلوا تلك التعريفات على كلمة العقيدة. ثم انتقلوا إلى كلمة اعتقد والاعتقاد وكذلك نسبوها إلى كلمة العقد ومع أن هناك فرقًا كبيرًا بينهما حيث العقد جذره عقد والاعتقاد جذره اعتقد. وقال الإمام الشاطبي في كتابه (الموافقات) في فصل (العناية بالمعاني التركيبية لا الإفرادية: (...أن يكون الاعتناء بالمعاني

١- حسين ين محمد بن حسين مصدر سابق-ص ٤١٢.

المبثوثة في الخطاب- أي: في النص- هو المقصود الأعظم، بناءً على أن العرب كانت غايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية. فإن المعنى الإفرادي قد لا يعبأ به، إذا كان المعنى التركيبي مفهومًا دونه.[1] إذًا يجب أن تفسر كلمة العقيدة من خلال السياقات التي وردت فيها، ذو العقيدة والعقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية عقيدة أهل الحديث وليس البحث عن جذرها في القرآن أو في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

يتحدث عن الاعتقاد مع أن البحث عن كلمة عقيدة وليس عن اعتقاد وكأنهما كلمتين مترادفتين له نفس معنى العقد. ثم بدأ يشرح لنا في تفسير القرآن عن معنى العقد ونسي أو تناسى كلمة العقيدة التي هي أصل البحث عن معناها، ثم انتقل إلى كلمة أخرى وهي كلمة يعتقد واعتقاد فبحث عنها في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.هل من أراد أن يبحث عن معنى كلمة يذهب إلى القرآن، ثم إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يفعل هذا طالب مبتدئ في تعلم اللغة العربية، لأن هناك مجال رحب للبحث عن معاني الكلمات. بين شيخ الإسلام رحمه الله الفرق بين منهج أهل السنة ومنهج أهل البدع والأهواء في فهم النصوص وتفسيرها، وذكر أن تحريف الكلم عن مواضعه طريق أهل الضلال والبدع إذ يقول رحمه الله: (والألفاظ نوعان: نوع يوجد في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله فيعرف معنى الأول، ويجعل ذلك المعنى هو الأصل، ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني، ويرد إلى الأول، هذا طريق أهل الهدى والسنة، وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس، يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعًا لهم فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم.[2] فلا نجد كلمة العقيدة في كلام الله ولا رسوله صلى

١- خالد عبد الرحمن العك- مصدر سابق- ص-١٥٣

٢- طاهرمحمود محمد- مصدر سابق ص٥٠٧

الله عليه وسلم. بل نجدها أحدثت في القرن الرابع الهجري وتم تعريفها في القرن الخامس عشر الهجري حيث ردوا كلمة العقيدة إلى العقد الذي في سورة المائدة. من حيث المعنى اللغوي ثم ردوها إلى كلمة الإيمان الذي جاء في حديث جبريل عليه السلام من حيث المعنى الاصطلاحي.

وكلمة اعتقاد وهي من متعلقات القلوب ما أنه شرح معناها الذين يعتقدون على الأهواء والآراء بخلاف العهود التي تعني الالتزام ثم انتقل إلى كلمة العقدة التي تتعلق بالماديات (عقدة الحبل) والمعنويات التي تتعلق بالآراء. ثم ختم معناها وهي: الحكم الذي لا يقبل الشك لدى معتقده. والعقيدة في الدين: ما يقصد به الاعتقاد(ما معنى الاعتقاد) دون العمل كعقيدة وجود الله وبعث الرسل ومالا يشك معتقده فيه كعقيدة وجود الله وبعث الرسل. إذا كان هذا هو تعريف العقيدة لماذا هذا الجهد المضني وراء الشعر والمعاجم والتفسير وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ولم يذكر أن كلمة عقيدة واعتقد لهما معنى لغوي من خلال السياقات التي أوردها في الشعر(اعتقاد الحب، اعتقاد المؤزر، ذو العَقيدَة ناصِحُ، عَقائدُ سِلْكِهِ لم يُوصل) ونرى أنه عرّف البصيرة بعقيدة القلب حيث استخدمها ككلمة مساعدة في التعرف على البصيرة ولم يعرف لنا العقيدة وأخيرًا عرفها بالحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده وما لا يشك معتقده فيه. وعرفها كعقيدة وجود الله، وبعثة الرسل.مع أن العقد دائمًا يكون بين شخصين أو أكثر. ضع ذلك المعنى في هذا السياق الذي أوردها وهو: ذو عقيدة هل معناها صاحب الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقد. هل يستقيم المعنى؟ ثم ما علاقة هذه التعريفات الأخيرة بالتعريفات التي أوردتها عن معاني الكلمات القرآنية من العهود؟.

سنفسر كلمة عقيدة في سياق آخر وهو السبب الذي جعلهم يبحثون عنها في الشعر والمعاجم وفي القرآن مع أنه ليس لها أي أثر، كتاب الطحاوي المسمى

بالعقيدة الطحاوية: يعني العقد الطحاوي والذي جاء في بداية المتن: هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة. وفي كتاب الصابوني عقيدة السلف أصحاب الحديث»

إذًا ما هذا الحكم الذي لا يقبل الشك لدى الطحاوي الذي عليه أهل السنة والجماعة؟ سياق آخر هو عقيدة المسلم، ما هذا الحكم الذي لا يقبل الشك لديه؟. أيهما أخطأ في التعبير عن مراده صاحب العقيدة الطحاوية أو عقيدة المسلم أو العقيدة الواسطية، أما من فسر كلامهم من أجل التأكيد على معانٍ توهموها على غير مراد من نطق بها، أم هل تفسر الكلمة من خلال السياقاتٍ الذي وجدت فيهامع أن السياقات هي التي تتحكم في المعنى، أو من يلوي الكلمة ويخلق لها سياقات وهمية ومن ثم يخلق لها معاني حقيقية؟

فقد قرر علماء الأصول أنه (إذا حمل حامل آية من كتاب الله، أو لفظًا من ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم، على أمثال هذه المحامل، وأزال الظاهر الممكن إجراءه لمذهب اعتقده، فلا يقبل). ولو أنهم جعلوا نصوص الكتاب والسنة أساسًا للبحث والتفكير، ومرجعًا لحل النزاع والخلاف، وجعلوا أفكارهم ونظرياتهم واصطلاحاتهم تابعة لها، لما وقعوا فيما وقعوا فيه من الأخطاء التفسيرية، والانحرافات العقدية، والتخبطات الفكرية.[1]

سنرى اضطرابًا في هذه المعاني التي أوردها في معنى العقيدة إذا حاولت أن تضعها في أي سياق ما تزداد إلا غموضًا واضطرابًا.مما يثبت أنها كلمة ليس لها أي دلالة لغوية.

ثم لماذا تبحث عن جذرها في القرآن إذا كانت وردت في الشعر ولم تعرفها في السياق الذي أوردته.أليس هذا تطرف في البحث من أجل تأصيلها شرعيًا بحيث تضع بذلك حجابًا منيعًا باعتبارها لفظة قرآنية لتصد بعد ذلك من يرفضها بأنها ليست من ألفاظ القرآن المقدسة. أليس كلمة العقيدة ظهرت نتيجة صراعات بين أهل السنة والجماعة مع أصحاب الفرق والمذاهب

١- طاهرمحمود محمد يعقوب- مصدر سابق-ص٩١١

التي خرجت عنهم؟ أليس هي مسائل محددة أثيرت من تلك الفرق؟ أليس المتأخرون هم من اصطلحوا عليها بتلك التعريفات المتباينة؟

كلمة عقيدة ليست كلمة عربية فصيحة يكثر استخدامها في اللسان العربي.ومما يدل على أنها ليست عربية محضة ما يلي:

لا تخلو كلمة رباعية أو خماسية من حروف الذلاقة الستة التي هي: (ر، ل، ن، ف، ب، م)- لسهولتها في النطق، فإن غابت تلك الحروف من الكلمة الرباعية أو الخماسية حُكم عليها أنها ليست عربية محضة، قال الخليل: (فلما ذلقت الحروف الستة ومُذل بهن اللسان وسهلت عليه في النطق كثرت في أبنية الكلام، فليس في شيئ من بناء الخماسي التام يعرَى منهن أو من بعضها ...فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية- ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك- فأعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب لأنك لست واجدًا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من الحروف الذلق والشفوية واحد أو اثنيان أو أكثر.[1] وكلمة عقيدة خالية من حروف الذلاقة.

لعل من فضائل القرآن الكريم وتأثيره البالغ في اللغة العربية أن الألفاظ التي استخدمها صارت هي الأهم والأبهى والأجمل والأكثر شيوعًا على الألسنة والتي أطلق عليها (الألفاظ الإسلامية) تلك التي توسع في دلالتها لتتسع للمعاني التي حدثت عن القرآن. وعلى الجانب الآخر فقد أهمل القرآن ألفاظًا لم تستطع معانيها أن تعيش إلى جانب القرآن لأنه يأباها ومن ثم اندثرت وماتت إلى الأبد. وهناك نوع آخر أهملها القرآن لا لأن معانيه لم يقرها القرآن بل لأنها غريبة حوشية جافة أهملها العرب حتى حين درجوا في حياة الحضر ولم يذكرها إلا من يريد التقعر فتسخر منهم العامة وتسخر

١- محمد ياس خضر الدروري مصدر سابق ص ٢٨٤

بهم الخاص[1]. لذا لا تجد كلمة العقيدة في القرآن الكريم الذي نزل بأفصح اللغات لغة قريش التي منها أفصح العرب الرسول صلى الله عليه وسلم،ولم يستخدمها ولا صحابته -رضي الله عنهم- ولا التابعون، ولا تابعو التابعين.

إذا سلمنا جدلًا بأن العقيدة جذرها عقد التي تعني العقد. وكلمة العقد هي كلمة شرعية، وعقيدة كلمة عُرفية. ما هو السبب والسر الذي جعلكم تفضلون الكلمة العرفية على الكلمة الشرعية أليس هذا تبديل لكلام لله. يقول الله تعالى:((**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**)[2]. وقال الله تعالى: (**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا**)[3]. وأبعدتم لفظة العقد. ثم تمّ تعريفها اصطلاحًا بالإيمان بحيث أبعدتم حقيقة شرعية من التداول، ولها من الحضور الدائم مع المسلم صباحًا ومساءً ما دام يتلو القرآن لتجعلوه يعيش ازدواجية فكرية وتناقضًا معكم ومع القرآن. بحيث يخاطبه القرآن بالإيمان الذي يترتب عليه سلوك وأحكام في الدنيا والأخرة. وأنتم ترددون صباحًا ومساءً العقيدة هي الإيمان بل هي أصل الدين. ثم ما الحق والأفضلية التي تجعلها أحق من الإيمان والعقد إذا لم تكتسب أي ميزة في المعنى من العقد والإيمان سوى ورودها في مصنفات بعض المتأخرين من سلف هذا الأمة. لتحكموا آراء وأقوال الرجال في كتاب الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. تأمل كلام ابن الأثير كيف يجعل المفارقة بين اللفظتين متقاربتين في الدلالة ويفرق بينهما في السبك. كيف تساوى لفظة شاردة في الشعر أو من توهّم أن جذرها عقد، بكلام الله سبحانه وتعالى الذي تحدى به الفصحاء والبلغاء أن يأتوا بمثله أو سورة منه.

قال ابن الأثير (ت٦٣٧) ومن العجيب أنك ترى لفظتين تدلان على معنى

١- محمد عبد الشافي القوصي – عبقرية اللغة العربية منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو-٢٠٠٦ص ١٢٦

٢- سورة الأنعام-١١٥

٣- سورة اكهف-٢٧.

واحد وكلاهما حسن في الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة إلّا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما في مواضع السبك وهذا لا يدركه إلا من دق فهمه وجل نظره[1].

هذا استخدام لغوي للكلمة وليس استخدامًا شرعيًا أي ورودها في القرآن، أو السنة بحيث تحمل مدلولاً شرعيًا يبنى عليه أحكامًا. أما ورود جذر الكلمة فلا يعني أنها من الشرع في شيئ، لأنها ظهرت في القرن الرابع، وحتى في الاستخدام اللغوي في ذلك العصر لم تكن مستخدمة في مؤلفات علماء تلك الفترة بل كان الأكثر هو الاعتقاد. وتمّ تعريفها بتلك التعريفات في القرن الخامس عشر الهجري.

كل التعريفات التي تناولت العقيدة لا تخرج عن جذر عقد وهذه المعاني لا تخرج من الإلـزام والوثاق، والربط، والشد، وهي تدور في أمور معنوية ومادية فالأمور المعنوية تدور حول الالتزام بالعهد ويجب الوفاء به ويمكن التخلص من هذه العقود وغيرها من التي تقع بين الناس فإذا أدوا ما عليهم من التزامات يكون أوفوا بهذه العقود. فالعقد والعقود أمور مؤقتة يلتزم بها الناس في معاملاتهم الاجتماعية. فهذه العقود تجعل الإنسان يعيش في حالة مضطربة تجاهها في عدم الإيفاء بها على الوجه المطلوب أو النقصان مما يعرضه للذم والاجتهاد المبالغ فيه من أجل الوفاء به وفي الحالتين يجعله مرتبكًا ومشدودًا تجاه تلك العقود. حتى عقد الزواج كذلك يعيش الإنسان في صراع دائم من أجل الوفاء بمتطلبات الحياة الزوجية والحقوق الشرعية تجاه الزوجة والأبناء. أما العقد الذي يعني الربط فتقول ربطت الحبل فهو معقود وليس عقيدة. واحدة عقدة وهي الربطة أما في المعنويات فالإنسان الذي له عقدة تجعل صاحبها غير سوي ومرتبك ومضطرب في سلوكه فتقول لفلان عقدة تجاه هذا الأمر بحيث تجعله غير سوي في هذا الأمر. لذا دعا سيدنا موسى عليه السلام الله بأن يحل عقدة في لسانه.يقول الله تعالى:(

١- محمد ياس خضر الدوري، مصدر سابق- ص٢٠

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي(٢٨)[١]. وانظر إلى قول: أبي بن كعب قال:هلك أهلَ العقدة ورب الكعبة، هلكوا،وأهلكوا كثيرا، والله ما عليهم آسى، ولكن آسى على ما يهلكون من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم-؛ يعني بالعقد الذين يعتقدون على الآراء، والأهواء، والمفارقين للجماعة. فهذا الأمر قد ظهر في الأجيال اللاحقة التي اعتمدت آراء الرجال في دين الله منذ ظهور الفرق التي خرجت على جماعة المسلمين ابتداء من الخوارج ثم الشيعة ثم المعتزلة والقدرية والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من الطرق الصوفية التي جاءت بآراء مخالفة للكتاب والسنة فحدث منها الضلال والفتن عندما ألزموا أنفسهم بهذه الآراء والأهواء وتركوا الكتاب والسنة وتجد سلوكهم وعباداتهم منحرفة ومضطربة.

إذا كانت كلمة عقد أول ما تطلق على المعاني المادية ثم استخدمت في المعاني المعنوية. قال الراغب الأصفهاني في المفردات ص٣١٤(العقد: الجمع بين أطراف الشيئ: و يستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو:عقد البيع والعهد وغيرهما فيقال عاقدته وعقدته وتعاقدنا وعقدت يمينه. ومن هذه النصوص نلاحظ أن مدار كلمة (عقد) على الوثوق والثبات والصلابة في الشئ. فلا يمكن أن يقول عقد عقيدة في قلبه فهي معقودة ولكن عقد الحبل فهو معقود.

وتعاقدنا أي التزمنا بالأمر. ويمكن أن تقول اعتقد الأمر اعتقادًا فهو مبني على الآراء فيمكن أن يكون صحيحًا أو خطأً. فهو يتنافى مع الإيمان المبني على حقائق من الشرع.

وقال الفيومي في المصباح (٤٢١/٢) (اعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به وله عقيدة حسنة: سالمة من الشك. ومن هنا جاء تعريف العقيدة والاعتقاد كما في المعجم الوسيط (٦١٤/٢) حيث قال: (العقيدة الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده،

١- سورة طه-٢٧-٢٨.

والعقيدة في الدين:ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعث الرسل والجمع:عقائد)[1].انظر إلى كلمة-حتى- التي تفيد الغاية من البحث وراء هذه الكلمة، وقيل له عقيدة- من قال؟ وسنلاحظ هذه التعريفات فيما بعد عرًف به الاعتقاد. والعقيدة ليس لها هذه التعريفات. ثم هل هذه تعريفات اصطلاحية أم لغوية؟ لأنه عند البحث عنها بحثوا عن جذرها في القرآن. ولم يعتمدوا هذه التعريفات في بداية البحث. لماذا جعلتم القرآن معجمًا تبحثون فيه. ونقول حتى استقرت عند المتأخرين بتلك المعاني. كيف نرد كلمة تطورت في المعاجم إلى القرآن. فما جاء به القرآن فأول من يبين لنا معناه الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم الصحابة ثم التابعون وتابعوهم بإحسان وليس من يبحث عن معانيها في المعاجم لكي يبرهن لنا بأن العقيدة هي من ألفاظ الشرع الحنيف.

هم وجدوا كلمة عقد في المعاجم وضدها حل، ثم نظروا في القرآن وأوردوا كل آية فيها لفظة عقد.وحاولوا أن يربطوها مع كلمة عقيدة باعتبار عقد هو جذرها مع غير مراعاة أي اعتبارات أخرى لأنهم فقط يريدون أن يثبتوا أصلها. يمكن أن نرى الافتراق بين كلمة العقيدة والعقد وأنه ليس بينهما أي التقاء وأن عقد ليس جذر العقيدة. بما أن العقد في الاستخدام المعجمي يعني الربط الذي ضده الحل. أما في القرآن يحمل معاني مختلفة عقد ضده حل، ونجد هذا العقد له تأثير سلبي على الإنسان، ومن ذلك: العُقد التي ينفخ فيها الساحرات لذا وجب الاستعاذة منهن.يقول الله تعالى:(**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)**)[2].وفي الحديث قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل

١- .عثمان جمعة ضميرية – مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية – مصدر سابق- ص ١٢١

٢- سورة الفلق-١-٢-٣-٤-٥.

طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة فإذا صلى انحلت عقده كلها. فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان).[1] فالعُقد التي تعقدها الساحرات تؤثر في الإنسان، وكذلك العُقد التي يعقدها الشيطان ولم يتحلل منها الإنسان تؤثر تأثيرًا سلبيًا في سلوكه ونفسه: خبيث، كسلان. أما في المعنويات: عقد ألزم نفسه مع الآخرين بأمر فهو العهد والعقد وجمعه العقود وهذا العهد أو العقد يقع بين الناس من بيع وشراء وإيجار وغيرها فهي تؤثر في سلوك الإنسان حتى يؤدي هذا العقد فإذا أدى ماعليهم لا شيئ عليهم فقد أوفوا بهذه العقود. يقول الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**)[2]. وبعدها يشعر براحة عندما يتحلل من هذا العقد وعكسه نكث فإذا نكثوا العقود. قال الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**)[3]. يمكن أن يترتب على النكث جزاء إذا تبعه إساءة أو تعد. قال الله تعالى: (**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**)[4].أما إذا ألزم الإنسان نفسه بعهد أو بعقد وحلف عليه بالله (القسم) قال الله تعالى: (**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)[5]. يجعل الإنسان مضطربًا من

١- أخرجه البخاري.
٢- سورة الأنعام-١.
٣- سورة الفتح-١٠.
٤- سورة التوبة-١٢.
٥- سورة المائدة-٨٩.

جراء هذا الأيمان حتى يتحلل منه فإذا أدى ما عليه فقد أبرّ بقسمه. فإذا لم يؤدي هذا الأيمان يكون حنث. يقول اللّه تعالى: (**وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**)١. فيجب عليه الكفارة فقد شرع اللّه لنا تحلة هذا الأيمان. قال اللّه تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** (٢)[٢]. وكذلك عكس العقد وخاصة إذا كان مرتبطًا بالميثاق؛ والميثاق هو العهد المحكم[٣] فإن عكسه: نقض، هؤلاء يوفون بعهد اللّه. قال اللّه تعالى: (**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ**)[٤]. وعكسهم الذين ينقضون عهد اللّه. قال اللّه تعالى: (**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**)[٥]. إذًا عقد ضده حلّ: عقد الحبل عقدة- ضده حل عقدة الحبل ولا يترتب على هذا الأمر شئيًا: وهو في الماديات الذي اعتمدوا عليه في تعريفهم. ثم أرادوا أن ينزلوا ذلك المعنى على معاني الوحي ولم يفلحوا أبدًا. أما في الاستخدام القرآني يختلف: عقد في الماديات ربط وعكسه حل، أما في المعنويات: وهو في الحلف (القسم) أي ألزم نفسه بأمر ما، وضده حنث فإذا أدى فقد أبر. وعقد مع الآخرين ألزم نفسه بأمر ما ضده نكث، ونقض بعد الميثاق. فإذ أدى فقد أوفى. فهذه الأمور مؤقتة بمدة العقد فقد ينتهي هذا العقد بعد الالتزام بأداء ما التزم به.

أما في الاصطلاح فالعقيدة: هي الإيمان من حيث التعريف الاصطلاحي فلاتجد للمخالف لك في العقيدةعبارة سوى عقيدة سليمة وعقيدة فاسدة

١- سورة ص-٤٤.

٢- سورة التحريم-١-٢.

٣- علي بن عبد اللّه بن علي القرني- الفطرة -حقيقتها ومذهب الناس فيها-دار المسلم- السعودية- الطبعة الأولى ٢٠٠٣-ص٤٦٩. نقلا من معجم مقاييس اللغة لابن فارس.

٤- سورة الرعد-٢٠.

٥- سورة الرعد-٢٥.

وعقيدة صحيحة وعقيدة غير صحيحة فتعريفها بالإيمان يتنافى مع الضدية التي تميزك عن غيرك إلّا أن تقول إن العقيدة هي ما يلتزم أو يلزم الإنسان نفسه بأمر من الأمور مع غيره من مسائل شركية، أو كفرية، أو إلحادية، أو بدعية، أو فلسفية،توارثها من الآباء والكبراء من غير علم ولا هدى منه، يضحي ويعادي ويقاتل في سبيلها. وتبعد كلمة الإيمان من هذا التناقض والصراع بين أصحاب العقائد؛ لأن عكسه الكفر. وبناءً على العقيدة التي ينشأ عليها يُنسب: شيعي، معتزلي، رافضي، نصراني، يهودي، بوذي... حتى يصل درجة المسؤولية تمكنه من البحث عن الحق والتحلل من هذه العقيدة أو العقدة. ومن تلك النماذج الباهرة سلمان الفارسي -رضي الله عنه- وأبو الحسن الأشعري؛ لأن الصراع قائم بين هذه العقائد والعالم الآن مفتوح والكل يدعي أنه على حق ومخالفيه على باطل. أما ألفاظ التوحيد والإيمان فهي ألفاظ شرعية تنسجم مع الكتاب والسنة ويستمدون حقائقها من كتاب منزل محفوظ من التغير والتبديل.يقول الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1]. والمخالف للإيمان (مؤمن) أمره واضح الذي ضده الكفر(كافر) والتوحيد(موحد) الذي ضده الشرك (مشرك). تأمل وتدبر القرآن تجد تلك الموازنة والضدية واضحة من أول سورة تقرؤها. بل إن الخطاب في القرآن يسير في هذا الاتجاه ياآيها الذين آمنوا وياآيها الذين كفروا. قال الله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** (٧)[2]. حتى يوم القيامة تجد هذه الضدية بين أهل الإيمان والتوحيد والكفر والشرك أكثر وضوحًا، والمنافق الذي يبطن الكفر ويتستر بلباس الإيمان في الدنيا يلحق مع الكفار والمشركين في جهنم يوم

١- سورة الحجر-٩.

٢- سورة التحريم-٦-٧.

القيامة. قال الله تعالى: (**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**).[1]

من الأسس الدقيقة في اكتشاف الفروق الدقيقة بين الألفاظ جاء في مقدمة كتاب المباني ذكر المقابلة أساس الفصل بين المعاني وذلك يقول المصنف: (ويعتبر ذلك بالمقابلة فإنك تقول:القيام والعقود فتقابل بينهما ولا تقول القيام والجلوس أمثال هذه الألفاظ المتقاربة في الاستعمال المفارقة في المعنى كثيرة ولعل أول من أشار لقياس الضدية هي إشارة ابن السراج فأوضح معنى الضدية بان يمتحن اللفظ بضده فينظر هل ضد هذا هو ضد هذا؟ فان كان كذلك. إلا فليس هو ومن يعول على هذا المقياس يجده مطردا في كشف الفروق[2]. هذا يعني أن العقيدة ليس جذرها عقد الذي معناها العقد الذي ضده الحل. فالذين يعقدون الأمور المهمة والحساسة في الدولة الإسلامية أو يحلونها يطلقون عليهم أهل الحل والعقد. فلا يمكن أن نضع بدلاً من كلمة العقد العقيدة فنقول أهل العقيدة والحل ولا يمكن أن نضع كلمة عقد بدلا من عقيدة في قولهم العقيدة الطحاوية فنقول العقد الطحاوية فلا يستقيم المعنى ولا التركيب.وهذا يتنافى مع السياقات التي وردت فيها العقيدة والعقد حيث هناك فوارق كبيرة في الاستعمال.

كيف نساوي بين كلمة مهجورة في الاستخدام وبين لفظة جاء بها التنزيل الحكيم العقيدة هي العقد أو الإيمان، أو أن نرد أصلها إلى الكلام المعجز الذي تحدى به البلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثله. فلا يمكن أن نستبدل لفظة ترد في المعاجم بلفظة قد انتقيت من بين ألفاظ أخرى دعت إلى الانسجام مع السياق. أنه لا يجوز التسوية بين دراسة فروق الألفاظ كمفردة ترد في المعاجم وكمفردة تجري في سياق بليغ مؤثر يمتلك الغاية في الفصاحة والبلاغة ثم

١- سورة النساء- ١٤٠.

٢- .محمد ياس خضر الدوري –مصدر سابق--ص٦٧

يتوج بالإعجاز في أن يأتوا بمثله في نسق العبارة مع العبارة واللفظة وأختها على الرغم من أن ألفاظه عين ألفاظ أرباب الفصاحة فأعجازه في إقامة ألفاظه ونظم حروفه.[1] ويرى العلماء أن الخلط بين هذه الألفاظ في الاستعمال أشد من اللحن في الإعراب واستعمال هذه الألفاظ في غير ما أريد لها من المعاني الدقيقة يضيع مزية اللغة بوصفها دقيقة في التعبير فالإمام الغزالي يقرر أن استعمال هذه الألفاظ في غير حقائقها سبب إلتباس وخلط كما إذا اشتركت لفظتان في معنى وبينهما افتراق في معنى دقيق فيظن أن الحكم الذي ألغي صادق على أحدهما صادق على الآخر ويقع الذهول عما فيه الافتراق من زيادة معنى أو نقصانه مع اتحاد المسمى وذلك مما يكثر.[2]

ثم من علماء المعاجم من قال إن كلمة عقيدة أصلها عقد الذي يعني الربط؟هذا البحث عند المتأخرين عندما اصطدموا بعبارة جعلوها أصل الدين ثم أصبح التخلص منها أمرًا في غاية الصعوبة وخاصة أن المؤلفات بدت تتدفق تحمل مسماها من غير انقطاع مما ألجأهم إلى البحث عنها.

فالرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بما يريد إخبارهم به وهو أقدرهم على ذلك والإفصاح عنه وهو أحرصهم على هداية الخلق وأشدهم إرادة لذلك فلا يمكن أن يقع في كلامه شيئ من النقص والقصور بخلاف كلام غيره فإنه لا يخلو من نقص في أحد هذه الأمور أو جمعيها- جهل المتكلم- أو عدم الفصاحة أو الكذب أو الغش- فلا يصح أن يعدل بكلامه كلام غيره، فضلا عن أن يعدل عنه إلى كلام غيره فإن هذا هو غاية الضلال ومنتهى الخذلان.[3] فكيف نعدل عن كلمة الإيمان إلى كلمة العقيدة أليس هذا هو.....؟

ومما ينبغي أن يعلم أنه لا يجوز حمل نصوص القرآن على الوجوه اللغوية

١- المصدر السابق٢٣ و٣١

٢- .المصدر السابق ص ٧٢

٣- .محمد خليل هراس- مصدر سابق- ص ١٠٧

الشاذة والمحامل الضعيفة المنكرة في كلام العرب والمصطلحات والمعاني الحادثة التي ظهرت بعد عصر التنزيل ولا يصوغ لأحد أن يحمل الآيات القرآنية على المعنى الذي وجد عند المتأخرين، وإنما تفسر بما كان متعارفًا لدى الجيل الأول، ويجب أن تحمل تلك النصوص على المعروف عند العرب من الأوجه المطردة، وعادتهم عند نزول القرآن، وتحمل على الأكثر استعمالاً دون القليل والنادر وعلى الأشهر فصاحة وعلى الأغلب بلاغة وعلى الأتقن رصانة وذلك لأن القرآن أفصح الكلام وأبلغ البيان ونزل على أتقن اللغات وأفصحها وأشهرها والذي نزل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب فلا يعدل به عن ذلك كله.[1]

مما يلاحظ من خلال هذا السرد في تعريف العقيدة هو البحث عن معناها في المعاجم حيث تغلغلت في الوجدان واستقرت في القلب والعقل ثم ذهبوا لتأصيلها اصطلاحًا بعد أن أثبتوها لغويًا، بنفس الاضطراب المنهجي في عملية البحث عنها لغويًا، ومن ثم فرضها مصطلحًا شرعيًا يحمل دلالات شرعية من الكتاب والسنة، إرغامًا للآخرين باعتبارها مصطلحًا شرعيًا والدفاع والذود عن عرينها ضد أي اعتراض بحقيقتها لغويًا واصطلاحًا. من أبجديات علم المصطلح أن المصطلح يؤسس منذ أن تظهر الحاجة إليه وكلمة عقيدة هي اسم كتاب للطحاوي والصابوني والغزالي والأصبهاني وابن أبي زيد القيرواني وابن تيمية. يتناولون مسائل في الإيمان. لذا دفعهم هذا التعريف فيما بعد بأن ينسبوا العقيدة إلى الإسلام لكي يتمايزوا عن غيرهم من الديانة المحرفة العقيدة الإسلامية. أو ينسبونها إلى السلف عقيدة السلف، لكي يتمايزوا عن الفرق الأخرى. بل ذهبوا أبعد من ذلك حينما نسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام مما دفعهم هذا إلى أن يعرفوها اصطلاحًا بالإيمان، ثم نسبوها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهكذا تسللوا في غياب تحكيم نصوص

١- طاهر محمود محمد يعقوب –مصدر سابق ص ٩٩٣

الوحي وتقليد آراء الرجال الذين نطقوا بكلمة العقيدة. وخاصة ابن تيمية مجدد منهج أهل السنة. حتى أصبحوا هم أهل الاصطلاح.

والقرآن نزل بلغة العرب وبيانه جاء به النبي العربي صلى الله عليه وسلم بلغة العرب أيضا فلا يفهم إلا على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة، وفي أساليب بيانها للمعاني ومن القيود اللغوية أيضا التمسك بنظم الكلام وسياقه ومنها البعد عن المعاني الشاذة المنبوذة في لغة العرب أو في مصطلحات الشرع، وأيضا بما يعرف من مقاصد الشرع القطعية في المسألة ذات علاقة بموضوع النص والالتزام بمعنى النظائر في النصوص وعدم الانتقائية وتعدد موازين الفهم ومعاييره ومنها الأخذ بأحسن الوجوه عند تعدد الاحتمالات والأولى بمعالي الأمور والأوضح لدى القلوب والأوفق بمحكمات القرآن وأحسن ظن بالله تعالى ورسوله ومن الاعتبار بفهم علماء الصحابة رضوان الله عليهم ومنها الاستشارة بالمناسبات التي نزل فيها النص القرآني وصدرت فيها سنة قولية أو فعلية واهتدى إليها أهل الذكر في العصور المختلفة ولا يجعلها ظهريا إلا صاحب قلب استوطنته الأهواء والشبهات والظنون[1].

أليس هذا نوع من المعارضة للقرآن في ألفاظه بحيث نأتي بلفظة محدثة مبتدعة ثم نعارض بها كلام الله من حيث المساواة في المعنى والاستخدام كأن لهما نفس المعنى، أو أن مراد الله من الإيمان هو العقيدة. فكيف نجعل كلام البشر مساويًا للكلام المحكم من حكيم خبير.افتراضًا بأن العقيدة هي العقد وأن الله سبحانه وتعالى طلب من المؤمنين أن يفوا بالعقود كما هو في سورة المائدة. لماذا لم تجعلوا كلمة العقد هي الأصل في جميع مسائل الدين إذا كان الله سبحانه وتعالى طلب منا الوفاء بهذه العقود لكي يكون التوافق والتناسق مع القرآن ومطالبه وأوامره لكي يحدث الانسجام من يقرأ القرآن. تأمل إلى هذا التحذير. قال الله تعالى:(**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ**

١- محمد نعيم ياسين ، مرجع سابق ، ٢٣٣ – ٢٣٦ بتصرف .

أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)[١]. فقد أوصانا الله بذلك في الحياة الدنيا. ومن تلك الوصايا العشرة التي طلب الله منا الوفاء والالتزام بها. قال الله تعالى: (**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**).[٢] وذلك العهد الذي أخذه منا ونحن في عالم الذر. قال الله تعالى: (**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)**[٣]. أليس هذا العهد الذي ينسجم مع آية المائدة. قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**).[٤] وأنتم بدلتم كلام الله بأن جعلتم مكان العقود العقائد والعقد العقيدة وجعلتموها أصل الدين وبنيتم عليها جميع مسائل الدين أليس هذا تبديل لكلام لله. ثم جعلتم جميع مصنفات السلف من الأحاديث الصحيحة وكتبهم في جميع مسائل الإيمان الذي حصل فيها نزاع شديد بينهم وبين الفرق الأخرى تابعة لكلمة العقيدة. أليس هذا تزوير وتبديل لجهود السلف الذين سموا مصنفاتهم بأسماء تتوافق مع ما يريدون من تقرير المسائل في أصول وفروع الدين: من التمسك بالسنة، أو إظهار بدعة محددة، أو التحذير منها، أو التحذير من أهل الأهواء، وغيرها.

١- سورة يس-٦٠-٦١-٦٢.
٢- سورة الأنعام-١٥٢.
٣- سورة الأعراف-١٧٢-١٧٣-١٧٤.
٤- سورة المائدة-١.

مع أننا إذا وجدنا لفظة في القرآن فإننا نبحث عنها في لسان العرب لكي نعرف معناها فإذا وجدناها عرفنا معناها وربما يضيف القرآن لها معنى آخر مثل كلمة الصلاة التي تعني الدعاء في لغة العرب ولكن القرآن أضاف لها معنى آخر لتتحول من معناها اللغوي إلى معناها الشرعي.

ولما كان الأمر كذلك، كانت لغة العرب من أهم المصادر وأوثقها في معرفة كلام اللّه تعالى، وكان من أهم ما فيها وهو من بدايات علم التفسير معرفة دلالات الكلام (أي : معاني الألفاظ) التي يدور عليها كثير من علم التفسير، ليعرف المراد بالخطاب. وهذا مما لا يسع الجهل به لمن أراد علم التفسير، وبيان معنى كلام اللّه الخبير، إذ لزامًا عليه أن يعرف مدلولات الألفاظ، ويستخرج معانيها من مصادرها المعتمدة. ومن رام معرفة مدلولاتها من غير لغته، أو اعتمد معاني محدثة، أو مولدة أو مصطلحات ليست من لغته كان من أهل التحريف والزيغ، كمن فسر «استوى» بأنه «استولى»، وليست تجد هذا المعنى محكيًا عن العرب، أو من فسر الذرة الواردة في القرآن على أنها الذرة التي يحكيها علماء الفيزياء والكيمياء.[1] أليس اعتمدنا معنى محدثة ومصطلحًا مبتدعًا ليس من ألفاظ القرآن بل أخضعناها لمصطلح محدث مبتدع.

فمن أورد معنى لا تعرفه العرب كان ذلك مما يدل على بطلانه، إذ المعاني محددة محصورة، ومدونة مشهورة، لا يمكن أن يزاد فيها ما ليس منها، فمن فسر الحجارة بالبرد، لزمه صحة النقل عن العرب في أنهم يطلقون هذا على هذا، وإلا رد قوله ولم يقبل وبهذا تكون اللغة التي ثبتت حتى عصر الاحتجاج بنقل العدول من علماء التفسير واللغة وغيرهم، هي اللغة التي يرجع إليها في تفسير كلام اللّه، وما عداها لا يعتمد عليه، ولا يوثق به وإذا تأملت تفسير القرآن في الآثار المنقولة عن الصحابة أو التابعين أو أتباعهم،

١- .مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار - التفسير اللغوي للقرآن الكريم - دار ابن الجوزي - السعودية- الطبعة الأولى- ١٤٢٢هـ -ص ٥

وفرزت كل نوع من هذه الآثار المنقولة، فإنك ستجد ما كان مرجعه اللغة له الحظ الأوفر، والنصيب الأكثر. بل ستجد أن تعدد مدلولات لفظ من ألفاظ القرآن في لغة العرب كان سبباً في اختلاف المفسرين، فمنهم من اجتهد رأيه واعتمد معنى، ومنهم من اجتهد رأيه واعتمد معنى آخر، وكلاهما كان معتمده الأول ورود هذا المعنى في لغة العرب، ثم صحة حمل هذا اللفظ على الآية. في هذا النص ذكر ابن جرير (ت:٣١٠) ضابط التفسير اللغوي عنده، وهو عدم خروج المفسر باللغة عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة، ويظهر من استقراء كتابه أن هؤلاء الذين ذكرهم بهذا الوصف هم: الصحابة والتابعون وأتباعهم. أما اللغويون الذين عاصروا أتباع التابعين : فإنه كان يرد أقوالهم، وإن كانت تحتملها الآية، ويعلل ذلك بخروجها عن أقوال أهل التأويل، ويعني بهؤلآء الطبقات الثلاث من علماء الأمة[1]

فلا نجد كلمة العقيدة كلمة محكية بمعنى العقد في كلام العرب وفي كتاب الله الذي نزل بأفصح لغة وفي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وفي كلام السلف الذين هم خير القرون. بل المتأخرون هم من وضع لها معان ثم أنزلوها هذه المنزلة العظيمة من كلام الله سبحانه وتعالى وعلى جميع مصنفات السلف الذين ألفوا في أبواب الدين من إيمان توحيد وسنة وشريعة. وهؤلاء عكس الاستدلال بحيث جاؤوا بكلمة مبتدعة فجاسوا بها في ألفاظ القرآن من أجل معرفة معناها. والأصل معرفة ألفاظ القرآن من خلال لغة العرب ومن ذلك كلمة استوى ماذا تعني في كلام العرب فإذا وجدوها اعتمدوا معناها، ومن جاء بغير ذلك من أجل صرف معناها إلى معنى يريد أن يؤكد به مذهبه رد كلامه لأنه يخالف لغة العرب. بل هو من أهل الزيغ والتحريف.

١- . المصدر السابق –ص ١٨٦

هل هذا يعني أن جذر الكلمة إذا كان موجودًا في القرآن، أو السنة يعطيها هذه القداسة بحيث تكون هي أصل من أصول الدين وأن الدين كله شريعة وعقيدة وأن العقيدة هي الأصل والإيمان والتوحيد ركنان من أركانها بهذه الطريقة يمكن أن يغر الجهال والضعفاء بأن الشيعة لها أصل في القرآن. قال الله تعالى: (**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**)[1]. وأن علي هو أجدر بالخلافة من أبي بكر وعمر ذلك لأن علي بمنزلة النبي كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)[2]. وأن منزلة النبي أعلى من منزلة الصحابي.

ما نلاحظه في تعريف العقد شد وربط وكذلك العقيدة تجعل صاحبها يميل إلى التعصب والتشدق في الأمر الذي يعتقده مما يؤدي إلى التطرف والقسوة في الأمر الذي يعتقده (الحلف، أو آراء الرجال، والأهواء) أما الإيمان فإنه يزيد بالأعمال الصالحة، وكلما ازداد هذا الإيمان ينتقل إلى مرحلة الإحسان في جانب العبودية تجعل مراقبة الله سبحانه وتعالى مراقبة ذاتية نابعة من ذلك الإيمان كأنه يراك في كل حين ويجعلك تستحي أن تعصيه. وإذا نقص هذا الإيمان فإنه يؤدي إلى العصيان ويصبح الإيمان ضعيفًا.

هناك إشكالية حيث نجد إنسانًا له عدة عقائد وليس عقيدة واحدة يعتنقها مثلا: إنسان يؤمن بأركان الإيمان الستة مثله مثل أهل السنة؛ ولكن له عقيدة في شيخه أو أحد الأولياء يمكن أن يجيب دعاءه إذا دعاه وعقيدة في أسماء الله وصفاته يخالف بها أهل السنة، هذه عقيدة يعتقدها وليس يؤمن بها لان الإيمان يحتاج إلى دليل قاطع من الذي تؤمن بها وإقامة الأدلة على صدقه أما هذا فلا يجد له دليلًا على أن الصالحين يجيبون دعائه، أو

١- سورة القصص-١٥.

٢- رواه البخاري.

أن عيسى عليه السلام هو الإله وشريك مع اللّه. بل عقيدة وجد عليها الآباء وهو على آثارهم.

ومن خلال هذا التعريف اللغوي نجد أن كلمة العقد تدور في أمور يمكن التحلل منها فليس لهذه علاقة بالمصطلح المتعارف عليه بحيث يجعلون مصطلح العقيدة شاملًا لأركان الإيمان الستة ويخلطون بين ذلك كثيرًا بحيث يقولون أن العقيدة هي الإيمان أن تؤمن باللّه وملائكته و... ويستدلون بالآيات التي تتكلم عن الإيمان وكذلك الأحاديث التي تتناول الإيمان. هذا يقودنا إلى تعريف العقيدة اصطلاحًا.

أولًا قبل أن نخوض في تعريف مصطلح العقيدة، يجب أن نقرر كيف نشأت الفرق والمذاهب التي خالفت أهل السنة، ومن ثم بدأت في بناء عقيدتها المخالفة لأهل السنة والجماعة.

أول فرقة خرجت من جماعة المسلمين هي فرقة الخوارج التي خرجت على سيدنا علي -رضي اللّه عنه- ومن ثم أظهروا أقوالًا وأفعالًا مخالفة للكتاب والسنة، من ذلك مسألة التكفير ومرتكب الكبيرة، مما جعل علماء السنة يردون عليهم في تلك المسائل، ومع مرور الزمن أصبحت تلك المسألة وغيرها من المسائل التي خالف فيها الخوارج أهل السنة فيما بعد ويلتزمون بها في مواجهة أهل السنة والجماعة فلم يرجعوا عنها، فأصبحت عندهم عقدة يدينون بها لرب العالمين. وعندما بين لهم عبد اللّه بن عباس خطأهم فيما ذهبوا إليه في مسألة التحكيم، وبين لهم الحق بالكتاب وبالسنة رجع منهم من رجع، وأصر الباقون على ما عقدوا عليه قلوبهم فأصبحت عقدة وعقيدة (أي ألزموا أنفسهم بتلك المسائل وهي مبنية على الآراء والأهواء) وكما قال أبي بن كعب هلك أهل العقدة.

ثم ظهرت الشيعة التي خرجت عن جماعة المسلمين وأثارت مسألة الإمامة التي خالفت فيها إجماع المسلمين وغيرها من المسائل مما جعل علماء السنة

يردون عليهم في تلك المسائل بالكتاب وبالسنة وإجماع الصحابة، ومع مرور الزمن أصبحت الإمامة وغيرها من المسائل فيما بعد التي خالفوا فيها أهل السنة يدينون بها لرب العالمين فأصبحت عندهم عقدة، وعقيدة عقدوها في قلوبهم (أي ألزموا أنفسهم بتلك المسائل وهي مبنية على الآراء والأهواء). وإن استبان لهم الحق عند أهل السنة. ثم ظهرت المعتزلة بالقول بالمنزلة بين المنزلتين مخالفين في ذلك أهل السنة والجماعة، وغيرها من المسائل فيما بعد. مما جعل أهل السنة يردون عليهم في تلك المسائل التي خالفوا فيها بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ومع مرور الزمن أصبحت هذه المسائل عقدة وعقيدة يدينون بها(أي ألزموا أنفسهم بتلك المسائل وهي مبنية على الآراء والأهـواء). ثم ظهرت فرقة الجهمية وتحدثوا في مسألة الصفات والأسماء بما يخالف نصوص الكتاب والسنة مما جعل أهل السنة يردون عليهم في تلك المسائل بالكتاب والسنة، ومع مرور الزمن أصبحت هذه المسائل عقدة وعقيدة يدينون بها (أي ألزموا أنفسهم بتلك المسائل وهي مبنية على الآراء والأهواء). مخالفين به الكتاب والسنة. ثم ظهرت القدرية الذي تكلموا في مسألة القدر بما يخالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة مما جعل علماء السنة يردون عليهم في تلك المسائل بالكتاب والسنة، ولم يحتكموا إليهما. وحكموا آراء الرجال في دين الله ومع مرور الزمن أصبحت تلك المسائل عند القدرية عقدة وعقيدة يدينون بها (أي ألزموا أنفسهم بتلك المسائل وهي مبنية على الآراء و الأهواء)..

وهكذا ما تظهر فرقة تخالف نصوص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أي مسألة من المسائل التي سلّم بها الصحابة والتابعون إلا تصدّى لها علماء السنة بالرد بالكتاب وبالسنة وإجماع الصحابة. أما أهل السنة فليس لهم عقيدة مبنية على أقوال وآراء الرجال فهم على التسليم في جميع ما جاء به القرآن والسنة وفهم الصحابة والسلف

الصالح في تلك المسائل التي أثارها أهل الأهواء، وما اشتبه عليهم ردوه إلى علم الله ورسوله.

وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من أعظم الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد أن يعارض القرآن برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده. فضبط ما روي عنهم في ذلك أفضل العلوم مع تفهمه وتعقله والتفقه فيه وما حدث بعدهم من التوسع لا خير في كثيرمنه إلّا أن يكون شرحًا لكلام يتعلق بكلامهم في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد من بعدهم من الحق إلا وهو في كلامهم بأوجز لفظ وأقصر عبارة ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل ألّا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يلم به.[1]

أسباب التأليف في مسائل الإيمان :

إن من أهم دواعي التأليف في مسائل الإيمان الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة الذين أثاروا مسائل محددة في الدين، وهذه المسائل مخالفة للكتاب والسنة مما جعل العلماء يردون على تلك المسائل ومن أهم تلك مسائل: الصفات والأسماء والقدر وخلق القرآن ومرتكب الكبيرة والتحكيم وفضل الصحابة، فأصبح أهل الفرق والمذاهب يحررون تلك المسائل على أنها الحق المبين، مع ضعف حجتهم وأدلتهم. أما أهل السنة فلم يجعلوا مقالة قائل أو رأي عالم بدون بينة من أساس دينهم الذي يدينون به خاصة في المسائل التي سلّم بها الصحابة والتابعون.

الشيئ الطبيعة أن الإنسان عندما يعيش في بيئة معينة لا يحتاج أن يظهر ويعلن مذهبه ودينه ما عدا الشعائر التي يمارسها مع جماعته التي يدين ويصرح بها لأن الإنسان إذا كان سنيًا، أو شيعيًا ليس هناك دواع تجعله يعلن ويظهر ما يدين به بين أفراد المجتمع، إنما العكس أن يعلن مذهبه وعقيدته

١-طاهر محمود محمد- مصدر سابق- ص٩٦٩-٩٧٢

عندما يظهر من يخالفه ويدعو إلى ذلك، هذا يحدث في المجتمعات التي تختلط فيها المذاهب والفرق، مثلاً الزمخشري عندما ألف كتابه في التفسير افتتحه بالحمد لله الذي خلق القرآن لكي يؤكد على عقيدته في القرآن فلما نبه لذلك لأن يغير هذه العبارة فأبدلها بعبارة الحمد لله الذي جعل القرآن وجعل تعني عندهم خلق. وتجد السني يبدأ حديثه أو كتابه بخطبة الحاجة التي يبدأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أعمالنا... مما يجعل كل صاحب مذهب يحافظ على أتباعه ويحذرهم من المذاهب الأخرى ويدعو لمذهبه ويخطيء منافسه مما يجعل الناس يتمايزون عن غيرهم فيما يعتقدون أنه الصحيح مما يجعل العلماء يقررون في كتبهم ما يعتقدونه في تلك المسائل التي يخالفون فيها غيرهم ومن ثم يقتدي بهم أتباعهم وهكذا ينشأ الصراع بين المذاهب والعقائد والفرق والكل يدعي أنه على صراط مستقيم وأن غيره على ضلال مبين. قال الله تعالى: (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**)[1]. وقال الله تعالى: (**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠)**)[2].وقال الله تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**)[3].

الكل يدعي وصلاً بليلى- وليلي لا تقر لهم بذلك. كل صاحب مذهب، أو فرقة أو عقيدة يدعي أنه صاحب الحق المطلق فيما يدعو إليه، ويحاول أن

١- سورة غافر-٢٦.

٢- سورة العراف-٥٩-٦٠.

٣- سورة البقرة-١١٣.

×راجع ص-١٠٨

ينسب ما يدعو إليه إلى الرسول صلى اللّه عليه وسلم، ويحاول أن يثبت أن معتقده الأصل وإن افتراء على الرسول صلى اللّه عليه وسلم أحاديث ليست صحيحة، مما جعل أهل السنة يفندون تلك الأحاديث الموضوعة والضعيفة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. والبعض الآخر ذهب يلتمس الحق فيما يدعيه إلى الصحابة أو التابعين أو الأئمة لكي يأخذ السند الشرعي فيما يدعيه، مما جعل علماء السنة ينفون عن الصحابة والتابعين والأئمة ما يلحقه أصحاب المذاهب الباطلة في دعواهم أنهم على مذهب وعقيدة الإمام كذا مما جعلهم يثبتون آراء التابعين والأئمة وأن أقوالهم وآراءهم تبعًا لما جاء به الرسول صلى اللّه عليه وسلم وسار عليه الصحابة كما بينوا ذلك (أقوال الأئمة في إتباع الرسول)× وأنهم براء مما ينسب إليهم من أصحاب الفرق، وبعضهم يوضح طريق السلف في المسائل التي أحدثتها الفرق من تلك الكتب كتب الإيمان والأسماء والصفات والقدر والتوحيد، والردود على أصحاب المذاهب المخالفة للكتاب وللسنة وفضل الصحابة وهذا يعكس حرص السلف على تقرير المسائل التي يكثر النزاع فيها في عصرهم وفي تلك الفترة لم يكن يظهر كتاب العقيدة الطحاوية الذي أكّد فيه الطحاوي مسائل الإيمان على مذهب أبي حنيفة، ويتبرأ من أهل المذاهب المنحرفة والضالة.

قبل أن نخوض في تعريف مصطلح العقيدة، فقد تأكّد لنا أن أول من أطلق كلمة عقيدة في مؤلف هو أبو جعفر الطحاوي فقد ذكر كلمة عقيدة في بداية الكتاب فقط ولم يعرفها لنا،لا لغة ولا اصطلاحًا، ولا حتى الذي شرحها أبو العز الحنفي وهو من أشهر من شرحها على مذهب أهل السنة. إذًا الأصل في معنى كلامه لا كلام المتكلمين من بعده وأن ألفاظه تامة وليس من عرفوا لنا العقيدة هي العقد من حيث اللغة والإيمان من حيث الاصطلاح وهذا استدراك على الطحاوي الذي لم يعرفها ودعوى لا يصار إليها إلا ببينة. وكان هذا في بداية القرن الرابع، وهؤلاء في القرن الخامس عشر. ولم

يكن هذا المصطلح متعارف عليه عند السلف مع أن موضوعاته لم تخرج عن موضوعات تلك الفترة من إثبات آراء وأقوال الأئمة في المسائل التي خالفوا فيها الفرق التي خرجت عن جماعة المسلمين والرد عليهم بالكتاب والسنة. وهو عبارة عن متن تناول فيه مسائل التوحيد والإيمان والرد على المذاهب التي خرجت عن جماعة المسلمين من القدرية والشيعة والجهمية وغيرهم وهو لا يخرج من طريقة السلف في مصنفاتهم: فقد جاء في متن العقيدة الطحاوية مايلي:هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به لرب العالمين. نقول في توحيد الله معتقدين- بتوفيق الله- في توحيد الله: إن الله واحد لا شريك له.[1] ثم يذكر ما يؤمن به أهل السنة والجماعة ويخالف فيه آراء جاءت بها الفرق التي خرجت، وخالفت به الجماعة. وفي الختام سأل الله: أن يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الرديّة مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم برآء وهم عندنا ضلّال وأردياء وبالله العصمة والتوفيق.[2] مع أن غيره يرى مذهب أهل السنة على غير مذهب الإمام أبي حنيفة . وقد ذكر شيخ الحرمين أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجى وكان من أئمة الشافعية في كتابه الذي سماه: (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاما لذوي البدع والفضول) الأئمة وارثي علم السلف، وهم الشافعي، ومالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، والبخاري- صاحب الصحيح- وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، والأوزاعي، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهوية، ونقل عنهم اعتقادهم. وأئمة السلف أكثر من هذا بكثير ولكنه

١- صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي- مصدر سابق- ص ١٨-

٢- .محمد عبد الرحمن الخميس- توضيح بعض المصطلحات العلمية في العقيدة الطحاوية- دار إيلاف الدولية- السعودية-الطبعة الأولى ١٩٩٩ص٤٩-٥٨

اقتصر على الأئمة الذين كانوا قدوة في عصرهم، ولأنهم أرباب المذاهب في الجملة، ولهم أهلية الاقتداء بهم لحيازتهم شروط الإمامة، وليس من سواهم في درجتهم، وإن كانوا أئمة كبراء قد ساروا بسيرهم.[1]

في بداية المتن ذكر الطحاوي: نقول معتقدين. مع أن أباحنيفة ذكر في بداية متن الفقه الأكبر: يجب أن يقول : آمنت بالله. والرسول صلى الله عليه وسلم، قال للصحابي أبي عمرو سفيان بن عبدالله-رضي الله عنه- الذي سأله أن يقول له قولاً في الإسلام لا يسأل عنه أحدًا. فقال له: قل: آمنت بالله ثم استقم[2]. أيهما أبلغ كلمة معتقدين أو كلمة آمنت في مسألة التوحيد؟ كلما تباعد العهد من منابع السنة يظهر الخلل في الأمة. ودائمًا يقول الطحاوي: نؤمن ولم يقل نعتقد.»فقد أورد ابن تيمية كلامًا مناهضًا لكلام الطحاوي بأحقيته في فرض هذه العقيدة على الآخرين عندما نسبها إلى أهل السنة والجماعة ثم حصرهم في مذهب أبي حنيفة. وعبارة: غيرهم، مبهمة. يقول ابن تيمية: ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله تعالى أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومختلفين في إجماع من بعدهم. وقال أيضا رحمه الله: وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها وصبر على امتحانه ليفارقها. وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة.[3] مع أن الطحاوي -غفر الله له- ابتدع لفظة لم تكن من عبارات السلف، ولا من عبارات أبي

١- عمر سليمان الأشقر-أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة- دار النفائس – الأردن- الطبعة الثانية-١٩٩٤-ص٩٥.

٢- رواه مسلم.

٣- - أحمد بن حنبل – الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق صبري سلامة شاهين، دار الثبات السعودية – ط١، ٢٠٠٢م، ص٦.

حنيفة؛ بل المشهور عندهم لفظة مذهب، كما ذكر ذلك الطحاوي: المذاهب الرديئّة، التي أطلق عليها المتأخرون العقيدة. يقول شيخ الإسلام، ابن تيمية رحمه اللّه: (وأما أهل الحديث: فإنما يذكرون مذهب السلف بالنقول المتواترة، يذكرون من نقل مذهبهم من علماء الإسلام، وتارة يروون نفس قولهم في هذا الباب).[1] مع أن الطحاوي أردفها مباشرة مع لفظة العقيدة التي لا تحمل أي معنى من خلال هذا السياق. بدلاً من: هذا بيان عقيدة أهل السنة، والجماعة، كان الأفضل: هذا بيان مذهب فقهاء الملة، أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، و... ،على مذهب أهل السنة والجماعة. مع أن أهل السنة والجماعة ليس لهم عقيدة، أنما هو الإيمان. يقول اللّه تعالى: (**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**).[2]

ومن أراد أن يؤصل مذهبه ويبينه استخدم هذه اللفظة، وهذا السبب جعل الذين يأتون من بعده يستخدمون كلمة عقيدة في إظهار مذهبهم، وضاعت كلمة مذهب من التداول كما ضاعت كلمة التوحيد، والإيمان من التداول عند المتأخرين. ولم يلتفت أحد إلى معنى كلمة عقيدة لتنهال بعد ذلك الكتب التي تحمل كلمة عقيدة لمن أراد أن يؤصل لمذهبه من غير تعريف واضح لها. (افتراض: لو لم يذكر الطحاوي هذه اللفظة واكتفى بلفظة مذهب كما هو متعارف عليه هل سيكون لهذه اللفظة تداولاً؟ ومن بعد تنال هذه المكانة العظمى والدرجة الرفيعة عند المتأخرين. وكلما ابتعد المسلمون من الكتاب والسنة ظهرت البدع واتسعت.

وكذلك كتاب عقيدة المسلم أهل الحديث للصابوني. سبب تأليف الكتاب أن أخوته في الدين طلبوا منه: أن يجمع لهم فصول في أصولاً الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالح.

١- .جمال بن أحمد بن بشيرباي –مصدر – ٣١

٢- سورة الحشر–١٠

ويبدأ المؤلف أول ما يبدأ به الوحدانية وبالرسول والنبوة ثم تكلم عن الصفات ثم أركان الإيمان وكل المسائل الإيمانية التي كان يدور حولها الصراع بين السنة وغيرهم من الفرق والطوائف .

وكذلك كتاب ابن تيمية العقيدة الواسطية سبب كتابته هو أن رجلًا من أهل واسط طلب من ابن تيمية أن يكتب له كتابًا عن العقيدة لأن في واسط ظهرت عقائد كثيرة فأراد الرجل أن يكتب له عقيدة يتمسك بها فكتب له عن الإيمان والأسماء والصفات المتعلقة بالله سبحانه وتعالى التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة وجاء في متنها:(مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة اعتقاد الفرقة الناجية إلى يوم الساعة – أهل السنة والجماعة : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره. هذه افتتاحية العقيدة الواسطية. ولامشاحة في التسمية فالمقصود التمييز [1]. توجد مشاحة إذا كانت هناك مخالفة لغوية أو شرعية. لم يذكر كلمة العقيدة في المتن بل بدأ بلفظة الاعتقاد ثم يتحدث عن المسائل التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة. وليس هناك أي تعريف للعقيدة، أو الاعتقاد لا لغة ولا اصطلاحًا مع ان ابن تيمية من أكثر العلماء الذين يحررون مسائل العلم تحريرًا مبنيًا على الكتاب والسنة، ولكن في هذه أصابه ما يصيب البشر من الخطأ. وهنا أكثر ما نعتمد عليه في تحرير المسألة من أقواله رحمه الله وغفرله. نلاحظ أن كتب العقيدة التي ألفت في تلك الفترة كانت تنسب إلى أشخاص أو أماكن ولم تكن في تلك الكتب التي ألفت في العقيدة كتاب يسمى العقيدة الإسلامية. وهذا تجده كثيرًا عند المتأخرين وهذا المصطلح لا يعرف له تعريف اصطلاحي في تلك الفترة وهؤلاء العلماء ذكروا كلمة عقيدة في بداية المؤلف وأحيانًا يردفون معها لفظة اعتقاد وكأن الكلمتين مترادفتين، ثم يتكلمون عن مسائل الإيمان وما يتعلق بصفات وأسماء الله سبحانه

١- . عبد الرحمن بن ناصر البراك - توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية – دار التدمرية -الطبعة الثانية- ٢٠٠٩ ص٢٣

وتعالى. وإن كتب العقيدة بعدهم لم تخرج عن موضوعات الإيمان إلى يومنا هذا التي كان يناقشها السلف الصالح في ردهم على أصحاب البدع والأهواء وبالتالي فإن معظم الذين كتبوا في العقيدة من المتأخرين لا يعتمدون تعريفًا متفقًا عليه أو واضحًا مما يعني أن تعريف مصطلح العقيدة مسألة اجتهادية عندهم مما أدى إلى الكثرة والاضطراب في تعريف العقيدة لديهم ولم يأتوا بشيئ جديد في موضوعات العقيدة.

تعريف مصطلح العقيدة

هل العقيدة علم له قواعد وأسس راسخة من الدين يستند عليها من يريد التحدث في علم العقيدة أو الدعوة إليها، وهل له سلف صالح يستمد منهم تلك الأسس التي أصلوها له؟. فإذا كان كذلك يصبح لهذا العلم علماء يتميزون به، وله مصطلحات تحدد معالمه كما هو في معظم العلوم الشرعية، خذ مثلًا علم الحديث: مصطلحاته: الصحيح الضعيف المتن السند...علماؤه: أحمدبن حبنل، علي بن المديني، يحيى بن معين. الفقه مصطلحاته: واجب جائز مندوب مستحب... علماؤه: مالك بن أنس، والشافعي أبو حنيفة الليثي. ما المنطلقات الشرعية التي ينطلق منها صاحب العقيدة هل الكتاب والسنة؟ أم أقوال السلف في تناولهم لمسائل العقيدة التي كانت تدور بينهم وبين الفرق الأخرى التي خالفتهم؟ أم هو مصطلح يتناول قضايا ومسائل محددة دعت إليها الحاجة كما هو متعارف عليه في الدراسة الاصطلاحية؟ خذ مثلًا مسألة بعض الصفات التي يخالف فيها المعتزلة والأشاعرة والماتريدية أهل السنة. فهذه عقيدة عند المعتزلة والأشاعرة والماتريدية أما أهل السنة يؤمنون بها من غير كيف أي لا يستخدمون العقل في الكيفية، أما غيرهم فقد استخدموا العقل فيها لذا اضطروا إلى تأويل الآيات التي تتحدث عنها تأويلات بعيدة عن معانيها. وهنا سنجد من يذكر العقيدة كمصطلح والبعض الأخر يستخدمها كعلم. مما يجعل الرؤية غير واضحة في استخدامها.

لم نذكر التعريفات اللغوية لكلمة عقيدة مع أنهم عادة يذكرون العقيدة لغة ثم اصطلاحًا لذا هنا لم نذكر العقيدة لغة إلا حسب ما تقضيه الحاجة فقد أوردنا تعريفها سابقًا. تأمل ودقّق لترى الفوارق في هذا الادعاء ثم تستطيع أن تقرر ما معنى عقيدة، هل هي حقيقة شرعية أم وهم سيطر على من عرفها بهذه التعريفات؟

- العقيدة ما يدين الإنسان به يقال له العقيدة حسنة أي سالمة من

الشك والعقيدة عمل قلبي بالشيئ وتصديقه. والعقيدة شرعًا هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخرة خيره وشره وتسمى هذه أركان الإيمان والشريعة تنقسم إلى اعتقادات وعمليات فالاعتقادات: هي التي لا تتعلق بكيفية العمل مثل اعتقاد ربوبية الله ووجوب عبادته واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة وتسمى أصلية. والعمليات وهي ما يتعلق بكيفية العمل مثل الصلاة والزكاة والصوم وسائر الأحكام العملية وتسمى فرعية لأنها تبنى على تلك صحة وفسادًا. فالعقيدة الصحيحة هي التي يقوم عليها الدين وتصح معه الأعمال كما قال الله تعالى: (**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) الكهف : ١١٠. وقد بقي الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى التوحيد وإصلاح العقيدة لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين.[١]

-العقيدة هي الإيمان بالله وبما يجب له من توحيد، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وبما يتفرع عن هذه الأصول مما يلحق بها من أصول الدين. وللعقيدة الصحيحة أسماء متعددة أهمها: السنة- أصول الدين والفقه الأكبر والمتمسكون بالعقيدة الصحيحة هم أهل السنة والجماعة وهم المتمسكون بالعقيدة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفق عليها أصحابه رضي الله عنهم – ويسمى أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية.[٢]

– فالعقيدة سابقة على الشريعة، وهي أول ما يطلب من الإنسان الإيمان به وقد سبق لنا عند تعريف العقيدة والإيمان وهما اسمان لمسمى واحد. وإن اختلفت التعاريف. فالعقيدة في الاصطلاح هي الفكرة الكلية عن الكون

١- . صالح بن فوزان بن الفوزان – عقيدة التوحيد – مكتبة دار المنهاج الرياض – السعودية – الطبعة الاولى ١٤٣٤ه ص١٠

٢- .عبد الله بن عبد العزيز الجبرين- شرح مختصرتسهيل العقيدة الإسلامية- مكتبة الرشد السعودية- الطبعة الرابعة ١٤٣٣-ص -ح

والإنسان والحياة وما قبل الحياة الدنيا وما بعدها وعلاقتها بما قبلها فالعقيدة الإسلامية هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولًا قبل كل شيء إيمانًا لا يرقى إليه شك فلا تؤثر فيه شبهة ومن طبيعتها تظافرت النصوص الواضحة على تقريرها وإجماع المسلمين عليها من يوم ابتدأت الدعوة مع ما حدث بينهم من اختلاف وهي أول ما دعا إليه الرسول صلى اللّه عليه وسلم وطلب من الناس الإيمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة وهي دعوة كل رسول جاء من قبل اللّه كما وضحته الآيات القرآنية في حديثها عن الأنبياء والمرسلين.(١)

- واصطلاحًا: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده× فالعقيدة الإسلامية، هي الإيمان الجازم باللّه تعالى وما يجب من توحيد والطاعة– وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار والقطعيات علمية كانت أوعملية. مصدر العقيدة هو الكتاب وسنة الرسول صلى اللّه عليه وسلم الصحيحة وإجماع السلف الصالح المرجع في فهم الكتاب والسنة هو النصوص المبينة لها وفهم السلف الصالح ومن سار على منهجهم من الأئمة ولا يعرض ما ثبت من ذلك بمجرد احتمالات لغوية.٢

-العقيدة: العقد هو الربط والشد، والعقيدة بمعنى الاعتقاد هي الإيمان الجازم الذي لا يقبل التشكيك سواء كان مستندًا إلى حجج منطقية فيكون اعتقادًا علميًا أو غير ذلك فلا يرى إلى هذا المستوى. والعقيدة بمعنى المعتقد هي ما يدين به الإنسان من تصور لما وراء عالم الشهادة كمسائل الألوهية والعوالم الغيبية وبدء الكون ومصيره ونحوه. وقد شاع مصطلح العقيدة في

١- محمد أحمد الخطيب ، محمد عوض العزايمة ، دراسات في العقيدة الإسلامية ، الاكاديميون للنشر الأردن ، الطبعة العاشرة ، ٢٠٠٥م ، ص ١١.، ص ١١. نقلا عن صالح ذياب الهندي و محمود شلتوت

× هذا تعريف معجمي نبهنا عنه راجع ص ٦٥ المعجم الوسيط.

٢- ناصر عبدالكريم العقل، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة – دار الوطن، الرياض السعودية، الطبعة الثانية- ١٤١٢ه، ص٥ – ٧.

دراسات علماء المسلمين على المباحث المتعلقة بالله من حيث وجوده وربوبيته وألوهيته وأسماؤه وصفاته والأنبياء ورسالاتهم والكتب المنزلة والسمعيات كالملائكة والقدر والحياة البرزخية والأخروية وأمثالها وقد غلب هذا الاسم الأسماءالأخرى كالإيمان والتوحيد وأصول الدين والفقه الأكبر ونحوه وإذا قيل العقيدة الإسلامية فإن المقصود بذلك أنها مستمدة من الكتاب والسنة مستندة إليهما ولكنها قد تكون دعوة صادقة وقد تكون كاذبة وفي العصر الحاضر في ظل التفاعل الفكري مع الثقافة الغربية أصبحت لفظة العقيدة تستعمل تعريبًا للفظة الانجليزية DOGMA والفرنسية DOGMEومعنى هذين اللفظتين في مصطلح الثقافة الغربية الحديثة هو: المبدأ أوالمسائل التي يؤمن صاحبها بصوابها ويستسلم لها، وربما يحاول فرضها على الآخرين دون الاستناد إلى بينة أو دليل أو تمحيص كاف[1] .

- تعريف آخر جوستاف لوبون للعقيدة بأنها :»إيمان ناشىء عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على التصديق بقضية من القضايا من غير دليل« فالعقيدة وفقًا لهذا التعريف قضايا لا شعورية مفروضة على الإنسان لا دليل عليها، قد تطابق الواقع وقد لا تطابقه. وقد ميز لوبون بين العقيدة بهذا المفهوم وبين المعرفة، فالأولى عنده إلهام لا شعوري يصدر عن أسباب خارجية وعن غير إرادة الإنسان، بينما المعرفة علم يحصل بفعل التفكير العقلي، ويذهب لوبون إلى أنه كثيرًا ما يحدث أن تنشأ العقيدة في النفس دون دليل، ثم يحاول الإنسان إيجاد ما يبررها. ومثل هذا التعريف لا يتفق مع مفهوم العقيدة الإسلامية إذ أن العقيدة في الإسلام هي مجموعة الحقائق التي انعقد عليها قلب الإنسان وجزم بصحتها وقطع بثبوتها وآمن بها- عن طريق العقل أو السمع أو الفطرة، أو بهذه جميعها، إيمانًا لا يرقى إليه شك

١- . عبدالرحمن بن زين الزبيدي، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر – مركز الدراسات الأعلام – الرياض- الطبعة الاولى-١٩٩٨- ص ١٦

ولا تزعزعه الشبهات.[1]

- العقيدة الإسلامية، هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لقوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**) النساء: ١٣٦ .والأساس في العقيدة هو الإيمان بالله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن القرآن كتاب الله سبحانه وتعالى. وتعريف العقيدة بإطلاق هي الفكرة الكلية عن الكون والإنسان والحياة وما قبل الحياة الدنيا وما بعدها وعلاقتها جميعاً بما قبلها وما بعدها. وهذا تعريف كل عقيدة وينطق على العقيدة الإسلامية فهي لهذا الوصف أساس لكل فكرة أو لكل وجهة نظر، علاقتها تتخذ ضمان أساسي للأفكار والأعمال فيكون لانعقاد القلب عليها أثر ظاهر.[2]

وإن العقيدة وعلم التوحيد مترادفان عند أهل السنة وإنما سمية علم التوحيد بعلم العقيدة بناء على الثمرة المرجوة منه وهي انعقاد القلب انعقاد جازمًا لا يقبل الانفكاك. وقد يفرق بينهما اصطلاحًا باعتبار علم التوحيد هو العلم الذي يقدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة المرضية وأن علم العقيدة يزيد عليه برد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية وتكون العقيدة أعمّ موضوعات من التوحيد لأنها تقررالحق بدليله وترد الشبهات وتناقش الديانات والفرق، وقد جرى السلف على تسمية كتبهم في التوحيد والإيمان بكتب العقيدة.[3]

- العقيدة في الإصلاح الشرعي: هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان في الاصطلاح الشرع: هو التصديق بالنبي صلى الله

١- . أحمد محمد أحمد جلي – في العقيدة الإسلامية، منشورات أكاديمية كرري، سلسلة الكتاب الجامعي،يدون طبعة. ص١١-١٢.

٢- . عزالدين هشام بن عبد الكريم البدوي، منهج الإيمان في الإسلام- دارالكتاب الثقافي .الأردن-بدون طبعه ٢٠٠٣م، ص ٢٣-٢٥.

٣- عبدالله محمد يسري ، علم التوحيد عند اهل السنة والجماعة المبادئ والمقدمات، كتاب الكتروني المكتبة الوقفيه ص-٨٢

عليه وسلم في كل ما جاء به من علم من الدين بالضرورة .ولقد بين القرآن الكريم العقيدة الإسلامية وعناصرها في كثير من آياته (**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**) البقرة: ٢٨٥. وحديث جبريل حينما سأله عن الإيمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره).وهذه هي الأصول التي جاءت بها الرسل ونزلت بها الكتب.فالركن الأول من أركان العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله عز وجل والإيمان بالله سبحانه وتعالى يتضمن توحيده في ربوبيته وتوحيده في ألوهيته وتوحيده في أسمائه وصفاته.[1]

– فإن العقيدة الإسلامية تصميم القلب والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية والنبوات وأمور المعاد وغيرها مما يجب الإيمان به. ومن هنا نعلم أن العقيدة هي الإيمان بالله وبما يجب لله من صفات الكمال وتنزيهه من النقائص ومما لا يليق به كالشريك والصاحب والولد والوزير والمعين وما يتصرفون مع في الكون. أما تاريخ العقيدة فضارب في أعماق الدهور والعصور إذ ما من نبي أرسل إلا صدر دعوته بالعقيدة وجعلها زبدة رسالته.[2]

العقيدة في الاصطلاح: إن علماء المسلمين جعلوا هذا اللفظ علمًا بالغلبة على العلم الذي يبحث فيما يجب أن يعتقده ويؤمن به، ويقيم عليه البرهان الصحيح الذي يفيد اليقين، ويطلق أيضا على المبادئ الدينية نفسها التي ثبت بالبرهان القاطع.[3]

– تعريف العقيدة في الاصطلاح الشرعي قال الشيخ حسن البنا– رحمه

١- رشدي أبوشبانة علي الرشيدي- الصراع الحضاري بين الشرق والغرب -دار اليقين- مصر الطبعة الاولى- ٢٠٠٨م-ص٦٣.

٢- - محمد أمان بن علي الجامي مصدر سايق- ص ٤٤

٣- مصطفى سعيد الخن- محي الدين ديب مستو- مصدر سابق-ص١٨.

الله- في تعريف العقائد بصيغة الجمع:العقائد: هي الأمور التي يجب إن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقينا عندك، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك. العقيدة في الاصطلاح:

أ- المعنى العام: هي التي يجزم بها الإنسان ويصدق بها من غير شك ولا ارتياب سواء كان حقًا أو باطلًا. وهذا المعنى العام يندرج تحته كل من اعتقد عقيدة صحيحة أو غير صحيحة. المعنى الخاص: ما يدين به الإنسان ربه ويعتقد من أمور الدين. ونقصد بها من أعتقد عقيدة أهل الإسلام أي العقيدة الإسلامية فالذي يؤمن بأركان الإيمان الستة والغيبيات وما جاء عن الله ورسوله من غير شك ولا ريب فهو معتقد عقيدة أهل الإسلام وعقيدته عقيدة إسلامية[1]

- أن من أكثر الألفاظ دورانا على الألسنة وتداولًا بين الناس لفظ العقيدة وما يقاربها في الاشتقاق كالاعتقاد والعقائد والعقدي ... وعلى كثرة استعمال هذه الكلمة التي غدت مصطلحا شائعًا فإننا لا نجد لها استعمالا في القرآن الكريم ولا في الحديث النبوي الشريف وإن كانت المادة موجودة في القرآن كما في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** (١) و(**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (٨٩) المائدة. ولذلك يرى بعض الباحثين أنها مستحدثة في العصر العباسي للمعنى الذي استعملت فيه وأن اللفظ المستعمل في القرآن والحديث الإيمان وقد استعمل لفظ ((العقيدة)) أجيال من أئمة المسلمين بمعنى: الأفكار الأساسية التي

١- عثمان جمعة ضميرية -مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية – مكتبة السوادي – السعودية- الطبعة الثالثة -١٩٩٩ ص ٦٦

يجب على المؤمن أن يصدقها ويقبلها. أي: يعتقدها. واستعمال السلف من العلماء والأئمة دليل على جواز استعمال هذه الكلمة لهذا الجانب من جوانب الدين. فهي عقيدة يوقف بها عند الحدود التي حددها وبينها وبلغها النبي صلى اللّه عليه وسلم فلا مجال للزيادة أو النقصان أو تبديل ذلك لأن العقيدة الإسلامية ربانية المصدر موحى من عند اللّه تعالى فلا تستمد أصولها من غير الوحي (الكتاب والسنة). ومن ثم أصبحت كلمة التوحيد وهي شهادة (لا إله إلا اللّه) تشير إلى كل جوانب العقيدة ومسائلها لأنه إذا حصل الإيمان بمضمونها على الوجه الصحيح استتبع ذلك –قطعًا- الإيمان بسائر العقائد من إلهيات ونبوات وسمعيات فإن الوحدانية تتضمن الاعتراف باللّه بأنه المعبود بحق جامع لكل كمال منزه عن كل نقص إذ لا يستحق العبادة–وهي نهاية التعظيم وغاية المحبة والخشية إلا من كان كذلك. وقد أوفى القرآن الكريم على الغاية في بيان العقيدة وتصحيحها في النفوس على أتمّ وجه وأكمله وبخاصة في السور المكية إجمالا وتفصيلا وكان أول ما نزل على رسول اللّه (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** (١) **خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** (٢) **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** (٣) **الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** (٤) **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** (٥) العلق. وهي تتضمن أصول الدين والعقيدة من الأدلة العقلية والفطرية والشرعية على وجود اللّه تعالى وتوحيده وصدق الرسول صلى اللّه عليه وسلم وإثبات البعث وفي سائر سور القرآن نجد السورة تجمع أركان العقيدة بأصول عامة تبين أركان الإيمان- وأعظمها الإيمان باللّه تعالى وما يتفرع من هذه الأركان وينضم إليها.[1]

وتقوم هذه العقيدة على أساس شهادة (أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه) وما يتفرع عنها من أركان ومقتضيات كالإيمان باللّه والملائكة والكتب والرسل واليوم الأخر والقضاء القدر خيره وشره وكالنظرة الكلية

١- .عثمان جمعة ضميرية –المصدر السابق ص-٧٣-١٠٦ و١٦٦ و ٣٨٣

لهذا الوجود كله أنه من خلق الله وتدبيره.[1] تأمل التعريف السابق وقارن بين أصبحت. ثم قامت على أساس التوحيد. (صاحب التعريف هو نفسه).

- مفهوم الإيمان والعقيدة: العقيدة هي التصديق بالشئ والجزم به دون شك أو ريبة. فهي بمعنى الإيمان. يقال: اعتقد كذا أي آمن به والإيمان بمعنى التصديق. يقال آمن بالشىء أي صدق به تصديقًا لا ريب فيه ولاشك معه. ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أمور:

أولًا: المعرفة بالله.

ثانيًا: المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة أو العالم غير المنظور.

ثالثًا: المعرفة بالكتب التي أنزلها الله لتحديد معالم الحق والباطل.

رابعًا: المعرفة بأنبياء الله ورسله.

خامسًا: المعرفة باليوم الآخر.

سادسًا: المعرفة بالقدر الذي يسير عليه نظام الكون في الخلق والتدبير. وهذا المفهوم للإيمان، هو العقيدة التي أنزل الله بها كتبه وأرسل بها رسله وجعلها وصيته في الأولين والآخرين. لقد كانت الدعوة إلى هذه العقيدة أول شىء قام به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لتكون حجر الزاوية في بناء الأمة المسلمة.[2] تأمل العقيدة المعرفة بالله، ووصية.....

- العقيدة هي مجموعة من القضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه ويثني عليها صدره جازمًا بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها ولا يرى خلافها أنه يصلح أويكون أبدا وذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه وعلمه به. إن هذا الكتاب الذي سميته عقيدة المؤمن هو بحق عقيدة المؤمن مشتمل على أصولها جامع لفروعها لم يترك من أصول العقيدة ما يخل بها ولم يغفل عن فروعها ما يضعفها أو يوهنها فقد اشتمل

١- .عثمان جمعة ضميرية أثر العقيدة الاسلامية في اختفى الجريمة-دار الاندلس الخضراء جدة السعودية-الطبعة الاولى ٢٠٠٠ص٤٧

٢- محمد السيد سابق-العقائد الإسلامية- دار الفتح للإعلام العربي-مصر الطبعة العاشرة -٢٠٠٠- ص ٩-٢٧٣.

على الإيمان بالله تعالى وتوحيد الله تعالى وأقسامه والشرك وأنواعه.[1]

- أول من استخدم مصطلح الفقه الأكبر هو الإمام أبوحنيفة النعمان بن ثابت (١٥٠هـ) فقد روي عنه كتاب بهذا الاسم، وهو متن صغير، مطبوع يقع في بضع ورقات، حدد فيه عقائد أهل السنة تحديدًا منهجيًا. ويرد فيه على المعتزلة والقدرية والجهمية والشيعة. ويشتمل على خمسة أبواب ، الباب الأول في القدر، والبابان الثاني والثالث في المشيئة، والرابع في الرد على من يكفر بالذنب، والباب الخامس في الإيمان.[2]

- الفقه الأكبر: المراد به علم العقائد لاسيما علم التوحيد لأنه أكبر ولأن شرف العلم بشرف المعلوم، وثم المراد من ذلك رسالة منسوبة إلى أبي حنيفة ولها روايتان.[3]

رد عبد المحسن على حسن المالكي الذي ذكر أن كلمة عقيدة كلمة مبتدعة:

- وقال في (ص ٣٠) تحت عنوان: مصطلح العقيدة بين السنة والبدعة (مع أنني استخدم مصطلح العقيدة بشروط سيأتي ذكرها إلا أنه عند تعريفي لعنوان المحاضرة (قراءة في كتب العقائد) لفت نظري عدم وجود كلمة عقيدة في النصوص المتقدمة لا في القرآن ولا كتب السنة ولا المؤلفات المشهورة في القرون الثلاثة الأولى فكانت هذه أول فائدة وفي الوقت نفسه كانت أكبر مصيبة إذ لا يتم التنبه على ذلك مع حرصنا –فيما نزعم- على هجران المصطلحات البدعية المستحدثة التي لا أصل لها في الكتاب والسنة.

وفي (ص ٣٤-٣٥) قال تحت عنوان الخلاصة في مصطلح العقيدة: إذا لم ترد العقيدة لا لفظًا ولا معنى في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية ولا الآثار السلفية المأثورة عن السلف من الصحابة وكبار التابعين وأقصد

١- -أبو بكر جابر الجزائري- عقيدة المؤمن- دار الفكر بيروت لبنان- الطبعة الثانية ، ص١٢ .

٢- .عثمان جمعة ضميرية المصدر السابق ص٧٨٠

٣- .عبدالله بن عبدالرحمن الخميس، التعليقات الذكية على العقيدة الواسطية،مصدر سابق ص ٥٨.

باللفظ والمعنى هنا أي أنها لم ترد بهذا اللفظ للمعنى الذي وضع له هذا اللفظ في الأزمنة المتأخرة مثل قولهم: فلان حسن المعتقد فلان كان صلبًا في العقيدة كان ضالا في العقيدة كان سيئ المعتقد.. ونحو هذا فهذا المعنى لم يرد تحت لفظ العقيدة مع توافر الدواعي لوجود المنافقين أهل الضلالة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم أو عصر الصحابة أو عصر التابعين فلفظة (العقيدة) في تلك العصور بين أن تأتي معانيها في ألفاظ أخرى شرعية كالإيمان مثلا أو تأتي لفظة (عقد) في معان أخرى ليس من بينها الإيمانيات أو العمليات في تشمل عقد الولاء وعقد الأصابع لبيان العدد وعقد الإزار والتعاهد على شيئ والعهد نفسه وعقد القلب على أمر ما ديني أو دنيوي ولعل من هذا المعنى الأخير أخذ بعضهم لفظ العقيدة وخصها ببعض المعاني العملية وهذا تخصيص مبتدع أيضا فالألفاظ الشرعية الموجودة في القرآن الكريم أولى بالاستعمال وأدق من هذا الدلالة وأجمع للمسلمين وفيها غنية عن هذا اللفظ غير المنضبط الذي استحدثه المتخاصمون في العصور اللاحقة وعلى هذا فليس لكلمة (العقيدة) أصل شرعي لا في الكتاب ولا في السنة ولا عند السلف الصالح من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ولاعند التابعين بل ولا علماء الأمة الكبار في القرون الثلاثة الأولى).

وقال في (ص٣٣): والعقيدة عند غلاة السلفية أهم شيئ في حياة المسلم فهل يعقل أن يخلو القرآن الكريم الذي أنزله الله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) النحل. من أخطر وأهم شيئ في حياة المسلم. أما أننا هجرنا مسمى ذلك الأهم والأخطر ألا وهو الإيمان أو الإسلام في عمومه إلى هذه المصطلحات المستحدثة التي أصبحت في أيدي الغلاة كالسيوف في أيدي المجانين وقال أيضا في (ص٣٣) أيضا لم ترد (العقيدة) في حديث صحيح ولا حسن ولاضعيف ولا موضوع.

ويجاب عليه في ذلك بما يلي:

- ما زعمه من أن مصطلح (العقيدة) مستحدث وأنه بدعة هو من اكتشافات القرن الخامس عشر التي ظفر بها المالكي ومن أوضح البدع وهو لا يسميه بدعة زعمه أن الصحبة الشرعية مقصورة على المهاجرين والأنصار قبل صلح الحديبية.

- ما زعمه من أنه لم ترد(العقيدة) في حديث صحيح ولا حسن ولا موضوع يجاب عنه بورودها في حديث حسن رواه الدارمي في سننه (٢٣٥) عن زيد بن ثابت، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم: نضر اللّه امرءاً سمع منا حديثا ..) إلى أن قال: (لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلاَّدخل الجنة) الحديث.وإسناده عند الدارمي قال أخبرنا عصمة بن الفضل، ثنا حَرَمي بن عمارة، عن شعبة، عن عمرو بن سليمان، عن عبدالرحمن بن أبان بن عثمان، عن أبيه، وكلَّهم ثقات إلاَّ حرمي بن عمارة فهو صدوق، وقد خرّج حديثه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

- ما زعمه من عدم وجود أصل شرعي لكلمة (العقيدة) «لا في الكتاب، ولا في السنة، ولا عند السلف الصالح من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ولا عند التابعين، بل ولا علماء الأمة الكبار في القرون الثلاثة الأولى»،يُجاب عنه بالنسبة للصحابة بما أورده ابن كثير في تفسيره لقول اللّه عزّ وجلّ في سورة البقرة :(**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ...** (٢٢٥) الآية، عن عبدالرازق، عن معمر، عن عروة، عن عائشة قالت :«هم القوم يتدارؤون في الأمر، فيقول هذا : لا واللّه ! وبلى واللّه ! وكلا واللّه ! يتدارؤون في الأمر، لا تعقد عليه قلوبهم».

وبالنسبة للتابعين، فقد أورد ابن جرير في تفسيره للآية في سورة البقرة بإسناده إلى مجاهد :«... **وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** .... (٢٢٥)) ما عقدت عليه».

وقال البخاري في صحيحه (٣٨٨/٩-مع الفتح) في «باب الطلاق في الإغلاق والكره...» :»وقال الزهري في من قال : إن لم أفعل كذا وكذا فامرأتي طالق ثلاثاً، يُسأل عمّا قال وعقد عليه قلبه حين حلف بتلك اليمين، فإن سمّى أجلاً أراده وعقد عليه قلبه حين حلف جُعل ذلك في دينه وأمانته».

٤- وأمّا ما زعمه من عدم وجود أصل شرعي لكلمة (العقيدة) في كلام العلماء الكبار في القرون الثلاثة الأولى، وقوله :»لفت نظري عدم وجود كلمة (عقيدة) في النصوص المتقدمة، لا في القرآن ولا كتب السنة، ولا المؤلفات المشهورة في القرون الثلاثة الأولى «، فيُجاب عنه بوجود عن جماعة من العلماء في القرون الثلاثة، ومن ذلك ما هو في بعض المؤلفات المؤلفة في تلك القرون.

ومن هؤلاء العلماء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة (٢٢٤هـ)، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب :(الإمام المشهور، ثقة فاضل مصنف)، قال في كتاب الإيمان له (ص:٧٦):(فعمل القلب الاعتقاد).

ومنهم إبراهيم بن خالد أبو ثور المتوفى سنة (٢٤٠ه) قال عنه الحافظ في التقريب :(الفقيه، صاحب الشافعي، ثقة)، فقد روى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٥٩٠) بإسناده إليه أنه قال في جواب له عن سؤال في الإيمان :(اعلم – يرحمنا الله وإياك – أن الإيمان تصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح، وذلك أنّه ليس بين أهل العلم خلاف في رجل لو قال : أشهد أنّ الله عزّ وجل واحد وأن ما جاءت به الرسل حق و اقر بجميع الشرائع ثم قال : ما عقد قلبي على شيء من هذا ولا أصدق به أنه ليس بمسلم، ولو قال : المسيح هو الله وجحد أمر الإسلام قال : لم يعتقد قلبي على شيء من ذلك أنّه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن...).

ومنهم الإمام محمد بن نصر المروزي المتوفى سنة (٢٩٤ه) قال عنه الحافظ في التقريب :(الفقيه أبو عبدالله، ثقة حافظ إمام جبل) فقد ذكر

(الاعتقاد) في مواضع من كتابه تعظيم قدر الصلاة، منها (٧٣٣/٢) :(... إذا اعتقد أن الله ليس بكريم ولا يستحق المدح الحسن فقد اعتقد الكفر ولم يعرف، وكذلك إن اعتقد أنه قد ظلمه وجار عليه فهو كافر لم يعرف الله...)

ومنهم الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي المولود سنة (٢٣٩هـ)، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في لسان الميزان :(قال أبو سعيد ابن يونس : كان ثقة ثبتًا فقهيًا عاقلًا، لم يخلف مثله)، وهو صاحب العقيدة المشهورة بالعقيدة الطحاوية، قال في مطلعها :(هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني، رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين، تقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إنّ الله واحدٌ لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يُعجزه، ولا إله غيره)، ثم سرد موضوعات العقيدة إلى آخرها.

٥- ثم إنّ هذا المالكي المكتشف لبدعة مصطلح (العقيدة) في (القرن الخامس عشر!) ذكر في (ص :٣٤) عدَّة معان في مادة (عَقَد)، آخرها :»وعقد القلب على أمر ما ديني أو دنيوي«، ثم قال :»ولعلّ من هذا المعنى الأخير أخذ بعضهم العقيدة، وخصها ببعض المعاني العلمية الدينية، وهذا تخصيص مبتدع أيضاً !!«.

أقول: ما دام أنّ لمصطلح لفظ (العقيدة) أصلًا كما ذكر هو، فلا وجه للتهويل والتبديع الذي ذكره لإطلاق اسم (العقيدة) على مباحث أصول الدين، وأيضاً فإن لفظ (الإيمان) أو (الإيمانيات) الذي زعم أنه مهجور قد ألف كثير من علماء أهل السنة والجماعة مؤلفات باسم «الإيمان»، وهي مشتملة على ما اشتملت عليه الكتب المؤلفة باسم «العقيدة»، أو «السنة»،

وهذا ما لا يعجب المالكي؛ لأنه يريد كتبًا في الإيمان لا يتعرض فيها للبدع والمبتدعة، ولا ذكر لشيء مما فيه اختلاف بين أهل السنة والجماعة وفرق الضلال المختلفة، وقد تبين قريبًا وجود هذا اللفظ في السنة وأقوال الصحابة والتابعين وكبار العلماء في القرون الثلاثة الأولى، وأيضاً فيما يتعلق بلفظ (العقيدة)، فكذلك يُقال في لفظ (الإيمان): قويُّ الإيمان ضعيف الإيمان، ويُقال للعاصي والمبتدع بدعة غير مكفرة: مؤمن ناقص الإيمان.[1]

- يذكر عقيدة الأئمة الأربعة، وهو يُصدّرها بالإمام أبي حنيفة، ويذكر أقواله بقوله: أولًا عقيدته في توحيد الله وبيان التوسل الشرعي وإبطال التوسل البدعي، ثم يذكر قوله في المسألة وسائر المسائل التي حدث فيها نزاع والرد على المعتزلة والجهمية والقدرية. وعندما جاءت مسألة الإيمان حيث ذكر قول أبي حنيفة: والإيمان لا يزيد ولا ينقص، قوله هذا هو الفارق بين عقيدة الإمام أبي حنيفة في الإيمان وبين عقيدة سائر أئمة الإسلام مالك والشافعي وأحمد.(إذًا هذا القول في هذه المسألة يمثل عقيدة لدي أبي حنيفة. وكذلك يمثل القول بعدم الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة عقيدة أيضًا. لقد عرضت لهم شبهة ثم صارت لديهم عقيدة وهي أن حديث الآحاد لا يفيد الّا الظن؛ ويعنون به الظن الراجح طبعًا، والظن الراجح يعمل به في الأحكام إتفاقًا، ولا يجوز الأخذ به عندهم في الأخبار الغيبية والمسائل العلمية، وهي المراد بالعقيدة.[2] وهؤلاء عرضت لهم شبهة وهي أن العقيدة هي الإيمان من خلال مسائل الإيمان التي تتناولها كتب العقيدة، والقول بأن العقيدة هي الإيمان يمثل عقيدة) وظهر لنا مما تقدم تطابق أقوال الأئمة الأربعة واتفاقها لأن عقيدتهم واحدة، ما عدا مسألة الإيمان التي انفرد بها الإمام أبو حنيفة. ومع ذلك قيل رجع عنها، فهذه العقيدة هي الجديرة بأن تجمع المسلمين على

١- .عبد المحسن بن حمد العباد البدر- الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي- دار الفضلية السعودية- الطبعة الأولى ٢٠٠٣-ص ٢٢-٢٧

٢- محمد ناصر الدين الألباني- مصدر سابق- ص٥٢

كلمة سواء لأنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.[١]

العقيدة هي، إذًا، أفكار ومبادئ توارثها الإنسان عن أجداده فصدّقها واطمأنت نفسه إليها حتى أصبحت عنده يقينًا ثابتًا لا ريب فيها ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.[٢]

- والاعتقاد في اللغة مشتق من العقد الذي هو إثبات الشيئ وإحكامه و تقويته، أما في الاصطلاح فهو التصميم الجازم الذي ينشأعن التصديق الجازم الذي لا يقيل الشك[٣].

-اعتقاد:افتعال من العقد، وهو الربط والشد هذا «الاعتقاد الإسلامي» من حيث التعريف اللغوي، وأما في اصطلاح عندهم فهو الحكم الذهني الجازم فإن طابق الواقع فصحيح وإن خالف الواقع ففاسد ووجه ارتباطه بالمعنى اللغوي ظاهر لأن هذا الذي حكم في قلبه على شيء ما كأنه عقد عليه وشده عليه بحيث لا يلتف منه.[٤]

الاعتقاد: مصدر اعتقد كذا إذا اتخذه عقيدة له، بمعنى عقدعليه الضمير ودان به لله وأصله من عقد الحبل ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم.[٥]

- فالاعتقادات: هي التي لا تتعلق بكيفية العمل مثل اعتقاد ربوبية الله ووجوب عبادته واعتقاد بقية الأركان الإيمان المذكورة وتسمى أصلية.[٦]

نرى إخفاق آخر لمصطلح الاعتقاد. مع أن كلمة الاعتقاد هي أسبق من كلمة عقيدة في الاستخدام. وهناك كثيرمن المصنفات تحمل اسم الاعتقاد،

١- .عبدالله بن عبدالرحمن الخميس- اعتقاد الإئمة الربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد – دار العصمة السعودية – الطبعة الأولى – ١٩٩٢ ص٥

٢- محمد علي عبد الجليل-مصدر سابق.

٣- .عبدالله بن عبدالرحمن الخميس، التعليقات الذكية على العقيدة الواسطية،المجلد الأول- دار الوطن ، الرياض، ط١ ١٩٩٨م، ص ٧٥.

٤- . .محمد صالح العثيمين – شرح العقيدة الواسطية – مجلد الأول، دار ابن الجوزي – الرياض السعودية، الطبعة السادسة ١١٤١، ص ٥٠.

٥- .محمد خليل هراس مصدر سابق ص ٩٣

٦- .صالح بن فوزان الفوزان مصدر سابق ص ٩

مع أن كلمة الاعتقاد كذلك لا تجد لها تعريفًا لغويًا واصطلاحًاعند السلف مما أدى إلى اضطراب في معناه. حيث ذكروا مصدرين: عقد واعتقد وأن أصلهما العقد والاختلاف والاضطراب واضح لأن العقد جذره: عقد. واعتقاد جذره: اعتقد. وذلك لأن كلمة العقد أسبق ودلالته أكثر وضوحًا في الاستخدام اللغوي بخلاف الاعتقاد الذي ليس له وجود في الاستخدام اللغوي. لكن السبب وراء ذلك فقط التأكيد على افتراض مسبق أن العقيدة والاعتقاد من ألفاظ الشرع. لم يبحثوا عنها مثلما بحثوا عن كلمة العقيدة. وهي أيضا كلمة تطورت في الاستخدام وأول من ذكرها فقد استعملها قبل الطبري أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) في «كتاب الإيمان، ووردت عنوانا في «كتاباعتقاد أهل السنة» لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (ت:٣٧١ه)

وقد ساق اللالكائي في كتابه « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» اعتقادات أهل السنة. وهي ليس من كلمات القرآن ولا السنة. ولا حتى تعريف من الذين ذكروها في مصنفاتهم.

فالاعتقاد مبني على الآراء والأهواء ويحتمل فيه الحق والباطل فلا يمكن أن أقيس أو أوازن بين الاعتقاد المبني على الآراء وبين حقائق الشرع المقطوع بصحتها فالقرآن كلام الله وهو صفة من صفاته سبحانه وتعالى هذا ليس اعتقاد أهل السنة. إنما هو نابع من إيمانهم (آمنت بكذا. آمن الرسول والمؤمنون كل آمن....هذا جزء من الإيمان). ولن يتراجعوا عنه لأنه مبني على ما جاء في الكتاب والسنة ولو تعرض لأشد أنواع الابتلاء في ذلك كما حصل للإمام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن. ولكن يمكن أن يكون القرآن مخلوقًا عند المعتزلة فهذا اعتقاد لأنه مبني على الآراء. فإذا تبين لهم فساد هذا المعتقد يمكن الرجوع عنه إلى الحق كما رجع أبو حسن الأشعري عن أقوال المعتزلة المبنية على الأراء.(اعتقد كذا. فهذا اعتقاد فاسد..).

كذلك الصوفية يعتقدون أن شيوخهم والأولياء يمكنهم إجابة الدعاء وإغاثة المضطر هذا مبني على الآراء والأهواء. وهذا الاعتقاد (اعتقاد الصوفية) هو الذي شقي به قبل الإسلام من لا يحصى من الأقوام. هذا الاعتقاد هو الذي يقيد إرادة الإنسان بإرادة غيره من أبناء جنسه... هذا الاعتقاد هو المرض الذي يفسد العقل ويجعله يرجو ما لا يرجى ويخاف مما لايخاف. هذا الاعتقاد هو شعبة من الشرك.[1] كما أن القول في مسألة أن الإيمان يزيد وينقص هو جزء من الإيمان، لأن الأدلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم. وأن القرآن لا يزيد ولا ينقص هذه المسألة عقيدة عند أهل الكلام.

خذ مثلًا في أمور الحياة العامة: فالموت حقيقة لا شك فيه. ولكن اعتقاد الناس فيه أنه يصيب الإنسان إذا بلغ من العمر عتيًا ولكن يتغير هذا الاعتقاد عندما يصيب الموت شابًا في ريعان شبابه، بل يزداد الإنسان حيرة من الموت عندما يموت هذا الشاب بدون سابق إنذار من مرض، أو حادث، أو حادثة طبيعية لأن الاعتقاد السائد أيضا أن المرض والحوداث والكوارث هي أسباب الموت مما يجعل الإنسان يغير اعتقاده عن الموت، في وقته وأسبابه، ولكن المؤمن يؤمن أن الموت يمكن أن يأتي في أي وقت وبدون أي سبب.

١- . تامر محمد محمود- محمد رشيد رضا في العقيدة- دار ماجد عسيري للنشر- السعودية- الطبعة الأولى ٢٠٠٤ – ص ٥٦٠

تلخيص التعريفات

تأكد لنا مدى الاضطراب الواضح في تعريف مصطلح العقيدة؛ وذلك من خلال هذه التعريفات التي ليس لها سمة تجمعها غير الإيمان ومن غير دليل من الكتاب ولا السنة. ولن أخذ كل تعريف على حدة من أجل الكشف عن اضطرابه. تكفي هذه الكثرة والتخبط، والاختلاف بينها دليل على بطلانه مصطلحًا شرعيًا، إذا يصعب التوافق بين تلك التعريفات وكأنها صدرت من كل واد عميق لتجتمع في هذا المصطلح المتلاطم التعريفات، التي لا تقود إلّا إلى الأوهام.

وقد وقع لأهل العلم في كتب فقه المذاهب وكتب الكلام تحريف كلمات كثيرة نزلت في القرآن الكريم على معان لغوية أو شرعية واستعملتها كتب المذاهب في غير معانيها التي نزلت هذه الكلمات عليها في القرآن الكريم المعجز في النزاهة والأدب، مثل العورة، والوطء. ومثل الوجوب، والإمكان والقدم والحدث. ونحن اليوم ان نظرنا في كتب الأديان وكتب المذاهب تبين أن أكثر الآفات وأعظم الضلالات في الناس، لم تكن إلا من جهة الكلمات والاصطلاحات والألفاظ. لا سيما في المواضع التي يعز فيها التصور الحق على ما هو عليه، ويعسر فيها أو يعتذر التعبير المطابق تمام المطابقة. فقد يتولد من ضعف التصور، ومن قصور التصوير والتعبير مقدار عظيم من خبط. وهذا الخبط، بعد وقوعه مرة، يتفاضل تفاضلا هندسيا في سنة النقلة وفي قلوب السامعين على حسب قصورهم في الفهم وبعدهم عن العمل. فيدخل في الدين ويستقر فيه من الفساد ما لا يعلمه إلّا الله.[1]

وهنا فقط سنركز على المعنى المتعلق بالإيمان وهو من أكثر التعريفات تداولًا، بحيث نعرف وجه العلاقة اللغوية بالتعريف الاصطلاحي لأن العلاقة متجانسة بينهما من حيث النشأة.

١- موسى جار الله- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة- سهيل اكيدي-لاهور باكستان- الطبعة الثالثة -١٩٨٢-ص ١١٩.

وأريد أن ألفت الانتباه هنا إلى ملحظ مهم بخصوص نشأة المصطلحات وهو علاقة تلك المصطلحات ومدلولاتها العرفية بالمعنى اللغوي الأصلي للكلمة إن المنتبه باعتناء إلى هذا الملحظ سوف يقف على قوة علاقة الدلالات الاصطلاحية للكلمة بالمعنى الأصلي لها وهذه العلاقة القوية سوف تفسر له سبب اختيار أهل جيل واحد بأجمعهم لذلك اللفظ للتعبير به عن ذلك المعنى دون اتفاق لذلك المعنى ليصبح مصطلحًا مستقر المعنى يكاد يغلب المعنى اللغوي بل يغلبه عند أهل الفن غير أن التنبه إلى قوة العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية في علم الحديث له أثر كبير في فهم مدلولات المصطلحات وفي الترجيح بين الأقوال المختلفة فيها لذلك التأكيد عليها بعد إقرارها والاتفاق عليها[1].

ليس هناك وجه علاقة بين كلمة العقيدة التي ليس لها معنى لغوي إلا إذا نسبتها إلى العقد الذي يعني الربط والشد، الذي يتعلق بالماديات(عقد الحبل)، وبين الربط الذي يربطه الإنسان من مسائل الإيمان التي يعقدها في قلبه التي يحاولون أن ينسبونها إلى العقيدة مع أن مسائل الإيمان تتوقف على الإيمان الذي يعني التصديق والتسليم، مع أن الربط لم يذكر في القرآن إلاّ في المواقف الصعبة التي تتطلب رباط القلب أمام هذه المواقف. والذي تولى عملية ربط قلوب هؤلاء في هذه المواقف هو الله سبحانه وتعالى أمام أخطر فتنة تواجههم. ومن ذلك الفتية الذين أعلنوا إيمانهم بالله أمام الملأ من قومهم الذين اتخذوا آلهة تعبد من دون الله. قال الله تعالى: (**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** (١٤)).[2] والموقف الثاني موقف أم موسى عليهما السلام عندما ألقته في اليم بعد أن أوحى الله لها بذلك وظنت أن

١- .الشريف عارف بن حاتم العديل–مصدر سابق ص٣٩- ٤٣
٢- سورة الكهف-١٣-١٤

جنود فرعون أخذوه وأنهم سيقتلونه وكادت أن تبدي به لولا أن ثبتها الله وربط على قلبها. قال الله تعالى: (**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**).[1] والموقف الثالث هو موقف الصحابة-رضي الله عنهم- وهم قلة في غزو بدر الكبرى والموقف يتطلب رباط القلب أمام مواجهة ألف مقاتل من المشركين وهم ثلاثمئة. قال الله تعالى: (**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**).[2] ولكن في غزوة الأحزاب لم يربط الله على قلوبهم في البداية؛ لذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، لذا أصابهم الظنون والمخاوف من هذه الحملة الشرسة من تحالف الأحزاب عليهم التي تريد استئصال شأفتهم. قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)**).[3] ليس هناك مناسبة أو علاقة ذكرها أحد العلماء تجعل الاقتران أو التقارب أو التجانس بينهما ممكنًا عندما عرفوا العقيدة بالإيمان، من حيث الدلالة الاصطلاحية، مع أن الإيمان حقيقة شرعية. لذا عزّ عليهم الدليل.

نلخّص تلك التعريفات فيما يلي:

العقيدة هي: أركان الإيمان في خواتيم سورة البقرة، وسورة النساء، وحديث جبريل عليه السلام. والفكرة الكلية عن الكون والإنسان. والتوحيد. وتتعلق بالله من حيث، وجوده، وربوبيته، وألوهيته، وأسماؤه، وصفاته. والسنة والفقه الأكبر والشريعة. ومجموعة من القضايا الحق البديهية المسلمة

١- سورة القصص-١٠.
٢- سورة الأنفال- ١١
٣- سورة الأحزاب-

بالعقل، والسمع، والفطرة.

أما الاعتقاد فهو التصميم الجازم. والحكم الذهني الجازم. والاعتقادات لا تتعلق بكيفية العمل مثل اعتقاد ربوبية اللّه واعتقاد بقية أركان الإيمان وتسمى أصلية. العقيدة لها معنى والاعتقاد له معنى وبينهما افتراق والتقاء ولكن كيف نفرق بينهما لأنك ستجد كأنهما شيئ واحد في الاستخدام؟

يقول اللّه تعالى: (**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**).[1] من أهم أمور الدين التي علّمها الرسول صلى اللّه عليه وسلم الأمة هي حقيقة الإيمان. مدعّمة بالإجابة عن سيدنا جبريل عليه السلام في سؤاله للنبي صلى اللّه عليه وسلم: ما الإيمان؟ بعد ذلك أردف الرسول صلى اللّه عليه وسلم: هذا جبريل جاءكم ليعلمكم أمور دينكم، ولم يعلّم الصحابة العقيدة التي هي أصل الدين، الذي علمه المتأخرون ولم يعلمه الرسول صلى اللّه عليه وسلم، ولم يسأل عنها جبريل عليه السلام.

عن عمر -رضي اللّه عنه- يقول: بينما نحن جلوس عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، إذ جاء رجل عليه سحناء سفر، وليس من أهل البادية يخطى حتى ورك بين يدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ثم وضع يديه على ركبتي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال .... قال: يامحمد ما الإيمان؟ قال: (الإيمان: أن تؤمن باللّه وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة، والنار، والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، قال: إذا فعلت هذا فأنا مؤمن؟ قال: (نعم)، قال: صدقت. بعد أن انتهى من الأسئلة، وخرج قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم: هذا جبريل جاءكم ليعلمكم أمور دينكم. وفي الصحيحين عن ابن عباس -رضي اللّه عنهما- عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال لوفد عبد قيس: (آمركم بأربع: الإيمان باللّه وحده، وهل تدرون ما الإيمان باللّه؟ شهادة أن لا إله إلا اللّه، وإقامة الصلاة، وإيتاء

١- سورة البقرة-١٥١.

الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس)[1]

ونسأل ما معنى العقيدة؟ العقيدة هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر، والقدر خيره، وشره. أليس هذا استدراك على جبريل عليه السلام، ومن أرسله، وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم، يعلّم الصحابة الإيمان، والمتأخرون ابتدعوا كلمة عرفوا بها سؤال جبريل عليه السلام، وجواب الرسول صلى الله عليه وسلم. سبحانك ربي. أخضعوا تعريف الرسول صلى الله عليه وسلم للإيمان لكلمة العقيدة. قال ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/٣٦٨) :»أما أن نقعد قاعدة ونقول هذا هو الأصل، ثم ترد السنة لأجل مخالفة تلك القاعدة، فلعمر الله، لهدم ألف قاعدة لم يؤصلها الله ورسوله أفرض علينا من رد حديث واحد». وقال أيضاً (١/٤٣) :»كل مسألة لا يُبنى عليها عمل، فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني، بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، من حيث هو مطلوب شرعًا، والدليل على ذلك استقراء الشريعة».[2] فكيف نرد حديث جبريل عليه السلام من أجل كلمة العقيدة، فهؤلاء جعلوا العقيدة أصل الدين وأركان الإيمان ركن من أركانها. وهي مسائل لا يُبنى عليها أي عمل لأنها محدثات أحدثها المخالفون لأهل السنة، ورد عليهم أهل السنة في تلك المسائل، مثل مسألة الاستواء، وفتنة خلق القرآن وغيرها التي أصّلها أهل الكلام لأتباعهم، إنما العمل ما جاء به الكتاب والسنة، ثم تأمل كيف غابت حقائق الشرع التي جاء بها جبريل عليه السلام والتي عرفها الرسول صلى الله عليه وسلم، ليجعلوها تابعة لقولهم بأن العقيدة هي الإيمان؛ بل هي من أصّلها لنا.

هذه العقيدة أصّلها لنا النبي صلى الله عليه وسلم في جواب جبريل حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ متى

١- أخرجه البخاري ومسلم.

٢- .المرجع السابق، ص ٢٣.

الساعة؟ فالإيمان- قال له: (أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.[1]

فقال (رحمه الله) أبو العز الحنفي شارح العقيدة الطحاوية: (... ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي، وعزلوا لأجلها النصوص، فأفقرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص النبوية، ولم يظفروا بقضايا العقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية، ولو حكموا نصوص الوحي، لفازوا بالمعقول الصحيح، الموافق للفطرة السليمة. وقال(الإمام الشافعي): وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته- مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول- فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلم لأمر ربه، بل قال: (**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** (١٢)الأعراف.[2] أليس هذه مضاهاة أمام هذا النص الذي لا يخفى على أحد في تعريف الإيمان من الرسول صلى الله عليه وسلم حينما ابتدعوا كلمة عارضوا بها تعريف الرسول صلى الله عليه وسلم للإيمان؟

سؤال ثان:ما ضد العقيدة؟ في الاصطلاح العقيدة هي الإيمان بالله و...، والإيمان ضده الكفر. ويمكن أن يكون الكفر بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره عقيدة. قال الله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**)[3].هذه عقيدة يعتقدها الكافر وهي عقيدة فاسدة ضدها عقيدة سليمة هذا حسب زعمهم (إن القرآن يبرى من هذا التأويل لأن الله سماه إيمانًا والمخالف له كافرًا). قال الله تعالى: (**أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ**

١- محمد الصالح العثيمين -مرجع سابق- ص ٥٤.

٢- طاهرمحمود محمد يعقوب- مصدر سابق-ص ٣٠٤

٣- سورة النساء-١٣٦.

ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨).[1] ولكن تقولون: عقيدة صحيحة وغير صحيحة أو سالمة أو فاسدة. وهذا هو الاختلاط والتخبط في المعنى، هو الفارق بين الألفاظ المحدثة، والألفاظ الشرعية.

ثالثًا: إذاكانت العقيدة هي الإيمان بأركانه الستة، والتوحيد بأنواعه الثلاثة. فهذا يعني عندما أتكلم عن العقيدة سأتكلم عن أركان الإيمان الستة، أولًا: سأحشد كل الآيات الدالة على الإيمان بالله. والمخالف لها في ذلك. ثم سأنتقل إلى الركن الثاني من أركانه، وهو الإيمان بالملائكة وسأورد كذلك كل الآيات الدالة على الإيمان بهم. وهكذا بقية الأركان. ثم سأنتقل إلى التوحيد بأنواعه الثلاثة الألوهية، والربوبية، والأسماء، والصفات، وكل الآيات الدالة عليها. بناءً على هذا ماذا تعني العقيدة؟ هل تركت لنا علما لم تبحثه من علوم القرآن؟

الآن استحضر أي تعريف ترتضيه من تلك التعريفات، أو ما يروق لك فإن شئت أجمعها كلها. ثم اقرأ القرآن أين تجد لفظة العقيدة، ونقيضها الحل، بل أين تجد كلمة العقد مقارنة بلفظة الإيمان. ثم مع أيهما يتفاعل عقلك، وقلبك؟ أيهما ينزل على قلبك بردًا، وسلامًا؟ الإيمان، أم العقيدة. انظر لهذا الجمال الباهر، والعذوبة التي تنساب في قلبك أمنًا، وسكينة. قال الله تعالى:(**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ** (٧) **فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (٨)[2]. اللَّه هو الذي حبّب للصحابة الإيمان وزينه في قلوبهم، وهذا الإيمان فضلًا منه سبحانه وتعالى ونعمة، وما أعظمه من نعمة، يكون تابعًا لكلمة العقيدة، أو مساويًا لها؟ ثم انظر إلى المقابلة في الضدية بين الإيمان والكفر، وحبّب وكرّه. اقرأ حديث رسولك: يدخل الله أهل الجنة الجنة...

١- سورة البقرة- ١٠٨.

٢- سورة الحجرات- ٧-٨.

ثم يقول أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان...)[1]. كم حجم العقيدة التي في قلب المعتقد تخرجه من النار؟ ألّا يكفي هذا لنبذها، وردها إلى كهفها الذي خرجت منه؟ قف تأمل مليًا عسى الله أن يرد غربتك إلى وحيه بعد الضياع في أوهام العقيدة.

أيهما تفضل في الاستخدام العقيدة، أم الاعتقاد، لن أجعلك تقارن العقيدة، والاعتقاد التي هي لفظة عُرفية تحمل معنى مضطربًا مع الحقيقة الشرعية الإيمان، التي تنزل بها أمين السماء إلى أمين الأرض ليعلمها البشرية كافة؟ الإجابة متروكة لك أيها القارئ الكريم. قال الإمام مالك، إمام دار الهجرة: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل؛ تركنا لجدله ما جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم. أنترك الإيمان الذي جاء به القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، مقابل العقيدة لأنها جاءت من الطحاوي أو ابن تيمية أو غيرهما؟

إذا دار كلام الشارع بين مسمى شرعي، ومسمى لغوي، ولا دليل يعيّن أحدهما، فيجب حمله على المسمى الشرعي؛ لأنه عُرفه، ويجب أن يحمل كلام كل أحد على عُرفه الخاص به.[2] فإذا كان هناك دليل واضح على مسمى الإيمان لغة وشرعًا؛ فكيف نحمله على مسمى لغوي يختلف عن عُرف المعنى الشرعي؛ بل هو مضطرب في معناه اللغوي، والاصطلاحي؟

- أن القرآن أساس الشريعة، والنبي صلى الله عليه وسلم بُعث لبيان الأحكام الشرعية التي لا تعرف إلا من جهته، لا لتعرف ما هو معروف لأهل اللغة فواجب حمل اللفظ عليه لما فيه من موافقة مقصود البعثة.

-أن الأحكام تتعلق بالاسم الشرعي دون اللغوي فواجب حمله عليه.

-أن حمل خطاب الله تعالى على المسميات الشرعية يفيد تقرير معنى شرعي أو حكم شرعي، ولا تتحقق هذه الفائدة عند حمله على المسميات

١- أخرجه البخاري.

٢- حسين بن علي بن حسين الحربي- مصدر سابق- ص ٤٠١.

اللغوية، وإذا دار أمر الخطاب بين حمله على معنى يؤدي فائدة شرعية وبين حمله على معنى خال عن هذه الفائدة، كان حمله على المعنى الذي يحققها أولى من حمله على غيره؛ لأن حمله على غيره إهمال لتلك الفائدة، ولا شك أن إعمال الكلام أولى من إهماله.

- أن من له عُرف وعادة في لفظ إنما يحمل لفظه على عُرفه، فإن كان المتكلم هو الشارع حملنا لفظه على عُرفه.[1] الواجب علينا حمل لفظة العقيدة على عُرف من نطق بها، وليس من عرفها لنا من المتأخرين.

كلمة العقيدة أول من أطلقها الطحاوي ثم قلده الصابوني، والأصفهاني، والغزالي، وابن تيمية، وغيرهم من بعدهم. وكذلك قلد المتأخرون غيرهم من غير دليل شرعي لا من الكتاب، أومن السنة مما أدى إلى هذا التخبط في تعريف العقيدة بهذه التعريفات التي لا تكاد تحصى ولا تعد، بل لا يوجد سبب منطقي يجعلهم يقلدونهم في مسمى الكلمة التي لا توجد في الكتاب والسنة ثم تحرروا منهم في عملية تعريفها لذا أدلى كل بدلوه لنحصد السراب والأوهام من هذا المصطلح من ناحية، ومن ناحية أخرى تبديل وتحريف كلام الله مما أدى إلى تضليل الأمة عن حقائق الشرع.هذه هي خطورة تقليد الرجال في دين الله، والتعصب لآرائهم مع تحذيرهم بعدم تقليدهم.

ونقل ابن عبد البر تعريف التقليد بقوله: التقليد معناه في الشرع: الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع في الشريعة، والاتباع ما ثبت عليه حجة. ونقل عن العلماء قولهم: كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلده، والتقليد في دين الله غير صحيح، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه، والاتباع في الدين مسوغ، والتقليد ممنوع.[2]

على أي شيء كان الناس قبل أن يولد فلان وفلان (قبل أن توجد لفظة

١- حسين بن علي بن حسين الحربي- المصدر السابق- ص ٤٠٢-٤١٠.

٢-عبد الكريم نوفان عبيدات- مصدر سابق ص ١٣٤

العقيدة) الذين قلدتموهم وجعلتهم أقوالهم بمنزلة نصوص الشرع، وليتكم اقتصرتم على ذلك بل جعلتموها أولى بالاتباع من نصوص الشارع أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدى أو على ضلالة، فلابد أن تقرّوا بأنهم كانوا على هدى، فيقال لهم: فما الذي كانوا عليه غير اتباع القرآن والسنن والآثار وتقديم قول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة على من يخالفها والتحاكم إليها دون قول فلان أو رأي فلان، وإذا كان هذا هو الهدى فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ فأنى تؤفكون؟ فإن كانت كل فرقة من المقلدين- وكذلك يقولون- صاحبنا هو الذي ثبت على ما مضى عليه السلف، واقتفى مناهجهم – وسلك سبيلهم– قيل لهم فمن سواه من الأئمة: هل شارك صاحبكم في ذلك أو انفرد صاحبكم بالاتباع وحرمه من عداه ؟ فلابد من واحد من الأمرين، فإن قالوا الثاني فهم أضل سبيلا من الأنعام، فإن قالوا بالأول، فيقال فكيف وقفتم على قبول قول صاحبكم كله، ورد قول من هو مثله أو أعلم منه كله، فلا يرد لهذا قول ولا يعمل لهذا قول، حتى كان الصواب وقف على صاحبكم، والخطأ وقف على من خالفه؟ ولهذا أنتم موكلون بنصرته في كل ما قاله وبالرد على من خالفه في كل ما قاله، وهذا حال الفرقة الأخرى معكم. فمن قلدتموهم من الأئمة قد نهوكم عن تقليدهم فأنتم أول من خالف لهم.»[1].

– روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه قال :(تمتع النبي صلى الله عليه وسلم).فقال عروة بن الزبير :(نهى أبوبكر وعمر رضي الله عنهما عن المتعة). فقال ابن عباس :(ما يقول عُرية؟). قال: يقول:(نهى أبوبكر وعمر عن المتعة) فقال ابن عباس :(أراهم سيهلكون)، أقول :(قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويقول : نهى أبوبكر وعمر).

– قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه:(إذا صح الحديث فهو مذهبي).

١- .محمد بن عبدالرحمن المغراوي- العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية- دار المنار السعودية الطبعة الأولى- ١٤١٤–ص ٤٢٢.

وقال لأصحابه :(إن توجه لكم دليل فقولوا به).وكان إذا أفتى يقول :(هذا رأي النعمان بن ثابت وهو أحسن ما قدرت عليه. فمن جاء بأحسن منه، فهو أولى بالصواب).

ـ قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه :(إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه).

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه :(أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس).

وتواتر عنه أنه قال:(إذا صح الحديث فأضربوا بقولي الحائط).

قال إمام أهل السنة، والجماعة أحمد بن حنبل –رضي الله عنه– وهو أكثر الأئمة جمعاً للسنة وعملاً بها:(لا تكتبوا عني شيئًا ولا تقلدوني، ولا تقلدوا فلانًا، وفلانًا– وفي رواية: مالكًا ولا الشافعي، ولا الأوزاعي ولا الثوري – وخذوا من حيث أخذوا).[1]

وقال الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق في «الأصول العلمية للدعوة السلفية» (ص٢٤،٢٥)، «والمنهج السلفي لفهم الإسلام والعمل به يضع نصب عينه تذليل هذه العقبات التي حالت بين الناس ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك بأن ينادي دائمًا بالقول بتحريم التقليد، ويوجب على كل مسلم السؤال عن القول بدليله من الكتاب والسنة، ولا يعني هذا أننا نوجب على كل أحد أن يكون مجتهدًا، إنما أمر كل أحد أن يكون متبعًا للدليل باحثًا عن الحجة من كتاب ربه وسنة نبيه، وبذلك تتوحد صفوف الأمة وتنموا فيها معرفة الكتاب والسنة، وتزكوا فيها الروح العلمية والمسامحة الأخوية، ولا يستطيع مضل، وما أكثرهم في أيامنا – أن يضلنا بسهولة، وذلك بأن يسند ما يريد من فتوى إلى عالم من العلماء، وبذلك يعظم عند المسلمين شأن

١- . طاهر محمود محمد – مصدرسابق ص٦٢٦

الرسول صلى الله عليه، وسلم، ويعظم شأن متابعته.[1]

جاء الإمام أبو حنيفة بلفظة الفقه الأكبر (فهي مشكوك فيها) الذي عرفتموه بعلم العقائد ثم جعلتموه تابعًا لمصطلح العقيدة. وبناءً على قوله نرد لفظة الفقه الأكبر، وأنها ليس من المصطلحات الشرعية التي تعني علم العقيدة الذي يعني الإيمان. وكذلك نرد مصطلح العقيدة الذي نطق به الطحاوي ومن بعده وعرفتموه بالإيمان. فالأولى اتباع أقوال الأئمة في إثبات نصوص الشرع من الإيمان والتوحيد ونقيضهما الكفر والشرك.

قال أبو محمد (ابن حزم): كيف وقد أغنانا الله تعالى عن قولهم في ذلك بما نص في كتابه من إبطال التقليد مثل قول الله عز وجل: (**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)، ثم قال تعالى على أثر هذه الآية: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)**

قال أبو محمد: فمن اتخذ رجلًا إمامًا يعرض عليه قول ربه وقول نبيه عليه السلام، فما وافق ذلك الرجل قبله، وما خالفه ترك قول ربه تعالى وقول نبيه صلى الله عليه وسلم وهو يقر أن هذا القول قول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، والتزم قول إمامه؛ فقد اتخذ من دون الله تعالى وليًا، ودخل في جملة الآية المذكورة.

قلت: هذا الذي يذكره أبو محمد رحمه الله في من يعرض نصوص القرآن والسنة على قول إمامه كمقلدة المذاهب وأشباههم.

وقال تعالى:(**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)**

وقال أبو محمد: ولا وليجة أعظم ممن جعل رجلًا بعينه عيارًا على كلام

١- - سعيد عبد العظيم – منهج ابن تيمية التجديدي – دار الإيمان مصر-بدون طبعة- ص ١١١

الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلام سائر علماء الأمة.[1]

عندما أثبتوا أن العقيدة مصطلح يعني الإيمان ثم استدلوا بحديث جبريل ثم خواتيم سورة البقرة هذا من أكبر أسباب الغلط لأنه لا يمكن حمل مصطلح حادث على كلام الله ورسوله جزافًا أو رجمًا بالغيب من غير تقديم الأدلة الشرعية التي يستندون عليها في اختيار حديث جبريل مع أن هناك كثيرًا من الأحاديث التي تناولت الإيمان. وخواتيم سورة البقرة مع أن هناك آيات تتكلم عن أركان الإيمان. حيث لا توجد أدنى علاقة بينهماهذه كلمة شرعية وهذه كلمة محدثة. يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها[2] . والبعض الآخر يأتي بكلام عام:مجموعة من القضايا الحق وأخر الفكرة الكلية عن الكون والإنسان ويستبعد أركان الإيمان.أين تجد معنى العقيدة في هذا الاضطراب لكي يطمئن قلبك؟

ولو سلمنا جدلًا بان العقيدة لفظة عربية فصيحة وهي تحمل معنى الإيمان أليس من باب أولى أن نجعل كلمات الشرع هي الأصل لأن الأحكام تُبنى على حقائق الشرع وليس على المعاني اللغوية.

إذا كان للكلمة الواحدة معنيان أو أكثر أحدهما لغوي والآخر شرعي واختلف المعنيان قدم الشرعي لأن القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة إلا أن تدل على إرادة المعنى اللغوي. مثال ما قدم فيه المعنى الشرعي قوله تعالى في المنافقين:(**وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** (٨٤) التوبة. فالصلاة لها معنيان لغوي (الدعاء) وشرعي وهو هنا صلاة الجنازة فيقدم المعنى الشرعي لأنه

١- .محمد بن عبدالرحمن المغراوي، مصدر سابق- ص ٤٠١.

٢- محمد الشيخ عليو محمد-منهج اللغويين في تقرير العقيدة-دار المنهاج السعودية- الطبعة الأولى- ١٤٢٧هـ ص٥٨

مقصود للمتكلم المعهود للمخاطب ومثال ما قدم فيه المعنى اللغوي لقرينة قوله تعالى:(**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (١٠٣) التوبة. فالمراد بالصلاة هنا الدعاء بدليل حديث مسلم (كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال (اللهم صل عليهم).[١]

الآن أيهما تقدم العقيدة على الإيمان أم العكس فإذا قدمت العقيدة مادليلك على أن الله أراد بالإيمان العقيدة. ثم هل مراده من الإيمان العقيدة. فلنتق الله سبحانه وتعالى.

ثم أليس الطحاوي أول من ذكر كلمة العقيدة في مصنفه، وغيره من كتب فيها. من يفسرها لنا كمصطلح؟ هم أو من شرح العقيدة الطحاوية أبو العز الحنفي، أم أنتم، ثم أنتم لماذا لم تتفقوا على تعريف جامع مانع. ثم من أقامكم مقامهم لكي تتخبطوا في تعريفها وما سندكم في ذلك؟

سمى المؤلف كتابه هذا :»الشريعة«؛ وهو يريد بذلك: ذكر عقائد أهل السنة والجماعة. وإن كان لفظ (الشريعة) يطلق ويراد به كل ما شرعه الله تعالى من العقائد والأقوال والأفعال، وتخصيص هذا اللفظ بالعقائد معروف عند أهل العلم وسائغ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (في الفتاوى ٣٠٦/١٩) :»اسم الشريعة. ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال. وقد صنف الشيخ أبوبكر الآجري كتاب «الشريعة»، وصنف الشيخ أبو عبدالله ابن بطة كتاب «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» وغير ذلك. وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السنة؛ باسم (الشريعة) : العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان؛ مثل: اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ... ونحو ذلك من عقود أهل السنة فسموا أصول اعتقادهم: شريعتهم. وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم ... وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب: كتاب السنة،

١- .فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي بحوث في التفسير ومناهجه – مكتبة التوبة طبعة الرابعة -١٤١٩- ص ١٤٣

فموضوع الكتاب إذًا يتناول مسائل العقيدة.[1]

هو سماه الشريعة وهو أعلم بمراده من كتابه الذي ألفه وتناول فيه موضوعات محددة دعت إليها الحاجة. ثم أخضعتموه لمصطلح العقيدة كما فعلتم مع كتاب الطحاوي الذي كان أساس النكسة في بدعة هذا المصطلح عندما عرفتموه بالإيمان من غير وازع شرعي يحول دون تقديم مسميات كتب على حقائق الشرع. وكما أخضعتم كتاب أبي حنيفة الفقه الأكبر للعقيدة. لاحظ هذا التخبط في التعدي على جهود الآخرين، إنما المقصود- العقائد التي يعتقدها أهل السنة-ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال- ما هذه العقائد التي شرعه الله؟ وهل كان الصحابة على هذه العقائد. وأين تجدها قبل أن تظهر لفظة العقيدة؟

تكمن الإشكالية في دراسة المصطلح في كونه أخطر ضروب البحث مغامرة، ويرجع ذلك لأسباب ثلاثة:

الأول: غاية الدّراسة أن يقول الدارس: هذا هو مراد المتكلّم، والمتكلّم إنَّما تَلَفَّظ بالكلام تعبيرًا عن مقصد بعينه، فكان له مدخل بالنية، وعليه ليس لكائنٍ من كان أن يجزم جزمًا بأنَّ هذا الخطاب (ما صدق) ذلك المقصود، وإن كان أصل الوضع فيه إنَّما هو لذلك.

والثاني: قد يطرأ على الذهن من غفلة أو نسيانٍ أو وهم فيعبِّر المتكلّم بعكس ما يريد، وإنْ عبَّر بما يريد فهل له أن يقيِّد اللُّغة ذلك التقييد حتى لا تنصرف إلى غير ما يريد؟ وأنَّى له ذلك وهي مراتب من الدلالات لا تكاد تنحصر؟!

الثالث: ارتباط الدّراسة المصطلحيّة بعلوم أخرى كعلوم اللسانيات والمعجمية، وما تتفرع عنه هذه وتلك من فروع، مما يتطلب إدراكًا لتلك المجالات.[2]

١- . يوسف بن علي الطريف مصدر سابق ص ١٢٣

٢- . القرشي عبد الرحيم البشير مصدر سابق- ص١١٥

السؤال ما مراد كل من الطحاوي ومن كتب في العقيدة من هذه اللفظة الغريبة على اللغة من حيث الدلالة اللغوية والاصطلاحية؟ هل مرادهم تلك التعريفات الآنفة الذكر التي ساقها المتاخرون؟ كلا وألف كلا. هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟ إذًا نتركها هكذا العقيدة من غير تعريف، ومن عرفها بالإيمان والتوحيد والشريعة والسنة، فيأتي بالدليل والبرهان أن هذا التعريف هو مرادهم منها وليس تخبط وعشوائية، وانتهاك لحرمة ألفاظ الشرع.

هل هذا المصطلح من المصطلحات الشرعية التي لها أساس شرعي من الكتاب والسنة؟ حتى لا نخلط بين الألفاظ الشرعية التي لها تعريف واضح ومتفق عليه بين السلف وبينما هو طارئ لأسبابه وليس له علاقة بالثوابت الشرعية المنصوصة في القرآن والسنة. فخذ مثلا حقيقة التوحيد والإيمان وهي من التعريفات المتعارف عليها بين السلف، ولكن أهل الكلام، والصوفية لهم تعريف يخالف تعريف السلف فهو مردود عليهم لأنه يخالف ما تعارف عليه بالإجماع.

استبدال المعاني الشرعية بمصطلحات محدثة يبدل ويغير دين الله سبحانه، وتعالى ومن ذلك معنى الربا في التعريف الشرعي فإنه يبنى عليه أحكامًا في الدنيا والأخرة. قال الله تعالى:(**الَّذينَ يَأْكُلونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ منَ الْمَسِّ ذَلكَ بأَنَّهُمْ قَالُوا إنَّمَا الْبَيْعُ مثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّه الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعظَةٌ منْ رَبِّه فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إلَى اللَّه وَمَنْ عَادَ فَأُولَئكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ فيهَا خَالدُونَ** (٢٧٥) **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَات وَاللَّهُ لَا يُحبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثيم** (٢٧٦).[1] وعندما نستبدلها بكلمة فائدة التي تتعامل بها المصارف الربوبية ومع مرور الزمن تختفي كلمة الربا في التعاملات مع المصارف وتصبح كلمة

١- سورة البقرة-٢٥٧-٢٧٦.

فائدة هي المسيطرة على العقول فهنا يصبح التعامل مع الفائدة (الربا) أمر لا غبار عليه مع بُعد الناس عن القرآن، والسنة فذلك يصبح الربا منتشراً بين المسلمين، وهم لا يشعرون لأنهم استبدلوا كلمة شرعية بكلمة عرفية.

كلمة الإيمان سابقة لكلمة العقيدة، ولها مرادات أرادها الشارع منها وبنى عليها أحكامًا في الدنيا والأخرة ولها تعريفات جامعة مانعة عند السلف بل هي كانت نواة الصراع بينهم وبين أصحاب الأهواء، والفكر المنحرف في الاستخدام اللغوي، وفي القرآن، والسنة وفي كلام الصحابة. ثم ظهرت كلمة العقيدة وهي كانت لا تحمل أي مدلول لغويًا، أو شرعيًا فكيف نجعلها تحوي مدلولات، ومرادات كلام الله، ورسوله من الإيمان، والتوحيد عند المتأخرين. أشار شيخ الإسلام إلى بعض الأمور المهمة لفهم الألفاظ، والمصطلحات الدينية، وتفسير النصوص الشرعية، منها: معرفة اللغة العربية وأقوال السلف الصالح، فقال رحمه الله تعالى مؤكدًا كمال فهم السلف الصالح في معرض رده على بعض المبتدعة فلهذا يحتاج المسلمون إلى شيئين:

أحدهما: معرفة ما أراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بألفاظ الكتاب والسنة، بأن يعرفوا لغة القرآن التي نزل بها، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، فإن الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه. «ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا، وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر»[1].

فهل ضل الصحابة والسلف عن كلمة العقيدة ليهتدي إليها المتأخرون؟

تم تعريف الإيمان بمصطلح عند بعضهم وحقيقة شرعية عند الآخر، يعني أن هناك مجموعة من العلماء أهل الاصطلاح عرفوا لنا مصطلح الإيمان،

١- . طاهر محمود محمد -مصدر سابق ص ٩٥٨ و٩٧٣

تعريفًا اصطلاحيًا يشمل: أركان الإيمان مع توحيد الله وربوبيته وألوهيته والأسماء والصفات. وتعريف آخر وهو حقيقة شرعية عرفها الرسول صلى الله عليه وسلم، وبينها في حديث جبريل عليه السلام بأركان الإيمان الستة. وذلك يضع مصطلح العقيدة في محك فاصل بين تعريف الرسول صلى الله عليه وسلم للإيمان في حديث جبريل عليه السلام (حقيقة شرعية) وبين قول العلماء بتعريف العقيدة: بالإيمان والتوحيد والسنة والشريعة والنظرة الكلية للكون. مما يعني أنه أعمّ وأشمل من الإيمان والتوحيد والسنة.ومحك آخر وهو مصطلح الإيمان عند الفرق الأخرى التي تعرف الإيمان بالتصديق دون العمل فكل فرقة ستفسر مصطلح العقيدة بما يتماشى مع أفكارها المنحرفة عن الشرع مما يجعلهم مطمئنين على أفكارهم الفاسدة عندما يعرفونها بالتعريف الشرعي أو بالتعريف الاصطلاحي. مما يجعل مصطلح العقيدة يتشكل حسب من يريد أن يؤصل لمذهبه. وليس هناك تمايز بين أهل السنة والفرق الأخرى في مسمى العقيدة.

إن تفسير كلمة العقيدة بالإيمان باعتبار أن الإيمان من نصوص الشرع بكلمة أوبمصطلح محدث من أخطر أنواع التفسير وأشنعه، لأنه يبعد القرآن عن مدلوله الشرعي إلى مدلولات ما أنزل الله بها من سلطان. بل يكسبها معاني شرعية، ومن ثم تكون تلك الكلمة المبدعة مصطلحًا شرعيًا يحاكم النص الشرعي عليه كأنه أصل من أصول الإسلام. لأن العقيدة أشرف الطاعات، ولأن صحتها شرط في قبول العبادات العملية. فإذا فسدت العقيدة لم تقبل العبادة، وبطل أجرها، كما قال تعالى: (**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** (٦٥) الزمر.[١] حيث جعل الشرك الذي ضد التوحيد مقابل لفساد العقيدة وهذا المعنى لا تجده في كلام السلف أن العقيدة هي التوحيد أو الإيمان، والذي يفسد العمل هو الشرك الأصغر(الرياء) أو الأكبر لذا؛ يقول ابن القيم (ت٧٥١) في

١- عبد الله بن عبد العزيز الجبرين- مصدر سابق- ص٣

معرض ذكره لأنواع التأويل الباطل: ما لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب وأن ألف في الاصطلاح الحادث وهذا موضع زلت فيه أقدام كثير من الناس وضلت فيه إفهام حيث تأولوا كثيرًا من ألفاظ النصوص بما لم يؤلف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة، وإن كان معهودًا في اصطلاح المتأخرين وهذا مما ينبغي التنبيه له فإنه حصل بسببه من الكذب على الله وعلى رسوله.[1]

اللّه سبحانه وتعالى أرسل سيدنا جبريل عليه السلام لكي يعلم الصحابة -رضي اللّه عنهم- والأمة من بعدهم معنى الإيمان في الحديث المشهور الذي أخضعوه لتعريف العقيدة أنها هي: الإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وأن الإيمان ركن من أركان العقيدة. أليس هذا استدراك على اللّه ثم سيدنا جبريل بأنه لم يعرف الصحابة العقيدة ثم جاء من بعدهم ليقول لنا إن العقيدة تشمل أركان الإيمان في حديث جبريل عليه السلام وإضافة إلى التوحيد والسنة والشريعة وغيرها من العلوم. هل جهل أم نسي جبريل عليه السلام كلمة العقيدة التي اهتدى إليها هؤلاء فكيف يسأل جبريل عن الجزء ويترك الأصل.

إذا كانت العقيدة تعني أركان الإيمان فهل الرسول صلى اللّه عليه وسلم كان يعلم أن العقيدة هي أركان الإيمان ولم يخبر بها الصحابة أم لا يعلمها إذا كان يعلمها ولم يخبر بها الصحابة فقد كتم جزءًا من الرسالة وهذا محال. أم أنه كان لايعلمها فعلمها المتأخرون وأخبروا بها الأمة من بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فهذا افتراء وبهتان،لأنها هي أصل الدين المستمدة من الكتاب والسنة عندكم التي لم يعلمها الرسول صلى اللّه عليه وسلم وعلمتموها.

كلمة العقيدة معرّفة بالألف واللام ولكن مع ذلك هي نكرة فإذا ذكرتها

١- .مساعد بن سليمان الطيار –مصدر سابق – ص ٦١٧

من غير أن تعرفها بالإضافة لا تعطي معنى كاملًا؛ لأنها هكذا العقيدة تظل مبهمة بل ربما أصابك الاشمئزاز منها لأنها يمكن أن تحوي معنى عقيدة عدوك إلّا أن تقول العقيدة الإسلامية لتميزها عن العقيدة اليهودية والعقيدة الطحاوية من العقيدة الواسطية والعقيدة البوذية من العقيدة الهندوسية أوالعقيدة الشيوعية من العقيدة الرأسمالية والعقيدة السنية من العقيدة الصوفية وغيرها من العقائد. إذًا هي معرّفة ولكنها نكرة لأنها ولدت نكرة من حيث اللغة والسياق الذي نشأت فيه لذا تجد كل المصنفات التي تتحدث عن العقيدة تنسبها إلى شخص أو مكان. أما كلمة الإيمان فإنها لا تحتاج إلى تعريف لأنها كلمة شرعية تحمل معناها في ذاتها ثم تتغلغل في القلب فتجد مكانها ويتفاعل معها القلب والعقل ليشع ذلك في المؤمن سلوكًا وتعبدًا لله من غير عناء البحث في المعاجم اللغوية لمعرفة كلمة الإيمان ولا اصطلاحًا عند أهل الاصطلاح. وتجد المؤمن يستجب بسهولة لنداء ربه عندما يخاطبه بيا أيها الذين آمنوا.كذلك تجد كتب السلف الصالح تحمل كلمة الإيمان من غير أن تنسب إلى شخص أو مكان. خذ الكلمات التالية في مصنفات السلف: كتاب الإيمان، كتاب القدر، كتاب الأسماء والصفات، وكتاب التوحيد وأشهرها، كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، وكتاب الشريعة، وكتاب السنة. وكذلك اسم الفاعل منه لكي يتميز عن غيره هو معتقد، والسؤال أي معتقد، لابد أن تنسبه فتقول معتقد صحيح أو فاسد أو معتقد اعتقاد الصوفية أو معتقد اعتقاد الشيعة، أو معتقد اعتقاد المعتزلة. كذلك الفعل منها، عقد أم اعتقد، وماذا تعقد أو ماذا تعتقد: لأن العقد هو الربط، والاعتقاد هو الحكم الذهني أي أمر صحيح أو باطل. وهكذا تظل مبهمة في كل تفاصليها.

هل يمكن أن أفسر مصطلحًا بمصطلح آخر، إذا كانت العقيدة مصطلحًا عند المتأخرين، والإيمان حقيقة شرعية، ومصطلح عند أهل السنة وعند

الفرق الأخرى أيضا، يعني عندما أقول العقيدة في الاصطلاح هي الإيمان، والإيمان في الاصطلاح هو أن تؤمن بأركان الإيمان الستة، هل يقبل أهل اصطلاح الإيمان أن يأتي متطفلون ويأخذوا جهودهم في تعريف الإيمان وينسبوه لاصطلاحهم المحدث ويسقطوا تعريف مصطلحهم أرضًا كأن لم يكن شيئًا. فكيف إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم عرّف لنا الإيمان ثم جاء من بعده ليأخذ تعريفه صلى الله عليه وسلم لينسبه لنفسه. فإذا كان كذلك ما أفضلية لفظة العقيدة على لفظة الإيمان لماذا اخترتم كلمة محدثة بدلًا عن كلمة شرعية أليس من الممكن أن تقولوا العقيدة هي أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه. ثم تسقطوا كلمة الإيمان لكن أن تجعلوا حقيقة الإيمان تابعة لكلمة العقيدة، هنا الطامة الكبرى. فإذا كان الله عاقب اليهود على مثل هذا السلوك من تغيير القول ألّا يمكن أن يصيبنا مثل ما أصابهم عندما غيرنا وبدلنا. قال الله تعالى: (**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)**).[1] بدلنا الإيمان بالعقيدة ثم فرطنا في كلام الله سبحانه وتعالى لنعيش في أوهام ما أنزل الله بها من سلطان.

وهناك من يجعل العقيدة مصطلحًا شرعيًا مستندًا على حقائق الشرع، من الكتاب والسنة، ثم يعرّفه بالإيمان ثم يعرّف الإيمان باعتباره حقيقة شرعية، فيقولون: العقيدة في اصطلاح الشرع هي الإيمان والإيمان في اصطلاح الشرع هو التصديق. أليس هذا الاضطراب كافيا بأنه مصطلح ليس له حقيقة لا من الشرع ولا العرف، إنما هو ضرب من الأوهام التي استقرت في أذهان من ذهب إلى القرآن لتأصله لغوية ثم اصطلاحًا شرعيًا؟

مرة يذكرون العقيدة في اصطلاح الشرع هل يعني أن الشرع عرفها بهذا

١- سورة البقرة- ٥٨-٥٩.

التعريف فإذا كان كذلك، إذًا علينا أن نلتزم بهذا التعريف ولا نعرفها بغير هذا التعريف. ومرة يقولون تعريف العقيدة اصطلاحًا: فنجد كل من يعرف العقيدة يختلف عن الآخر مع أن بعضهم يتفق على أن العقيدة في الاصطلاح هي الإيمان وبعد ذلك يختلفون في أركان الإيمان. منهم من يزيد ومنهم من يكتفي بالإيمان بالله وتوحيده في ألوهيته وربوبيته والأسماء والصفات.

فإذا كانت كلمة عقيدة مصطلحًا متعارفًا عليه بين العلماء في تلك الفترة التي وُلد فيها، ولم يعرفوه لنا أو كانت كلمة لها معنى متفق عليه، وكانوا يعرفونها ضمنًا من خلال السياقات التي ترد فيها ولا يحتاجون إلى شرحها. ومن السخرية أن أغير معنى المصطلح أو الكلمة ثم أفهم كلام صاحب هذا المصطلح على تفسيري لمصطلحه لا على مراده هو منه. فكل فهم يخالف فهم أهل الاصطلاح لاصطلاحهم مرفوض تمام الرفض لأنه في وجهه السافر: مشاحة في الاصطلاح. وكل فهم يخالف فهم أهل الاصطلاح لاصطلاحهم فيه من الأخطار، ويترتب عليه من العواقب الوخيمة...[1].

الأقدمون اختلفوا اختلافًا كبيرًا في تعريف حقيقة الإيمان مما أدى إلى اختلاف كبير بينهم مما أدى إلى ظهور فرق متعددة تتبنى تعريف الإيمان حسب ما ترى. أما المتأخرون فإنهم وفروا على أنفسهم جهد العناء في تعريف الإيمان، أو التمسك به، أو الدعوة إليه. فما كان من المتأخرين إلّا أن ابتدعوا مصطلحًا محدثًا ثم اخضعوا الإيمان تحت هذا المصطلح المحدث وجعلوه تابعًا له وركنًا من أركانه. مما أدى إلى تأويلات خطيرة في حمل كلام الله على ذلك المصطلح وكذلك حمل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع مصنفات السلف في أبواب الدين إلى ذلك المصطلح مما أدى إلى تضليل الأمة عن حقيقة الإيمان.

لهذا فسد تصورنا للقرآن نقرأ صباحًا ومساءً القرآن الذي يدعون إلى الإيمان ويخاطبنا بالإيمان، ووعده، ووعيده، وزيادته، ونقصانه، والعداوة،

١- .الشريف حاتم بن عارف العديل –مصدر سابق –ص–١٧٩– ٢٥٦.

والبغضاء، والسعادة، والشقاء، والجنة، والنار، وغيرها مبنية عليه. ونحن ندعو إلى العقيدة وتصحيحها، ماهذه الغربة والتنافر الغريب والعجيب أين ضاعت العقول؟ في تقليد أراء الرجال في دين الله، أم اتباع الهوى؟ ضاع الإيمان منا فلا نهتدي إليه مادامت لفظة عقيدة لا تبارح ألسنة الدعاة والعلماء والخطباء، ونقرر لابد من تصحيح العقيدة من أجل إعادة مجد الأمة الإسلامية هيهات هيهات، حتى نعود إلى ألفاظ الشرع ونترك محدثات الأمور. ومن التفرق أن الشيئ لا يشغل مرتين في آن واحد، فالاشتغال بالأقوال الشاذة والاعتداد بها سوف يكون على حساب تنحية الأقوال الصحيحة تنحية كلية إذا ما أهملت أو جزئية بإضعافها إذا قورنت بالأقوال الشاذة جنبًا إلى جنب[1].

جاء تعريف مصطلح العقيدة بالإيمان، الذي يتماشى مع أركان الإيمان، ولم يعتمدوا على أي حديث آخر من أحاديث الإيمان، مع أن تعريف الإيمان جاء في أحاديث كثيرة إضافة إلى أركان الإيمان التي جاءت في حديث جبريل، لم يضيفوها إلى أركان الإيمان ثم أضافوا إضافات أخرى إلى أركان الإيمان، لم ترد في حديث جبريل وعلى أي حديث أعتمدتم في إضافة التوحيد والسنة والشريعة؟ فإذا جمعت الأحاديث التي تتكلم عن الإيمان مع حديث جبريل فيصبح تعريف العقيدة هو عدد لا يحصى من المسائل. وإلا لماذا جعلتم حديث جبريل تابعا لمصطلحكم. من غير أن يمر هذا المصطلح بمراحل يبدأ بالمفهوم ويتداول بين العلماء في مصنفاتهم بحيث يحمل معناه من خلال السياقات التي ورد فيها (العقيدة الطحاوية أو الواسطية) مثل مصطلح الحديث بل اختصرتم الزمن وقفزتم بالزانة متجاوزين بناء وتطور المصطلح، فعرفتموه بحديث جبريل بما لا يعرفه الأقدمون ثم تدرجتم في ذلك بحيث أخضعتم بعض الآيات التي تتكلم عن الإيمان مثل خواتيم سورة

١- اعبدالرحمن بن صالح بن سليمان الدهش، الأقوال الشاذة في التفسير وأسبابها ، ط١- ٢٠٠٤م، تصدر في مجلة الحكمة الصادرة في مانشتر بريطانيا.ص٣٤٢

البقرة والنساء والمائدة. كما فسرتم من قبل من حيث المعنى اللغوي بحيث أخضعتم بعض الآيات لمعنى كلمة العقيدة.

مصطلح العقيدة يجعل صاحب العقيدة الصحيحة والفاسدة في نظر بعضهما البعض سواء، لأنه لا يعقل أن يعتقد شخص: (سني أوشيعي أو نصراني أو يهودي) أن عقيدته باطلة عندما يقررها عدوه اللدود المخالف له في العقيدة، ويستدل بالكتاب والسنة وأن مرده إلى جهنم ويرى هو عدوه (سني أوشيعي أو نصرني أو يهودي) على حق وأن مصيره جنات عدن مفتحة له الأبواب، فأي صاحب عقيدة يرى أن الحق المبين معه وأن موعده جنات عدن. كما قال الواثق لاتباعه من المعتزلة: إذا رأيتموني قد قمت إليه (لأحمد الخزاعي) فلا يقومن أحد معي، فأني احتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربًا لا نعبده. وكما قالت اليهود والنصارى. قال اللّه تعالى: (**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** (١١١). وقال اللّه تعالى:(**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** (١١٣).[١] إذًا ما القول الفصل في هذا التنازع؟ أولًا كما ذكرنا التجرد من الأهواء والمسلّمات التي استقرت في القلوب أن الحق المطلق معك. ثم تحكيم الكتاب والسنة في ذلك. قال اللّه تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** (٥٩).[٢]

انتقاء المعيار والازدواجية في الحكم على كل رأي، أو قول يخالف الكتاب والسنة بأنه بدعة ومن ذلك؛ الأقوال التي أحدثها أهل الكلام، مثل الجوهر

١- سورة البقرة-١١١-١١٣.

٢- سورة النساء-٥٩.

والعرض والطفرة والحركة والسكون. والصوفية مثل: الأوتاد، والأقطاب، وعندما جاءت كلمة العقيدة من عالم يمثل التيار السني فلم يعترض على هذه الكلمة أحد مع أنها ليست من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال الصحابة ولا من أقوال التابعين من القرون المفضلة. وما حدث في الإسلام بعد انقضاء القرون المفضلة في القرن الرابع المذموم على لسان رسول الله. من نصب رجل واحد وجعل فتاويه بمنزلة نصوص الشارع بل تقديمها عليه وتقديم قوله على أقوال من بعد رسول الله من جميع علماء علماء أمته...[1]

وأما الزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم اصطلاحات المتكلمين من الجسم والعرض والطفرة ....فيقال: إن هذه اصطلاحات حادثة بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم، وألفاظ مبتدعة وعلى فرض أنه كان عالمًا بها وسكت عن التكلم بها فيسعنا السكوت- كما سكت، ولو كانت مما يحتاجه المسلمون في دينهم- ولو بعد حين- لبينه النبي صلى الله عليه وسلم، ولما جاز السكوت عنه، وهو القائل(قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك).٢ أليس مصطلح العقيدة مصطلحًا محدثًا، أليس من باب أولى تركه أو السكوت عنه كما سكت الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذه التسمية أي: الصوفية غريبة على اللغة العربية وعلى الشريعة الإسلامية، واختلف الأقدمون والمتأخرون في أصلها، وبعد قراءتي لأقوال المختلفين، لا أستطيع أن أخرج بنتيجة للتسمية؛ لأنني لا أجد ميزانًا لغويًا أو علقيًا أو شرعيًا أستطيع أن أرجح به. هذا من جهة. ومن جهة أخرى: اختلف أيضاً متى بدأ زمانه، فذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزي وابن خلدون في هذا: إن لفظ الصوفية لم يكن مشهورًا في القرون الثلاثة الأولى، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ؛ كالإمام أحمد، وأبي سليمان

١- محمد ناصر الدين الألباني- مصدر سابق- ص٨٨.

٢- .هدى بنت ناصر بن محمد – آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية—مكتبة الرشد السعودية- بدون طبعة- ٢٠٠٠-ص ٣٩

الداراني ... وغيرهما، وقد روى عن سفيان الثوري أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري، وقال السراج الطوسي في الباب الذي خصصه للرد على من قال :»لم نسمع بذكر الصوفية في القديم، وهو اسم مستحدث[1]. لماذا لم يتم التعامل مع كلمة العقيدة بنفس الأسلوب الذي تمّ التعامل به في لفظة الصوفية؟ أليست هذه ازدواجية في انتقاء المعيار التي تتنافى مع المنهج العلمي، والشرعي في الحكم على أي مسألة؟ مع أن كلمة صوف وصوفي كلمة عربية متداولة في اللسان العربي والقرآن ومعناها أكثر وضوحًا من كلمة عقيدة.

وبما أنه ليس مصطلحًا له علماء يضبطونه وليس له تعريف يحكم حدوده ويمنع غيره مما يجعله عرضة لمزيد من التعريفات التي تتناسب مع من يريد أن يجعل لنفسه سهمًا في تعريف مصطلح العقيدة. وكل واحد يعرفه كما شاء من غير حارس يحميه أو رادع يردعه أو يرد على كل متسول على مصطلحهم. أين علماء مصطلح العقيدة؟

عندما تتباين الآراء وتختلف في أمر شرعي لابد من مرجع يرجع إليه الجميع من غير اعتراض، وهو القرآن، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجماع السلف حكمًا قيمًا لأنه القول الفصل، ومن يتولى غير الله ورسوله وسبيل المؤمنين فقد ضل سواء السبيل، فنتفق على حكم الله ورسوله لأن ذلك أحسن تأويلًا. هل مصطلح العقيدة حقيقة شرعية جاء بها الشرع، أم كلمة نطق بها الطحاوي وغيره في مصنفاتهم؟ ثم المتأخرون من عرّفها ولم يعرّفها من نطقوا بها في مصنفاتهم. أم لفظة الإيمان التي جاء بها التنزيل الحكيم وعلّق عليها أحكامًا في الدنيا والأخرة ونزل بها جبريل عليه السلام على رسول صلى الله عليه وسلم. ليقول لهم هذا جبريل جاءكم ليعلمكم أمور دينكم. إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا هل مصطلح العقيدة من الشرع، أم المتأخرون من أحدثه، وابتدعه

١- .، محمد بن عبدالرحمن المغراوي مصدر سابق-.ص ١٦

ثم شرّقوا، وغرّبوا فيه بهذه التعريفات المتباينة التي تكاد لا تحصى ولا تعد ويا ليته يقف عند هذا الحد، ثم من هم أهل هذا المصطلح حتى يحموا عرينه من كل متسول عليه. أما السلف فلم يكن لهم عقيدة بل هو الإيمان الذي أثبته لهم الله في كتابه ونحن على ذلك من الشاهدين في هذا الإيمان والاتباع لهم بإحسان(إن شاء الله).يقول الله تعالى:(**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**).[1] وحتى ذريتهم يلحقون بهم في الجنان يوم القيامة بسب الاتباع في هذا الإيمان. قال الله سبحانه وتعالى: (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**)[2]

النقطة الفاصلة في هذا المصطلح من حيث تعارضه مع القرآن من حيث من ينتسب إلى العقيدة التي هي أصل الدين عندهم. وبين من يجعل التوحيد، والإيمان هو أصل الدين كله الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وطلب الله من الناس أن يؤمنوا به. قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**).[3] وقال الله تعالى:(**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**).[4] فالقرآن يخاطب المؤمنين بلفظة ياأيها الذين آمنوا لكي يستجبوا لهذا النداء عبادة، وسلوكًا، وأخلاقًا، ومعاملة. فقد وعدهم بالجنة إن أقاموا عليه حتى الممات. قال الله تعالى:(**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا**).[5] وهذا الخطاب يلازمهم

١- سورة الحشر-١٠
٢- سورة الطور-٢١
٣- -سورة النساء- ١٧٠
٤- سورة الذاريات-٥٨.
٥- سورة النساء-٥٧.

في الأخرة. قال الله تعالى: **(وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ)**.[1]
أما أصحاب العقائد فينظرون من يخاطبهم وبأي نداء ينادونهم وما هي الأحكام التي يترتب عليها صاحب العقيدة، ومن ينكر أن العقيدة ليست من معاني الشرع التي جاء بها الكتاب والسنة بحيث يجد الفرق شاسعًا بين أصحاب العقائد وأصحاب النداء في التنزيل الحكيم. والشرع وضع لنا فوارق وتمايز بين المؤمن، والكافر، والموحد، والمشرك، والمتقين، والفجار وبنى عليهم أحكامًا في الدنيا والأخرة وهذا كثيرما نجده في القرآن.

أما صاحب العقيدة لكي يتمايز عن غيره ومن يخالف في العقيدة ما الذي يميزه في الدنيا والأخرة. ما هو مسمى من يعتقد عقيدة ما؟ هل معتقد فإذا كان كذلك أو غيره. إذا كان من ينتسب إلى السنة يسمى سني ومن ينتسب إلى البدع يسمى بدعي ومن ينتسب إلى الشيعة يسمى شيعي وهكذا كل من ينتسب إلى طائفة أو حتى أي مذهب من المذاهب يسمى بمسمى المذهب الذي ينتسب إليه: حنبلي، أو مالكي، أو شافعي، أو حنفي. تجد توافق بين الاسم والمسمى. ولكن انظر إلى العقيدة ومن ينتسب إليها كيف أفرق بين من ينتسب إلى عقيدة وأخرى- أهل السنة والجماعة-أشعري- ماتريدي- صوفي- وحدة الوجود، وغيرها من العقائد، إذا كانت العقيدة هي الإيمان؟ ولذلك قال ابن حزم:«والأصلُ في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد:اختلاطُ الأسماء، ووقوعُ اسم واحد على معانٍ كثيرة؛ فيخبر المخبر بذلك الاسم وهو يريدُ أحد المعاني التّي تحتَه، فيحمله السامع على غير ذلك المعنى الذيَ أراد المخبرُ، فيقع البلاءُ والإشكال، وهذا في الشريعة أضرُّ شيء وأشدُّه هلاكًا لمن اعتقد الباطل، إلّا من وفّقه الله تعالى.[2]

إن كل متعصب لإمام أو مذهب أو طائفة ليس هو من العلماء الربانيين بل

١- سورة الرعد-٢٣.

٢- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم- الإحكام في أصول الأحكام- تحقيق أحمد شاكر الجزء الثامن، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية- ص١٠١

هو جاهل بأصول الشريعة وقواعدها الكلية إذ هو بتعصبه لمذهبه ومنازعته في مسألة من المسائل يوالي ويعادي عليها يكون قد قدم هذا الفرع على أصل من أصول الدين، وهو الأمر بالجماعة والائتلاف. فهو أخذ بجزئية من جزئيات الشريعة ينازع عليها في هدم أصل من أصول الدين وكلية من كلياته، وهذا من جهله[1]. فالعقيدة ليست من أصول الدين الإسلامي، وليست من فروعه التي يقع فيها التخاصم والتعصب والتنازع بين أهل السنة والجماعة؛ لأنها من محدثات الأمور التي حدثت بعد أن تمّ الدين والرسالة.

أصحاب الحديث أولى الناس بالاتباع، ثم كل من اعتقد مذهبًا، فإن صاحب المقالة التي أحدثها يُنسب وإلى رأيه يستند إلا أصحاب الحديث فإن صاحب مقالتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتسبون وإلى علمه يستندون وبه يستدلون وإليه يفزعون وبرائه يقتدون[2]. وإلى قول ربهم الذي آمنوا به يستمدون الهداية، وإلى ندائه يستجيبون. قال الله تعالى: (**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**)[3].وعلى استجابتهم كافأهم في الأخرة (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**)[4].

تعريف مصطلح العقيدة بالإيمان هذه مثل الاعتداء على مال اليتيم، وذلك لغياب أهل اصطلاح الإيمان الذين يدافعون عن حقهم تجاه هذا الدخيل، لنفترض أن أحدًا استخدم لفظة عربية ثم ذهب وأحدث تعريفًا جديدًا لمصطلح الحديث الصحيح فقال: الحديث السليم. فقال كلمة سليم في اللغة من السلامة وخلوها من الشوائب وفي مصطلح الحديث تعني: الحديث

١- أسماء بنت سليمان بن عبدالرحمن السويلم، موقف الصحابة من الفرقة والفرق، دار الفضيلة ، السعودية، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢٥١.

٢- أبو القاسم هبه الله بن الحسن بن منصور – اللالكائي- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – مكتبة البصيرة – مصر، بدون طبعة، ص ٤٢.

٣- سورة آل عمران ١٩٣

٤- سورة يونس-٩.

السليم هو الحديث الصحيح الذي اتصل سنده ...هل يقبل منه ذلك؟ لا بل سيتصدى له علماء الحديث من كل صوب يفسدون عليه هذا التعريف الدخيل لأن علم مصطلح الحديث الصحيح قد اتفق عليه أهل التحقيق منذ أن ظهر فلا حاجة لنا بإضافة تعريف جديد لهذا المصطلح، أليس من باب أولى أن نحافظ على الحقائق الشرعية التي جاءت من حكيم عليم. قال الله تعالى: (**الركِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**)[1].

كما فعل علماء السلف عندما ردوا تعريف أهل الأهواء بتعريف الإيمان بالتعريف اللغوي الذي يعني التصديق فقط لكي يفصل بين الإيمان والعمل الذي تواردت كثير من الآيات على هذا الترابط مما جعلهم يردون عليهم بالأدلة الشرعية المستنبطة من القرآن والسنة. فقد وجدنا من رد على من ادعى أن العقيدة ليست كلمة شرعية لم تجد آذان صاغية بل الرد عليه وفندوا كلامه بأن تعسفوا وتطرفوا في البحث وحمل كلام الله على المصطلح الحادث ما لايحتمله. ولم يتجردوا من اتباع أقوال وآراء الرجال وتحكيمهم في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الذين يمثلون لهم قدوة. مما جعلهم يصرون أن العقيدة هي أصل الدين. ودفاع آخر بأن العقيدة ليست من الشرع، وأنها محدثة ومبتدعة. قوبل بالرفض. كما ذكر صاحب المصنف الذي رفض حججه التي ساقها مما قاده أيضا إلى التطرف في البحث من أجل تأصيل كلمة العقيدة بأنها أصل الدين.

تعريف العقيدة بأن جذرها عقد التي تعني الربط هذا تعد لكلمة العقد، مع أن اللغة تبرأ من ذلك لكن علماء العربية لم ينتبهوا إلى هذا التوغل الغريب في معاني كلمات اللغة. ثم تصبح العقيدة معناها الرباط والإيثاق، هذا إزاحة معنى العقد لتحل محله العقيدة، والسبب في ذلك الوصول إلى أن كلمة العقيدة هي كلمة عربية عندما نسبت إلى العقد مما يعطيها المعنى اللغوي

١- سورة هود-١.

لكي تنفذ بعد ذلك اصطلاحًا بحقيقة الإيمان بناءً على اطلاقات الطحاوي والصابوني وابن تيمية في كتبهم وبالتالي يؤدي هذا الافتراء إلى افتراء أخر ألا وهو تعريفها اصطلاحًا بالإيمان. هل رأيتم مثل هذا التسلسل في الافتراء على اللغة ثم إلى حقائق الألفاظ الشرعية، ثم التأويلات في القرآن لإثبات معنى العقيدة لغة واصطلاحًا، بأن تفسر الكلمات التي وردت فيها كلمة عقد بالعقيدة، ثم تفسير المعنى الاصطلاحي بالإيمان وتأويل الآيات التي وردت فيها لفظ الإيمان بالعقيدة. صاحب مصطلح العقيدة ليس له دليل على أنها كلمة عربية أو شرعية ولا من أقوال الرسول صلى اللّه عليه وسلم. فهو كمن خرج إلى البيداء بحثًا عن الماء، فلاح له السراب فظن أنه ماء زلال ولكن تفاجأ بأنه سراب خداع ولكن لازال يأمل أن يصبح السراب ماءً.

يقول ابن تيمية : وليس لأحد أن يحمل كلام اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وسلم على وفق مذهبه أن لم يتبين من كلام اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وسلم ما يدل على مراد اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وسلم وإلا فأقوال العلماء تابعة لقول اللّه ورسوله، وليس قول اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وسلم تابعًا لقولهم.[1]

كان صراع أهل السنة مع الفرق الأخرى حول حقيقة الإيمان، أما أهل السنة المتأخرون فقد اتفقوا مع الفرق الأخرى في تعريف العقيدة ثم لم تعد هناك فوارق بينهما وانتقل صراع خفي بين أهل السنة في تعريف مصطلح العقيدة وهم لا يلتفتون إلى حقائق الإيمان التي تميزهم من الفرق الأخرى. مما أدى إلى ضياع حقيقة الإيمان من بين أيديهم. وشرّقوا وغرّبوا وراء مصطلح العقيدة إذ لا تمر فترة حتى يخرج لنا كتاب عن العقيدة لا يعتمد تعريفًا جامعًا لها. بل ذهب بعضهم إلى إجراء دراسات عقائد السلف الصالح والبحث عنها (رسائل جامعية).

١- . محمد بن عبدالعزيز السابع – آراء أبي حجر الهيثمي الاعتقادية –دار المنهاج – الرياض – الطبعة الأولى- ١٤٢٧هـ-.ص٦٣١

يجب عليك أن تستحضر معك معاني مصطلح العقيدة وأنت تقرأ القرآن الكريم فإذا وجدت آية تتحدث عن الإيمان بالله فأعلم أن هذا الإيمان ركن من أركان العقيدة، أو الإيمان بالملائكة فاعلم أنه ركن من أركان العقيدة وهكذا بقية الأركان. ثم تنتقل إلى التوحيد بأنواعه الثلاثة الذي ما خلق الله الخلق إلا من أجله وما أرسل الرسل وأنزل الكتب إلا من أجله فاعلم أن هذا التوحيد(لا إله إلا الله) ركن من أركان العقيدة وهكذا يكون التنزيل من رب العالمين هو تابع لمصطلح العقيدة، وأنت تقرأ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتقرأ مصنفات علماء السلف في التوحيد والإيمان والسنة والشريعة والرد على الفرق التي خرجت عن جماعة المسلمين عبر امتداد التاريخ الإسلامي هي تابعة لمصطلح العقيدة.

ولكن ستواجهك مشكلة عويصة إلا إذا اتخذت لنفسك تعريفًا واحدًا لمصطلح العقيدة من تلك التعريفات وتعقده في قلبك(تلزم به نفسك) لكي تسير على هداه في تدبر القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وعندما تقابلك لفظة الإيمان بحيث لا تتوارد عليك تلك التعريفات الكثيرة والمتباينة عن العقيدة فتصرفك عن تدبرها.

من هم العلماء الذين وضعوا تعريفًا لمصطلح العقيدة. المتأخرون لم يؤسسوا لمصطلح العقيدة كمصطلح له أسس ثابتة؛ بل عبارة عن تعريفات هنا وهناك حتى لا تستطيع أن تحصيها. وكثرة التعريفات تؤدي إلى الاضطراب وخاصة هذه التعريفات لا نجدها مستقرة فهي في تزايد. ومن المعروف أن المصطلح عندما يظهر يبدأ العلماء في صياغته ثم يتردد معهم وكل عالم عندما يريد أن يتحدث في هذا المصطلح يذكر بدايته ومن وضع له تعريفًا حتى يستقر في تعريف جامع ومتفق عليه بين علماء ذلك المصطلح.

عندما يكتبون عن العقيدة نجد هذا في بداية الحديث عن العقيدة؛ ولكن عندما يتعمقون في مباحث العقيدة في الكتابة تضيع كلمة العقيدة لتحل

محلها كلمة الإيمان عندما يستدلون بالقرآن الكريم والسنة؛ لأنهم لا يجدون لكلمة العقيدة أثرًا في القرآن الكريم، ولا في السنة؛ لأنها مسائل محددة طارئة مرتبطة بظهور الفرق التي خرجت عن جماعة المسلمين التي أثارت تلك المسائل بعد عهد الصحابة؛ بل يجدون كلمة الإيمان ومشتقاتها تدور في القرآن الكريم والسنة؛ لأنها قضايا جوهرية في حياة كل مؤمن ومسلم، مما يجعلهم يثنون أقلامهم من العقيدة إلى الإيمان، لأن كل من خالف أمرًا من أمور العقيدة (بناءً على زعمهم) هو بكل تأكيد خالف أمر الإيمان أو التوحيد. مما يجعلهم يذكرون الإيمان وتتوارى كلمة العقيدة مدحورة حتى لا تنكشف سوأتها. بل اقرأ أي كتاب عن العقيدة، ثم احذف كلمة العقيدة عن هذا الكتاب تجد نفسك تقرأ كتابًا عن الإيمان أو مسائله.

نجد المعتزلة قد حرصوا كل الحرص على الطريقة اللغوية التي تعتبر عندهم المبدأ الأعلى في تفسير القرآن وهذا المبدأ اللغوي يظهر أثره واضحًا في تفسيرهم للعبارات القرآنية التي لايليق ظاهرها بمقام الألوهية أو العبارات التي تحتوي على التشبيه أو العبارات التي تصادم بعض أصولهم فتراهم يحاولون أولاً إبطال المعنى الذي يرونه مشتبهًا في لفظ قرآني ثم يثبتون لهذا اللفظ معنى موجودًا في اللغة يزيل هذا الاشتباه ويتفق مع مذهبهم ويستشهدون على ما ذهبوا إليه من المعاني التي يحملون ألفاظ القرآن عليها بأدلة من اللغة والشعر العربي القديم.[1] وهذا النهج سلكه المتأخرون عندما ذهبوا إلى المعاجم من أجل الكشف عنها ومن ثم أوجدوا لها تعريفا لغويًا ثم اصطلاحيًا ثم شرعيًا. وهكذا جعلوها تحمل دلالة لغوية وشرعية مما أدى إلى أن تبتلع ألفاظ القرآن التي جاء بها، من الإيمان والتوحيد والسنة بكل معانيها وصياغتها التي ورد فيها اعتمادًا على اللغة فقط، بل دفعهم هذا إلى التأويلات بعيدة عن مرادها. ورفض الأحاديث

١- .محمد حسين الذهبي – التفسير والمفسرون –مكتبة وهبة –مصر- الطبعة السابعة ٢٠٠٠ ص ٢٦٧

والآيات التي ترفض التعامل بالازدواجية مع الآيات والأحاديث التي تحمل مدلولات مختلفة عن الإيمان. ثم توغل بعضهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء إلا من أجل التوحيد والعقيدة بل جميع الرسل ما جاؤوا إلّا من أجل العقيدة وآخرون بحثوا بناءً على هذا المصطلح العجيب في عقيدة أئمة الهدى، ومعرفة عقيدتهم، لا ندري إلى متى ينهمر هذا المصطلح ليشمل لنا ماذا بعد؟

عندما يريد الإنسان أن يدخل في الإسلام ويفارق دين الآباء نصرانية أو يهودية أو بوذية أو غيرها فإنه يطلب منه نطق الشهادة، ثم يتعلم أمور الدين فلا يمكن أن نقول يجب عليك أن تعقد في قلبك أنه لا إله إلا الله ثم بقية أركان الإيمان أنما يتعلم هذه الأركان ثم يستقر في قلبه الإيمان بالعلم والمدارسة وإزالة كل شوائب الشرك والكفر التي علقت بقلبه، أوكما كان الرسول يقول لأصحابه عندما يدخل رجل الإسلام علموه أمور الدين. ألم تكن مهمة الرسل هي إزالة الشرك بالله الذي تعلق به أقوامهم من غير دليل ولا علم. ألم تكن قضية التوحيد هي الأصل التي بُعث الأنبياء من أجلها. ثم يتحول مسماه من الديانة التي كان يدين بها نصراني أو يهودي أو بوذي ليصبح مسماه مسلمًا. لكن إذا انتقل صاحب عقيدة (أشعري- ماتريدي- صوفي- شيعي) إلى السنة، هل يعني أن ينتقل إلى الإيمان؛ أن يؤمن أو أن يعتقد أو يعقد في قلبه عقيدة أهل السنة والجماعة؟ أم هي مسائل محددة خالف فيها الكتاب والسنة، يجب عليه أن يتخلى عنها ويتحلل منها (لأن ضد عقد حلّ) كما فعل أبو حسن الأشعري وغيره. ويتمسك بالكتاب والسنة.

هل عجز القرآن أن يأتي بلفظة تشمل جميع تلك العلوم التي أحاطت بها كلمة العقيدة بحيث تشمل الإيمان والتوحيد والسنة والشريعة، وهل الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم لم يهتد لتلك الكلمة وهل عجز الصحابة أن يهتدوا إليها، ولا التابعون إليهم بإحسان حتى جاء الطحاوي بالفتح المبين ليبتلع كل مفردات القرآن والسنة وأقوال الصحابة ومصنفات السلف

لتذوب في بوتقة العقيدة التي تشمل علم الأولين والآخرين بتلك التعريفات التي أوردها المتأخرون الذين صاغوا كل العلوم في مصطلح العقيدة.

ولا شك أن متابعة الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى أكمل و أتمّ في متابعتهما في المعنى دون اللفظ ويكون ذلك باعتماد ألفاظ الكتاب عند تعزيز مسائل الإيمان وأصول الدين والتعبير بها ومعانيها الشرعية وفق كلمات القرآن وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم. يقول ابن تيمية: والتعبير عن حقائق الإيمان وعباراته بالقرآن أولى من التعبير منها بغيرها من ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها وهي تنزيل من حكيم حميد والأمة متفقة عليها ويجب الإقرار بمضمونها وفيها من حكم ما لا تنقضي عجائبه. والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع ثم قد يجعل اللفظ حجة بمجرده وليس هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يضطرب في معناه ومتى ذكرت ألفاظ القران والحديث وبين معناها بيانًا شافيًا فإنها تنظم جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس.[1]

عندما عرف الغربيون العقيدة بتلك التعريفات بناءً على عقيدة الثالوث عند النصارى فلا ريب أن تعريف العقيدة يتماشى مع ذلك المعنى ومن ثم سيقيسون العقيدة الإسلامية بناءً على تعريف العقيدة عندهم وليس بتعريف المسلمين لها مما يجعلهم ينفرون من الإسلام إذا تمّ تعريفه بأنه عقيدة أو ترديدها في كل ما يخص الإسلام مما يوحي أن الإسلام عقيدة مبنية على آراء الرجال كما هو الحال في عقيدة النصارى.أما كلمة إيمان فلها مدلول واضح.

الإيمان هو مستوى أعلى من العقل البشري المحدود، الذي لا يدرك سوى الأمور المحدودة التي تدخل في نطاق إمكانياته. فهو يستطيع أن يوصلك إلى مُجرَّد معرفة وجود الله، وإلى معرفة بعض صفاته. ولكن الإيمان يكمل

١- - أبو عبد الله يسري- مصدر سابق-ص ٢٨١.

معك الطريق إلى أقصاه. وهكذا فإنَّ الإيمان بالوحي يكمّل ما لم يصل إليه العقل.[1]

من أخطر أنواع الانحراف الذي ابتليت به الأمة الإسلامية على امتداد التاريخ ما جاء من قبل أهل الكلام والفلاسفة الذي حذّر منه الأئمة وخاصة عندما انصرفوا عن مجادلة أهل النحل والملل من بقايا الديانات القديمة إلى مسائل الإيمـان. مما جعلهم يستخدمون العقل والمنطق اليوناني في قضايا ومسائل الإيمان من الأسماء والصفات وغيرها التي أجمع الإئمة أن يمرروها من غير تعطيل أو تشبيه ولذلك لأن للعقل حدود محدودة لايستطيع أن يتجاوزها في مسائل الإيمان والتي يجب على المؤمن أن يسلّم بها وإن لم يستطع أن يدركها بعقله حتى لا يؤدي ذلك إلى سوء الأدب مع اللّه سبحانه وتعالى أو القول بغير علم أو تأويلات في آيات الأسماء والصفات ما لاتتحمل تلك التأويلات.مما جعلهم فيما بعد يعادون أهل السنة والجماعة الذين كان عمدتهم في مسائل الإيمان من الأسماء والصفات التسليم المطلق ومن غير إعمال العقل في تلك المسائل.

أما أهل البدع من الفلاسفة فقد أسسوا دينهم على مقولات من عند أنفسهم مع اختلافهم وتنازعهم فيها وسموها قطعيات وجعلوا النصوص تبعًا لها فنهجوا في ذلك من استغنى عن النبوة بهواه وعن الوحي برأيه حتى ثُقل عليهم الإيمان بحقائق أسماء اللّه تعالى وصفاته. ودرجة الراسخين في العلم هي الإيمان بجميع ما أنزل اللّه تعالى من الكتاب والحكمة إيمانًا عامًا مجملًا وإذا استبان لهم معنى آية أو حديث لم يسعهم إلّا الانقياد والإذعان له وإذا اشتبهت عليهم بعض النصوص فوصفوا العلم بها إلى قائلها والمتكلم بها وقالوا (**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**(٧) قال الخطابي ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه لقوله تعالى في

١- - مقالات البابا شنودة الثالث المنشورة في جريدة الأهرام - يوم الأحد ٧-١٠-٢٠٠٧

أخر الآية (**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**).[1]

عندما يستخدم الإنسان عقله في أي مسألة من المسائل من أجل الوصول إلى الحق من غير تدخل القلب إيمانًا كان أوكفرًا، في تلك المسألة؛ فإن استخدم الأسلوب الصحيح فإنه سيصل للحق الذي لا مراء فيه. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب).[2] فكيف إذا كان هذا القلب عامرًا بنور العلم. قال الله تعالى: (**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ(٨٥)**).[3]

أما إذا كان في القلب الكفر فإن التفكير سيؤدي إلى رفض تلك الحقائق إذا جاءت مخالفة لكفره. قال الله تعالى: (**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)**).[4] مع أنه استماع إلى كلام الله فكانت النتيجة متوقفة على ما في القلب من الإيمان، والكفر، وليس هناك علاقة بالعقيدة التي تعني الإيمان. أما مسائل الغيب التي ترتبط بالإيمان والتي أخبر عنها القرآن والسنة فمن منطلق الإيمان يجب التسليم بها وعدم البحث فيها متجاوزًا تساؤلات العقل في ماهيتها. وأما إذا كان في القلب شك، أو مرض، أو ريبة في مسائل الغيب الواجب الإيمان بها، فإنه لا يقر بقرار حتى يبحث في تلك

١- عثمان علي حسن- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة- المجلد الأول- مكتبة الرشد- السعودية- الطبعة الرابعة-١٩٩٧-ص -١٧٩-٢٣٧

٢- أخرجه البخاري.

٣- سورة المائدة-٨٣-٨٤-٨٥.

٤- سورة المدثر-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤.

المسائل مستخدمًا عقله العاجز عن إدراك حقيقة نفسه التي بين جنبيه؛ وذلك لأن القلب محل الإيمان والعقل وظيفته التفكير في أي مسألة يعرضها القلب عليه من أجل البحث عنها فإذا توصّل العقل إلى عدم إدراك تلك الحقائق فإنه يسلّم بعجزه عن إدراك ذلك؛ ولكن لأن في القلب مرض، أو شك فإن القلب موضع الإيمان، والكفر لا يستسلم لتلك الحقائق مما يؤدي إلى الجدل والمراء في تلك المسائل لذا تكون نتائج تلك الأبحاث هي الضلال البعيد من منابع الإيمان قال الله تعالى: (**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ** (٥٧) **وَقَالُوا أَآَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** (٥٨).[1] ومن الذين خاضوا في تلك المسائل عندما تبين لهم الضلال تابوا، وأنابوا وسجّلوا تلك الضلالات التي سعوا خلفها، منهم الجويني. قال الذهبي: قال السمعاني: وقرأت بخط أبي جعفر أيضا: سمعت أبا المعالي يقول: قرأت خمسين ألفًا في خمسين ألفًا، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني.ويقول أيضا: (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات (**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**) طه ٥،(**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**) فاطر١٠ وأقرأ في النفي: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) الشورى١١ ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. فمنهم الوليد بن أبان الكرابيسي، الذي قال فيه أبو بكر بن الأشعث: (كان أعرف الناس بالكلام بعد حفص الفرد، الكرابيسي) يروي قصة رجوعه وتوبته عند موته، ابن أخته: أحمد بن سنان الواسطي، فيقول:

١- سورة الزخرف-٥٧-٥٨.

(لما حضرت الوليد بن أبان الكرابيسي الوفاة، قال لبنيه: أتعلمون أحدا أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا. قال: فتتهموني؟ قالوا: لا. قال فإني أوصيكم أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإن رأيت الحق معهم. وبعد أن رجع الغزالي إلى طريق الحق، في أواخر أيام حياته، ألف كتابًا في ذم علم الكلام، سماه (إلجام العوام عن علم الكلام)، ومما قال فيه: (إن الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا محتاجين إلى محاجة اليهود والنصارى في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فما زادوا على أدلة القرآن شيئا، وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس العقلية، وترتيب المقدمات، ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن، ومنبع التشويش، ومن لا يقنعه أدلة القرآن، لا يقمعه إلا السيف والسنان، فما بعد بيان الله بيان).[1] ولأن أهم متطلبات الإيمان العمل وليس البحث عن أمور الغيب. قال الله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).**[2] ولأن القلب أشرب كفرًا باتخاذ العجل إلهًا من دون الله كان نتاج ذلك العصيان والتمرد على أمور الإيمان. وهذا خلاف ما أثنى الله به على رسوله والمؤمنين بالسمع والطاعة. قال الله تعالى: **(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)**.[3] وقال الله تعالى: **(الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ**

١- جمال بن أحمد بن بشيربادي الأثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد - مصدر سابق- ص ٦٩٠-٦٩٤
٢- سورة البقرة-٩٣.
٣- سورة البقرة-٢٨٥.

يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤).[١]

ومن البراهين التي تؤكد بأن التَسليم في الأمورِ الإيماًنية التي لا يستطيع العقل أن يدركها وإن كانت لا تتوافق مع العقل والواقع تجعل صاحبها يحمل أعظم صفة يمكن أن يتصف بها المؤمن وهي صفة الصديقية وتلك هي شخصية أبي بكر الصديق وذلك عندما أسري بالرسول صلى اللّه عليه وسلم إلى بيت المقدس ثم أخبر قريشًا لم تصدق بذلك بل ظنت أن هذه الحادثة كافية لإثبات كذب وافتراء الرسول صلى اللّه عليه وسلم، لذا ظنت إذا أخبرت صديقه أبا يكر بقصة الإسراء يمكن أن تجعل أبا بكر يكذب الرسول وبالتالي يؤدي إلى ارتداده عن الإسلام ولكن كانت المفاجأة التي أذهلت قريشًا من أبي بكر حينما قال لهم: أنا أصدقه فيما هو أعظم من ذلك بخبر السماء يأتيه في لحظة. لأنه-رضي اللّه عنه- لم يستخدم عقله في المسألة لأنه مؤمن في أعلى درجات الإيمان التي لا تخضع مسائل الإيمان إلى العقل القاصر عن إدراك حقائق الوحي. والمسألة عنده هل قال الرسول ذلك أو جاء به الوحي من السماء فليس من حقه الاعتراض أو إقامة دليل مادي على صدق ما أخبر به، كما يطلب الكفار في عنادهم مع الرسول لكي يصدقوه. لذا تبوأ أبوبكر تلك المنزلة العظيمة في الأمة الإسلامية بسبب إيمانه أولًا ثم التضحيات التي بذلها في سبيل هذا الإيمان.

١- سورة آل عمران ١٧٢-١٧٣-١٧٤.

الإيمـان

الإيمان يعني التصديق المقترن بالتسليم من غير البحث، والتنقيب ما وراءه من قضايا غيبية، ومن ذلك أن إخوة سيدنا يوسف عليه السلام، قال لسيدنا يعقوب عليه السلام: وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين، مع إضمار كذبهم، بعد ذلك قدموا الدليل الكاذب على خبرهم، لذا قال سيدنا يعقوب عليه السلام: بل سولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، ولم ينقب عليه السلام في خبرهم، بل فوّض أمره إلى الله. أما في المرة الثاني فقدموا الدليل قبل خبر ابنه الذي أتهم بالسرقة، فقالوا: اسأل القرية التي كنا فيها والعير التي كنا فيها وإنا لصادقون، ولم يقولوا وما أنت بمؤمن لنا، وذلك لصدقهم في خبرهم ويمكن له أن ينقب عن خبرهم ليتأكد من صدقهم. وبعد أن فقد ابنه الثاني قال لهم: اذهبوا فتحسسوا عن يوسف وأخيه مع علمه أن الذئب لم يأكل سيدنا يوسف كما قالوا، وأن ابنه لم يسرق وإن في الأمر شيئ علمه سيدنا يعقوب. قال الله تعالى: (**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** (٨٦) **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** (٨٧)[١]. وكذلك المنافق فإنه يؤمن بلسانه ويكفر بقلبه فيُصدق في ذلك ولم يبحث وينقب ما في قلبه وإن كانت أعماله وأقواله وسلوكه دالة على كذبه ونفاقه. قال الله تعالى: (**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[٢].

أما في مسائل الإيمان بالله وما يتعلق بها من مسائل، والإيمان باليوم الآخر يجب التصديق والتسليم وعدم التنقيب فيما وراء ذلك، بما أخبر الله عنه. لذا نجد كثيرًا من الآيات القرآنية تسير في هذا الإتجاه من كان يؤمن بالله، واليوم الأخر. قال الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى**

١- سورة يوسف-٨٦-٨٧.

٢- سورة المنافقون- ٢.

وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1]. وقال الله تعالى: (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)[2]. لذا كانت أول مسائل الإيمان التي ذكرت في القرآن في سورة البقرة هي مسألة الإيمان بالغيب؛ مما يعني التصديق والتسليم بكل ما سيذكره القرآن من أمور الغيب، وأجلّها الإيمان بالله واليوم الآخر. قال الله تعالى: (الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(٤).[3] وأما البحث فيما وراء ذلك فقد يؤدي إلى الحيرة، والتيه كما خاض الفلاسفة والمتكلمون في تلك المسائل ما أدى بهم إلى الضياع؛ وذلك لمحدودية العقل. فكان الصحابة والتابعون أعلم الخلق بتلك المسائل التي لم يخوضوا فيها بل أجروها على ما هي عليه من غير البحث والتنقيب فيها لذا كانت طريقتهم أعلم، وأسلم، وأحكم.

كانت بداية الصراع والنزاع بين أهل السنة، والجماعة، والفرق التي خالفتهم من أهمها تعريف الإيمان حيث اعتمدت المذاهب، والفرق على التعريف اللغوي لمعنى الإيمان دون مراعاة السياقات التي جاء فيه لفظ الإيمان مما جعلها تخرج الأعمال عن مسمى الإيمان، وسنقف على تعريف الإيمان لكل من هذه الفرق وتعريف أهل السنة لمسمى الإيمان:

تعريف الإيمان عند أهل السنة: فأهل السنة عندهم أصل الإيمان بالله أنه التصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان فيدخل تحت هذا الأصل

١- سورة البقرة- ٦٢

٢- سورة التوبة- ٤٤-٤٥.

٣- سورة البقرة- ١-٢-٣.

الإيمان بربوبيته سبحانه وتعالى وبألوهيته وأسمائه وصفاته ويثبتون ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكيف ولا تمثيل على حد قوله تعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (١١) الشورى. الإيمان عند الخوارج: فعل الطاعات كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح إلا أن الخوارج يرون أن الإيمان مركب من هذه الأمور الثلاثة إذا أخل المكلف بواحد منها ذهب إيمانه بالكلية فعلى مذهبهم لا يمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه فإذا ذهب بعضه ذهب كله فهم ينكرون الزيادة والنقصان في الإيمان. الإيمان عند الشيعة: هو أصل قبول الأعمال والنجاة في الدنيا والأخرة، ولكن الشيعة جعلوا ذلك للأئمة فالمغفرة والرحمة والرضوان والجنان لمن اعتقد بالأئمة والإمامة وإن جاء بقراب الأرض خطايا وآثامًا. الإيمان عند القدرية (المعتزلة) إن المعتزلة ذهبت في تعريف الإيمان إلى ما ذهب إليه الخوارج، فهم يرون أن الإيمان مركب من التصديق والقول والعمل، فإذا أخل المكلف بواحد منها ذهب إيمانه وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فلذا فهم يطلقون على مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين وفي الأخرة خالدًا مخلدًا في النار فحصل عندهم الخلل في تعريف الإيمان وفي الأسماء والأحكام فجعلوا المؤمن كالكافر والكافر كالمسلم وشتان ما بين الاثنين. الإيمان عند المرجئة الذين يقولون(لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة) . وأما لإيمان عند الأشاعرة والماتريدية فهو التصديق، وأن الأعمال من شرائع الإيمان فأدى قولهم إلى التهاون بالأعمال والأقوال بل إلى إهمال النطق بالشهادتين، بذلك حصل الخلل عندهم في الإيمان. الإيمان عند الجهمية: عبارة عن شيء واحد وهو المعرفة وأنه لا يزيد ولا ينقص والناس فيه سواء ويرون أن من عرف ربه بقلبه ثم جحد بلسانه لم يكن كافرا بجحده هذا، لأن المعرفة لا تزول وتذهب بالجحد.[1] وهذا مذهب

١- عفاف بنت حسن بن محمد- تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة- مكتبة الرشد -السعودية- الطبعة الأولى- ٢٠٠٠-ص ٣٢٨ -٣٣٢.

المتأخرين في تعريف العقيدة بحيث تباينة تعريفاتهم كما اختلفت الفرق في تعربف الإيمان. واتفاق أهل السنة في تعريفه. فالإيمان هو الذي يجمع أهل السنة والاجتماع مطلب شرعي. كما أن العقيدة تجمع أهل الأهواء والبدع وتحكيم آراء الرجال في دين الله.

وبناءً على هذه الأقوال من الفرق التي خالفت الكتاب والسنة في تعريف الإيمان فقد صنّف العلماء مصنّفات في الرد عليهم من الكتاب والسنة. ومن المصنفات في هذا الباب: كتاب الإيمان للإمام أحمد. وهذا الكتاب وان كان ليس خاصًا في باب الإيمان ومسائله إلا أن الجزء الأكبر منه في الرد على المرجئة والنقل عن السلف وغيرهم . وإيراد الأدلة الشرعية على ذلك من القرآن والسنة. وكتاب الإيمان لأبي بكر أبي شيبة الذي أبان فيه عن قول السلف في الإيمان ومسائله ورد على أهل الباطل باطلهم. وكتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، وقد نحا فيه نحو كتاب ابن أبي شيبة ورد فيه على المرجئة والخوارج والمعتزلة، وبين الحق في مسألة الاستثناء في الإيمان وزيادة الإيمان ونقصانه. وكتاب الإيمان لابن مندة، الذي نصر فيه قول السلف ودلل له بالأدلة الشرعية ورد على أهل الباطل والبدعة. ثم تبع هؤلاء الأئمة في نصرة الدين والذب عن عقيدة السلف الصالح (تأمل غرابة كلمة العقيدة كيف حُشرت في الرد على مسائل الإيمان) القاضي أبو يعلى الفراء رحمه الله فأظهر عقيدة السلف ورد على أهل الباطل. وألف كتابه الإيمان في نصرة عقيدة السلف ودحض باطل المبتدعة من الخوارج والمعتزلة والجهمية والأشعرية وغيرهم، ممن خالف الحق في هذه المسائل.[1]

الإيمان مطلب عزيز:

الإيمان مطلب عزيز من أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، ويتطلب لنيله بذل النفيس والغالي وترك ما توارثه الإنسان من عبادة الآباء

١- القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان- دراسة وتحقيقًا- حققه وعلق عليه سعود بن عبد العزيز الخلف- دار العاصمة –السعودية- الطبعة الأولى- ١٤١٠هـ-ص ١٥

والأجداد، وترك الملذات والشهوات التي اعتاد عليها قبل الإيمان، وربما دفعه الإيمان إلى ترك وهجر أعز الناس في الدنيا الوالدين. يقول الله تعالى: (**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**)[1]. والتجرد من كل خلة، أو صداقة تنافيه بل ترك الأوطان، والأولاد، والأزواج. يقول الله تعالى: (**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**)[2]. وهل يستوي هو ومن ركن إلى عقيدة الآباء وحب الأوطان. بل كيف من لم يهاجر من بلاد الكفر إلى بلاد الإيمان. يقول الله تعالى:(**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**)[3]. أو اتباع الهوى. يقول الله تعالى: (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)**)[4]..

وقضية الإيمان هي القضية الأولى التي جاء النبيون والمرسلون من أجلها، والتي نزل الوحي الكريم لتثبيتها، والتي كانت محور الرسالات كلها، وكانت محور رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فلقد جاء القرآن الكريم وجاءت السنة الشريفة لتعالج هذه القضية، ولتوضحها

١- سورة لقمان-١٥.
٢- سورة آل عمرن-١٩٥.
٣- سورة النساء-٩٧.
٤- سورة الأعراف-١٧٥-١٧٦.

وتبينها بيانًا كاملًا، للبشرية كلها بيانًا خاتمًا لا بيان بعده. وجاءت سائر القضايا التي يعرضها منهاج الله- قرآنا وسنة- مرتبطة بهذه الحقيقة الأولى الكبرى، وتقوم عليها قيامًا كاملًا، فلا استقرار لها بدونها، ولا قوة ولا كيان. إن الدعوة إلى الإيمان لم تكن مجرد كلمات تتردد في ألسنة وندوات، ولكنها كانت تمثل نظام حياة، ونهج سلوك، وقواعد تحدد الكلمة والرأي والموقف والسلوك. وقد أدرك مشركو قريش ذلك. وأدركوا أن الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد هي دعوة تحطيم جميع الأعراف والعادات والنظم الجاهلية التي تقوم عليها زعامتهم. لذلك أدركوا أن هذا الأمر شاق عليهم، يفرض عليهم أن يغيروا ما بأنفسهم، وأن يغيروا نهجهم في الحياة كلها. أدركوا عظمة هذه الدعوة وخطورتها، فقاوموها مقاومة عنيفة، حين استكبروا وأصروا على شركهم وأعرافهم، وأصنامهم ونظمهم.[1]

عندما أعرض الكفار والمشركون عن الإيمان، وبقوا على عقدة وعقيدة الآباء، واجهوا المؤمنين بأصناف من الأذى وبعد صبر الأنبياء والمؤمنين على أذى الكفار، قال الله تعالى: (**وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**)[2]. ولكي يصرفوا المؤمنين عن الهدى، والحق الذي عليه انتقلوا إلى وسائل أخرى لصدهم عن هذا الإيمان من، تلك الوسائل: الاستهزاء بهم. يقول الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢)**)[3]. والسخرية. يقول الله تعالى: (**إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)**

١- عدنان علي رضا النحوي- التوحيد وواقعنا المعاصر- دار النحوي للنشر- السعودية- الطبعة الثالثة- ١٩٩٧- ص ١٨-١٩.

٢- سورة إبراهيم-١٢.

٣- سورة المطففين- ٢٩-٣٠-٣٢-٣١.

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١)[١]. ولم تؤد تلك الأساليب إلى نكوص المؤمنين عن إيمانهم. بل أدى ذلك العناد من الكفار إلى صبر ومصابرة أكبر من المؤمنين.

عند ذلك تمنى أعداء الإيمان أن يكفر الصحابة من بعد إيمانهم فيكون سواء في الكفر لذا حذّر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتخذوا الكفار أولياء من دون المؤمنين. قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** (١) **إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ** (٢).[٢] وكذلك المنافقون فقد تمنوا أن يعود المؤمنون إلى الكفر فيكونون سواء في الكفر. يقول الله تعالى: (**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا** (٨٨)**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** (٨٩)[٣]. وكذلك تنمى أهل الكتاب أن يكفروا بالله كما كفروا حسدًا من عند أنفسهم على هذا الإيمان الذي هم فيه. يقول الله تعالى: (**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[٤].

ولكن سيكون هذا الإيمان أغلى أمنية يتمناها الكافرون، والمشركون حينما

١- سورة المؤمنين- ١٠٩-١١٠-١١١.
٢- سورة الممتحنة ١-٢.
٣- سورة النساء ٨٨-٨٩.
٤- سورة البقرة- ١٠٩.

تتجلى لهم حقيقة الباطل، والضلال الذي جاهدوا وقاتلوا في سبيله عندما يروا بأس الله نازل عليهم والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم لا بشرى لكم، هنا يتمنون أن يؤمنوا بالله والحق الذي أنزله على رسوله ولكن هيهات. يقول الله تعالى: (**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)**).[1] وقال الله تعالى: (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**).[2]

ولكن هذا الإيمان لم ينفع غير قرية سيدنا يونس عليه السلام لما آمنت فنفعها هذا الإيمان من عذاب الله عندما خرج منهم نبيهم يونس عليه السلام، بعد أن أنذرهم بالعذاب. قال الله تعالى: (**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**).[3]

هذا في الحياة الدنيا أما في الأخرة فسيكون الخزي والندامة ومقت الله عليهم بعد الإعراض عن الإيمان في الدنيا. يقول الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)**)[4].

دخول وخروج الإيمان من القلب:

الإيمان يدخل قلب الإنسان عندما يتبين له صدق دعوة الرسول من غير

١- سورة غافر٨٤-٨٥.

٢- سورة الأنعام- ١٥٨.

٣- سورة يونس٩٨.

٤- سورة غافر ١٠-١١-١٢.

أي ضغوط تمارس عليه كما هو الحال في العقيدة وليس ادعاء بل بكل صدق وإخلاص. يقول الله تعالى: (**قَالَت الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُل الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[1]. يعني بدون أذن صاحبه لا يمكن لهذا الإيمان أن يدخل ويستقر في القلب. يقول الله تعالى: (**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**).[2] فإذا دخل الإيمان بأذن صاحبه فيحدث التناغم الشديد بين الإيمان الذي دخل واستقر في القلب وبين الجوارح التي هي جند من جنود القلب فإذا اطمأن القلب بالإيمان فان ذلك يظهر في السلوك الذي يدعو إليه ذلك الإيمان عندما يدخل القلب ويستقر فيه فأنه لا يعارض الأوامر، والنواهي التي تصدر من ذلك الإيمان بفعله، أو قوله. وإن لم يجد لها مسوقات عقلية فلا يعارضها بعقله أو ردها. لأن الإيمان يعني التسليم المطلق بعد التصديق.

وهذا خلاف من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه تجد اضطرابًا وتناقضًا في سلوكه. عن أبي برزة الأسلمي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته).[3]

والدخول يعني أن هناك وعيًا كاملًا من الإنسان بهذا الإيمان الذي دخل قلبه ويمكن أن يرفض هذا الإيمان ولا يسمح له بالدخول وإذا كانت كل الدلائل والبراهين تشير إلى صدق هذا الإيمان وأنه يتوافق مع النفس والعقل ولكن يرفضه ذلك لأسباب العناد والكبر والاستعلاء. يقول الله تعالى: (**ثُمَّ**

١- سورة الحجرات -١٤.

٢- سورة فصلت -٥.

٣- أخرجه أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان و الألباني.

أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨)[١]. واتباع الهوى. يقول الله تعالى:(**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**)[٢].

بل قد يزداد العناد والإصرار بان يجعل الإنسان سدا منيعا لقلبه بحيث لا يسمح لهذا الإيمان بالدخول إلى القلب وذلك لقوة برهان هذا الإيمان. يقول الله تعالى:(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**)[٣].وعند الإصرار فان الله يطبع على هذا القلب فلا يؤمن أبدا فلا يدخل الإيمان في قلبه ولو جاءته كل آية تدل على صدق هذا الإيمان. يقول الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)**[٤]. ويقول الله تعالى: (**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**)(١١٠)[٥].

وكما أن هذا الإيمان يدخل القلب بأذن صاحبه فأنه يخرج كذلك من قلبه بعلمه لأن هناك بعض الإعمال التي تنافي هذا الإيمان والعمل بهذه الأعمال يؤدي إلى خروج الإيمان من القلب من ذلك تعلم السحر. يقول الله تعالى:(**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**

١- سورة المؤمنون -٤٥-٤٦-٤٧-٤٨

٢- سورة محمد ١٦

٣- سورة فصلت ٢٦

٤- سورة يونس٩٦-٩٧

٥- سورة الأنعام-١١٠

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[1]. لان عكس الإيمان الكفر أي تغطية حقائق الإيمان التي تجلت وبانت. وكذلك السجود لغير الله سبحانه وتعالى. يقول الله تعالى:(**كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)**(١٧)٢.

ومن يبيع دينه بعرض من الدنيا.عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا)[3]. وغيرها من الأعمال التي تؤدي إلى خروج الإيمان من القلب. ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن.

يمر الإيمان بعدة مراحل حسب البيئة التي يظهر فيها الإيمان، فقد نجد مرحلة واحدة يمر بها الإنسان تجاهه ففيها يمتحن فقد يفوز في هذا المرحلة فيكتب له السعادة الأبدية، ومن ذلك صاحب القرية التي ذكرت قصته في سورة يس. يقول الله تعالى:(**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ**

١- سورة البقرة-١٠٢

٢- سورة الحشر- ١٦-١٧.

٣- رواه مسلم

يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)[1].

وكذلك سحرة فرعون وأصحاب الأخدود. وقد ينتقل الإيمان عبر مراحل يتعرض فيها المؤمن لمختلف أنواع الابتلاء حسب ما هو في الإيمان وهذا الذي يميزه عن العقيدة. يقول الله تعالى:(**الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**)(٣)[2].

مراحل الإيمان:

المرحلة الأولى:

وهي مرحلة التصديق بالخبر بما أخبر عنه مع القيام بالدليل، والبرهان عن المخبر عنه. ويزداد التصديق إذا كان المخبر من اشتهر بالصدق في قومه، ولم يجرب عليه كذب، ومن ذلك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويزداد التصديق من أصحاب العقول التي لم يصبها الهوى في اتباع الحق إذا تجلى لهم واستخدام التفكير بعيدًا عن التعصب والتحيز إلى أي آراء أخرى، وقد يقع التصديق بالمخبر، وأنه على حق، وأن ما جاء به هو الهدى، والدين الحق الذي يجب اتباعه ولكن قد لا يؤمن بذالك مع قيام الحجج، وذلك يرجع إلى رسوخ عقيدة الآباء، والخوف من مفارقتها. والكبر والاستعلاء. وقد يتعرض صاحب الإيمان لفتن مما يؤدي إلى النكوص عن هذا الإيمان.

المرحلة الثانية:

النطق بهذا الإيمان بعد رؤية الحق وانكشاف زيغ الباطل واستقرار ذلك في القلب مع خروج الباطل من القلب.تبدأ مرحلة مواجهة الأخطار تجاه هذا الإيمان ومن ذلك سحرة فرعون.يقول الله تعالى: (**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ**

١- سورة يس-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-

٢- سورة العنكبوت-١-٢-٣.

إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣)[١]. وقد لا ينطق اللسان جهارًا بذلك ولكن القلب مطمئن بذلك الإيمان وقد يحول الخوف دون النطق بهذا الحق الذي ظهر كما أنه يمنع من إظهاره على الملأ ومن ذلك مؤمن آل فرعون. يقول الله تعالى: (**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**)[٢]. وبعض الصحابة الذين يكتمون إيمانهم في مكة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

المرحلة الثالثة:

مرحلة التهديد بالقتل والإخراج من الأوطان والرجم عندما يعلن المؤمنون الإيمان بالله والرسول صلى الله عليه وسلم، وعندما يصبر المؤمنون على التهديد يمارس الكفار أنواع التعذيب والاضطهاد لكي يرجع المؤمنون عن دينهم ولكن يثبتون ويصبرون على الابتلاء على هذا الإيمان الذي فارق من أجله عقيدة الآباء والأجداد فقد تعرض الصحابة لأنواع الابتلاءات مثل: آل ياسر وبلال ومصعب وغيرهم. وعندما يصمد المؤمنون أمام هذا الأذى والاضطهاد يلجؤون إلى اخراجهم من الأوطان، والبلاد، أو الهجرة. يقول الله تعالى:(**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ**)[٣]. فقد هاجر الصحابة إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

١- سورة الأعراف -٧٠-٧١-٧٢-٧٣.

٢- سورة غافر-٢٧.

٣- سورة الأعراف-٨٨.

المرحلة الرابعة:

بعد تجاوز مرحلة الصبر والابتلاء على الإيمان والهجرة تأتي مرحلة العمل بالأركان بمتطلبات هذا الإيمان من سلوكيات وعبادات تعبدية لله سبحانه وتعالى وامتثال لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والجهاد وغيرها من أنواع العبادات. وهذه العبادات تحتاج إلى صبر وجهاد النفس على أدائها بالصورة المطلوبة. يقول الله تعالى: (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**)[1].

المرحلة الخامسة:

مرحلة التمكين والنصر والعزة والظفر لأهل الإيمان. يقول الله تعالى: (**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**)[2]. وإظهار الإيمان ودحر الباطل والكفر وإقامة شعائر الله في أرضه وانتشار الأمن والإيمان. يقول الله تعالى: (**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**)[3].

المرحلة السادسة:

البشرى في الدنيا لأصحاب الإيمان عند مفارقة الدنيا في ساعة الموت حيث تتنزل عليهم الملائكة تبشرهم بوعد الله لهم. يقول الله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**) (٣١).[4] هذا

١- سورة العنكبوت -٦٩.

٢- سورة الحج-٤١

٣- سورة النور-٥٥.

٤- سورة فصلت- ٣٠-٣١.

الإيمان الذي آمنوا به وصبروا عليه وتحملوا في سبيله كثيرًا من المشاق حتى الموت.

المرحلة السابعة:

السعادة الأزلية والسرمدية والفوز العظيم يوم يعرض الأولين والآخرين ليوم عظيم فأما المؤمنون فيزفون إلى جنات ونعيم وأما الذين كفروا فإلى جهنم يحشرون.يقول اللّه تعالى: (**وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ**)[1].

أركان الإيمان:

يقوم الإيمان على ستة أركان أولها وأعظمها شأنًا والذي تقوم عليه بقية الأركان وهو الإيمان باللّه خالق كل شيئ وهو على كل شيئ وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدركها. طلب من البشرية الإيمان به فقد أرسل من أجل ذلك الرسل وأنزل معهم الكتب التي تؤيد دعواهم وأيدهم بالمعجزات والآيات الدالة على صدقهم. يقول اللّه تعالى: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**)[2]. ويقول اللّه تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٤٤)**)[3]. فانقسمت البشرية إلى فريقين فريق آمن باللّه، وبرسله وفريق كفر باللّه و برسله. قال اللّه تعالى: (**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**)[4]

١- سورة الرعد٢٣.

٢- سورة الروم-٤٧.

٣- سورة النحل -٤٣-٤٤.

٤- سورة الحديد- ١٩.

الإيمان بالله:

الإيمان بالله أول أركان الإيمان وأعظمها شأنًا وعليها يرتكز بقية أنواع الإيمان بالله، وفي سبيله هناك سلسلة طويلة من الابتلاءات التي يتعرض لها المؤمنون السائرون في طريقهم إلى الله وأعظمهم شأنًا الأنبياء.يقول الله تعالى: **(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ)**[1].

لذا كانت إقامة التوحيد مبنية على نفي الشريك لله سبحانه وتعالى في ألوهيته وربوبيته وفي أسمائه وصفاته مبنية على الإيمان، الذي يعدل لهم سلوك الشرك الذي أحدثه الملأ والمتكبرون من خلال رسله سبحانه وتعالى. وذلك لأن هناك من أدعى الإلوهية من البشر ودعا الناس لعبادته.يقول الله تعالى:**(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)**[2]. وقال الله تعالى:**(قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)**[3]. بل هناك من نصَّب بعض الأشخاص آلهة تعبد من دون الله. يقول الله تعالى:**(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)٤.وبعضهم جعل الأصنام آلهة تعبد من دون الله. يقول الله تعالى:: (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى**

١- سورة الأنعام -٣٤.
٢- سورة القصص- ٣٨
٣- سورة الشعراء-٢٩.
٤- سورة التوبة -٣٠-٣١.

أَنْفُسهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤).[1] وبعضهم وصف الله سبحانه وتعالى بما لا يليق به ومن ذلك وصفه بأن له الولد والبنت-تعالى الله-. يقول الله تعالى:(**فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥)**)[2]. وبأنه فقير- تعالى الله-. يقول الله تعالى: (**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)**)[3].ومنهم من عطل بعض صفاته و وصفوه بما لا يليق به-تعالى الله عن ذلك- يقول الله تعالى: (**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)**)[4].وفي سبيل الإيمان بالله وإقامة العبودية له وصف نفسه. يقول الله تعالى: (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)**)[5].يقول الله تعالى: (**فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)**)[6].وأنه ماخلق الخلق الاّ من أجل عبوديته سبحانه وتعالى. يقول الله تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**

١- سورة الأنبياء- ٦٢-٦٣-٦٤.

٢- سورة الصافات- ١٤٩-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٥.

٣- سورة آل عمران ١٨١-١٨٢.

٤- سورة المائدة-٦٤.

٥- سورة الإخلاص-١-٢-٣-٤.

٦- سورة الشورى-١١.

(٥٦) **مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ** (٥٧) **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** (٥٨)[١]. وفي سبيل ذلك تعرض موكب الأنبياء والصالحين والمؤمنين على امتداد التاريخ الإنساني لأشد أنواع الابتلاء في سبيل الإيمان بالله الذي يؤسس العبودية الحق على منهاج ما يشرعه على لسان أنبيائه. يقول الله تعالى: (**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**)[٢].يقول الله تعالى: (**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** (١٠) **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (١١) **وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** (١٢)[٣]. فإذا تحقق هذا الإيمان واستقر في القلب فإنه يثمر الأعمال الصالحة. وهذا الإيمان يقود إلى توحيد الله بحيث لا يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله.

الإيمان بالملائكة:

ثم يأتي الركن الثاني الإيمان بالملائكة: والملائكة خلق من خلق الله خلقهم من نور وخلقهم لعبادته سبحانه وتعالى ولا يعلم عددهم إلا الله ولهم أعمال يقومون بها وكان الإيمان بهم جزء من أركان الإيمان بالله لأن هناك من جعل الملائكة بنات الله-تعالى الله- يقول الله تعالى: (**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**)[٤].وبعضهم

١- سورة الذاريات ٥٦-٥٧-٥٨.

٢- سورة الشورى-١٣.

٣- سورة إبراهيم -١٠-١١-١٢.

٤- سورة الزخرف ١٩.

أنكر أن يرسل الله بشرًا ولم يرسل ملائكة لهدايتهم. يقول الله تعالى: (**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ**)[1]. بل طلبوا إرسال ملائكة رسلًا. يقول الله تعالى: (**إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**)[2].. ومنهم من عادى الملائكة. يقول الله تعالى: (**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)**)[3]. ومنهم من عبد الملائكة دون الله. يقول الله تعالى: (**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ(٤١)**)[4]. إذًا ثمرة الإيمان بالملائكة أن نؤمن بهم كما وصفهم الله سبحانه وتعالى في كتابه. يقول الله تعالى: (**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)**)[5]. فإن ذلك يقود إلى توحيد الله سبحانه وتعالى في عبادته، ألا يشرك معه الملائكة المقربون في أي نوع من أنواع العبادة. يقول الله تعالى: (**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠)**)[6]. ويؤمن أنهم

١- سورة المؤمنون-٢٤.
٢- سورة فصلت-١٤.
٣- سورة البقرة-٩٧-٩٨.
٤- سورة فاطر-٤٠-٤١.
٥- سورة الأنبياء-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩.
٦- سورة آل عمران -٨٠.

خلق من خلق الله، ويجعل الملائكة شهودًا عليه في جميع أعماله مما يجعله يتحاشى المعاصي والذنوب.يقول الله تعالى: (**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)**)[١].

الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله على بعض رسله ومنها التوراة والزبور والإنجيل وصحف إبراهيم. وأن تلك الكتب نسخت بالقرآن الكريم فيجب أن نؤمن بأن الله أنزلها من قبل أن تحرف. ومنهم من أنكر أن ينزل الله كتابًا على رسول. يقول الله تعالى: (**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)**)[٢]. وإن إنكار بعضها يؤدي إلى الكفر بالله لأنه أنزلها لهداية البشرية، والذين بدلوا كتب الله فقد ضلوا وأضلوا كثيرًا. يقول الله تعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**)[٣]. والكتب التي حُرفت صرفت الناس من عبادة الله إلى عبادة البشر والذين حرفوها صنعوا دينًا يقدس البشر ويجعلونهم الآلهة من دون الله. يقول الله تعالى: (**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ**

١- سورة ق-١٧-١٨.

٢- سورة الأنعام -٩١-٩٢.

٣- سورة المائدة-٦٨.

يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠)[١]. أَما الكتاب الخاتم فقد حفظه اللّه من التبديل والتغيير. يقول اللّه تعالى: (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)[٢].ولكن الذين أعرضوا عنه جعلوا عقول وأقوال علمائهم وشيوخهم تضع لهم طريقة عبادة مبتدعة تصرف الناس عن كتاب اللّه. (الباطنية – وبعض الطرق الصوفية- والشيعة الرافضة) والإيمان بالقرآن يهدي الناس إلى طريق الحق وعبادة اللّه وحده لا شريك له. يقول اللّه تعالى:(**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**)[٣]. يقول اللّه تعالى: (**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** (١) **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ** (٢)[٤]. إذًا الإيمانُ بالقرآن يقود إلى توحيد اللّه وفق ما شرع لهم في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

– هذا الركن ضل فيه كثير من الخلق بحجة كيف يرسل اللّه بشرًا رسولاً؟ يقول اللّه تعالى: (**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا** (٩٤) **قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا** (٩٥)[٥]. ويرى أن هناك من هو أفضل من الرسول الذي أرسل إليهم.يقول اللّه تعالى:(**بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ** (٢٩) **وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ**

١- سورة آل عمران-٧٨-٧٩-٨٠.
٢- سورة الحجر-٩.
٣- سورة الإسراء-٩.
٤- سورة هود١-٢.
٥- سورة الإسراء-٩٤-٩٥.

كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)[1]. ومنهم من استنكر أن يهديهم بشر.يقول الله تعالى: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**)٢. وآخرون جعلوهم بمنزلة الإله فعبدوهم من دون الله. يقول الله تعالى:(**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**)[3].ومنهم من كفر بهم استكبارًا وعنادًا. يقول الله تعالى: (**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥)إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧)**[4]. مما دفعهم إلى أن يتهمون الرسل بأوصاف لا تليق بهم من أجل أن ينفروا الناس منهم مما جعل كثيرًا منهم يعرضون عن الإيمان بالرسل. يقول الله تعالى:(**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣)**[5]. وما أرسل الله الرسل إلا لهداية الناس وإخراجهم من عبادة العباد والأوثان والآلهة المزعومة إلى عبادة الله وحده لا شريك له فأصرّ القوم على عدم مفارقة عبادة الأوثان والآلهة، مما جعلهم يشركون مع الله في عبادته بسبب كفرهم بالرسل. يقول الله تعالى: (**وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣)**[6]. والذين آمنوا بهم وحدوا

١- سورة فصلت- ٢٩-٣٠-٣١-

٢- سورة التغابن-٦.

٣- سورة التوبة-٣٠.

٤- سورة- المؤمنون-٤٥-٤٦-٤٧.

٥- سورة الذاريات-٥٢-٥٣.

٦- سورة الفرقان- ٤١-٤٢-٤٣.

لله في عبادته ولم يشركوا به شيئا. قال الله تعالى: (**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**).[1]

الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر غيب وما يحدث فيه من أمور كذلك غيب أخبر الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه وكذلك أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ويبدأ هذا اليوم منذ أن تفارق الروح الجسد حيث القبر فهو أول منازل القيامة حيث سؤال الملكين الموكلين بسؤاله في القبر ثم الضمة والعذاب للكافر أو النعيم للمؤمن. ثم البعث من هذه القبور عند النفخة وما يحدث في هذا اليوم من أهوال يشيب لها المولود والحشر إلى عرصات القيامة حيث يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد. ثم الحساب.ثم فريق في الجنة وفريق في النار. هذا اليوم الآخر هو ركن من أركان الإيمان بالله بكل تفاصيله التي جاء بها القرآن والسنة من غير كيف إنما التسليم. ومن استخدم عقله في البحث عن تلك الحقائق مما أدى إلى الضلال والكفر ومن ذلك من أنكر أن يعيد تلك العظام البالية مرة ثانية. يقول الله تعالى:(**يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)**)[2]. ومنهم من أنكر القيامة أصلا .يقول الله تعالى: (**وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**)[3]. يقول الله تعالى:(**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥)**)[4]. وهذا الإنكار بيوم القيامة كان ذريعة للإنسان ليطغى ويرتكب الذنوب والمعاصي والآثام بحجة إنما هي الحياة الدنيا ولا يوجد عقاب ولا ثواب من

١- سورة الأنعام-٨٢

٢- سورة النازعات١٠-١١-١٢-١٣-١٤

٣- سورة الجاثية-٣٢

٤- سورة النمل-٤-٥.

هذه الآثام. يقول الله تعالى: (**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)**)١. أما المؤمنون بيوم القيامة فهم على وجل من الساعة وما أعده الله من حساب وعقاب.يقول الله تعالى: (**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨)**)[٢]. مما يجعلهم يداومون على عبادته والابتعاد عن الشرك المحبط للأعمال مما يجعلهم يوحدون الله في عبادته خوفًا من أن يأتوا يوم القيامة وهذه الأعمال تحولت إلى سراب. يقول الله تعالى:(**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**)[٣]. بل هم كما في قوله الله تعالى:(**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)**)[٤].

الإيمان بالقدر:

الإيمان بعلم الله علمًا أزليًا محيطًا بجميع خلقه، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأن الله قدر المقادير قبل خلق السموات الأرض في اللوح المحفوظ ولا يقع شيئ في الكون إلا بعلمه فلا يتم الإيمان بالله حتى يؤمن الإنسان بالقدر خيره وشره وأنه من عند الله تعالى، وأنه لا يكون شيئ في هذا الكون إلا من الله. وليعلم الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. وجاءت النصوص القرآنية والنبوية تدل على وجوب الإيمان بالقدر.قال تعالى:(**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ**

١- سورة القيامة-٣—٤-٥-٦.
٢- سورة الشورى-١٧-١٨.
٣- سورة الفرقان-٢٣
٤- سورة الرعد-٢٠-٢١.

قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[١]. وقال الله تعالى: **(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)**[٢]. فيطمئن قلب الإنسان تجاه الأحداث التي تقع عليه فلا اعترض له قد يقود إلى الكفر بالله. أو يقول لو فعلت كذا لكان كذا الذي هو مدخل الشيطان وقد جاء النهي عن الخوض في القدر، لأنه يقود إلى التشكيك في قدر الله مما يؤدي إلى الاعتراض على الله فهذا الصحابي الجليل ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول: باب شرك فتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم. ويقول أيضا -رضي الله عنهما-: ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإسلام.٣ فالإيمان بالقدر يقود إلى توحيد الله سبحانه وتعالى. القدر نظام التوحيد، فمن وحَد الله وكذّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده٤ وهو كان سببًا في خروج طائفة من المسلمين الذين ضلوا في هذا الباب. إن الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني الاستسلام للعجز والكسل والتواكل، ولا إلقاء اللوم على المقادير فيما يصيب الإنسان، ولا الاحتجاج به على ما يفعله من معاصٍ وأن مشيئته وإرادته مقيدة ضمن مشيئة الله تعالى وقدرته، فالأمور التي يقوم بها الإنسان بإرادته واختياره هو مسؤول عنها، فلا يحتج بالقدر. فالإيمان بذلك يقود إلى توحيد الله.

هذه أركان الإيمان التي تلامس قلب المؤمن عندما يتلو كتاب ربه سبحانه وتعالى ويعيش ويتفاعل معها مما يزيده إيمانًا وينعكس ذلك في عبادته وسلوكه وهو على بينة من ربه ويبتعد من نقيضيه الكفر والشرك أو أي سلوك يودي إليهما.

الإيمان مطلب شرعي من كل مكلف، وهذا الإيمان هو استجابة لنداء

١- سوؤة التغابن-١١.

٢- سورة القمر-٤٩.

٣- . عبد الله بن سليمان الغفيلي -ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف-المجلد الأول- دار المسيرة – السعودية- الطبعة الأولى١٩٩٨- ص ٦١٦

٤- . صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر-مكتب الرياض –السعودية-بودن طبعة ١٣٧٣-ص١٩٧

القرآن:(**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**)[1]. ولأننا نؤمن (آمنّا- وليس نعتقد) بماجاء به القرآن، وليس البحث أولاً عن معنى الكلمة في لغة العرب ماذا تعني ثم أسس ديني على مراد كلام العرب، أو كلام المتأخرين الذين ذهبوا في البحث عن كلمة العقيدة وبأن جذرها عقد من حيث اللغة والإيمان من حيث المعنى الاصطلاحي. فإن قيل هذا يقدح في العلم باللغة قبل نزول القرآن، قيل: فيكن، ونحن لا حاجة لنا مع بيان الرسول لما بعثه الله به من القرآن أن نعرف اللغة قبل نزول القرآن، والقرآن نزل بلغة قريش، والذين خوطبوا به كانوا عربًا، وقد فهموا ما أريد به وهم الصحابة، ثم بلغوا لفظ القرآن ومعناه إلى التابعين حتى انتهى إلينا، فلم يبق بنا حاجة إلى أن تتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القرآن لكن لما تواتر القرآن لفظًا ومعنى، وعرفنا أنه نزل بلغتهم.[2] ولم ترد كلمة العقيدة لا في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة. والإيمان لفظة متعارف عليها لغة، وكذلك الإيمان قول وعمل يزيد وينقص هذا من المسلمات. قال الله تعالى: (**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**)[3]. إذًا القول نابع من الإيمان، وأقوال الأئمة في المسائل التي اختلفوا فيها مع المتكلمين هي جزء من الإيمان فقول الإمام مثلًا في مسألة خلق القرآن أن القرآن كلام الله وصفة من صفاته، وليس مخلوقًا، وهذا القول نابع من الإيمان، لأن دليله الكتاب والسنة وليس عقيدة لأن القول جزء من الإيمان انظر إلى المنافقين لأن في قلوبهم الكفر والريبة والشك يقولون إذا أنزلت سورة أيكم زادته هذه إيمانًا فيقولون لا لم تزدنا إيمانًا، أم المؤمنون ففي قلبهم الإيمان

١- سورة آل عمران-١٩٣.

٢- سعيد عبد العظيم – مصدر سابق ص١٠٣.

٣- سورة الفتح-٤.

فهم يستبشرون بذلك لذا زادتهم إيمانًا. قال الله تعالى: **(وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)**[١]. أما الرأي الذي يراه الإمام في أي مسألة اجتهادية فهو نابع من الإيمان كذلك، فيسمى اعتقادًا (بناءً على تعريف الاعتقاد بأنه الحكم الذهني المطابق للواقع إن كان صحيحًا فهو كذلك أو خطأ فهو كذلك) فإذا تبين له خلاف اجتهاده فإنه يتراجع عن رأيه وهذا كثير عند أئمة وعلماء المسلمين. أما المتكلمون قولهم في تلك المسائل مثلًا أن القرآن مخلوق هذا نابع من تأثرهم بالمنطق اليوناني وتحكيم العقل على الشرع، وليس العقل تابعًا للشرع. فاعتقادهم في نصوص الشرع مبني على الرأي. ومنهم من رجع عن هذا الاعتقاد. ومنهم من لا يتراجع عنه إذا تبين لهم فساد رأيهم مما يجعلهم يتبعون الهوى المخالف للكتاب، والسنة ثم ينشأ عليه الأجيال فيصبح عندهم اعتقادًا، أو عُقدة، أو عقيدة يعتقدونها من غير دليل. إذًا المسائل التي ناقشها السلف مع الفرق الأخرى هي مسائل في الأسماء والصفات والنزول والاستواء وغيرها سلّم بها الصحابة والتابعون، وهي أقوال في تلك المسائل نابعة من الإيمان. وليس هي العقيدة التي هي الإيمان، ولا الإيمان نفسه. عندما طلب كفار قريش من عمار بن ياسر -رضي الله عنه- أن يذكر آلهتم بخير بعد التعذيب قال لهم ما يرضيهم في غمرة العذاب ثم ذهب إلى الرسول فأخبره بما فعله به كفار قريش فقال الرسول صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك: قال مطمئن بالإيمان قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إن عادوا فعد. هذا القول من عمار -رضي الله عنه- لم يؤثر في إيمانه لان القلب مطمئن بالإيمان. قال الله تعالى: **(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ**

١- سورة التوبة-١٢٤-١٢٥.

مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).[1] وكان هدف الكفار زعزعت هذا الإيمان ولو من باب ذكر آلهتهم بخير أو ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، بسوء.

وعليه يمثل الإيمان حجر الزاوية في حياة المؤمن لأنه يجعله لايخضع مسائله لعقله، ثم يستمد التعليمات والأمور الربانية المبثوثة في الكتاب والسنة في كل شؤون حياته متمثلًا بها تعبدًا وسلوكًا: ياآيها الذين آمنوا.... أن يقول سمعنا واطعنا. والقدوة التي يقتدي بها والتي يستنير بها عندما يتلو كتاب ربه كلها كانت أكبر قضاياها هي: الكفر، والشرك، والذي يمثله أعداء الرسل، والأنبياء، والمؤمنين تجاه قضية التوحيد والإيمان، والتي يتوقف عليها التمايز، والجزاء، والعقاب في الدنيا، والأخرة. هذا يتطلب، ويتحتم علينا استخدام ألفاظ الوحي، وخاصة في موجات التغريب التي أصابت الأمة من الابتعاد عن الكتاب، والسنة، ومن أجل التمايز، وإقامة حواجز بين من يعادينا في إيماننا من الكافرين والمشركين وأصحاب الأفكار المنحرفة عن الكتاب، والسنة. ولكي يحدث التوافق بين التوحيد والإيمان، ونداءات القرآن. وأن لا نعيش غربة وازدواجبة بين الكتاب، والسنة وبين استخدام ألفاظ غريبة ومبتدعة عنهما.

والمنصف المطلع على أحوال الصحابة الكرام والسلف الصالح والعلماء الربانيين الذين اتبعوهم بإحسان هم الذين تميزوا بطهارة النفوس والقلوب من تلك الأمراض والآفات وهم أقرب الخلق من الإنس والجن لتوفير تلك العلاقات الفطرية بين عقولهم ونصوص الشرع الحنيف حيث ملؤوا قلوبهم بالعلم النافع من مصادره الحقيقية وطهروها من الأهواء والشهوات أكثر من حب أهل الدنيا لمصالحهم وهؤلاء أجدر الناس بأن يرجع إليهم في تفسير نصوص الشريعة وبيان حقائقها والتعامل معها بصورة عامة وهم بذلك

١- سورة النحل-١٠٦.

يقفون مقامًا بعد قائدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم. إن العقول التي انطوت عليها نفوس تلك المؤثرات من نقص علم أو زيادة هوى لا تقف مع النصوص في تلك المقامات الكريمة بل تجعلها ظهريا ولا ينبغي الركون عليها في تلك النصوص وبيان حقائق الشرع.[1] لذا تمسكوا بالكتاب والسنة والذين جاؤوا من بعدهم كذلك سار على نهجهم بالتمسك بالكتاب، الذي: وظيفة النص هي البيان، والمقصود بيان الصراط السوي في الاعتقادات والأفعال والتروك وجميع ما يتعلق بها من ضمان وحقائق وكيفيات فيدخل في ذلك أصول الإيمان الستة وبيان أركان الإسلام الخمسة، وبيان ما يحرمه الشرع، وما يوجبه وما يبيحه وأحكام معاملة الناس ومعاشرتهم، والمستهدف بالنص وما فيه من البيان المذكور هو الإنسان والمطلوب منه إدراك ما في النص من البيان وإسكانه في روحه والانطلاق به في العمل والسلوك، ووظيفة العقل تقع في أول خطوات الامتثال وهي إدراك معاني البيان والحقائق التي جاءت بها النصوص يعني فقها وفهمها ثم ادخارها علمًا في القلوب ثم تحويلها إلى عمل وسلوك ليصل الإنسان إلى أحسن أوضاعه، وخير مآلاته على الإطلاق.[2]

وأخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

١- – محمد نعيم ياسين ، مباحث في العقل، دار النفائس -الاردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١م ، ص ٢٥١.
٢- . محمد نعم ياسين ص- ٢٣٤.

الخاتمة

تتبعنا حقيقة مصطلح العقيدة من حيث النشأة والتعريف اللغوي والاصطلاحي، وأسباب التأليف فيه، حيث ظهر في مسمى كتاب في القرن الرابع وكان قبله كلمة اعتقاد، ولكن فضّلوا كلمة عقيدة نسبة لذلك الكتاب، الذي يمثل صاحبه التيار السني، ثم سار بعض العلماء على ذلك في تناولهم لقضايا إيمانية خالف فيها أهل الكلام أهل السنة والجماعة مع التأكيد على مذهبهم من غير أن تكون هناك رؤية واضحة لمعناها عند السلف من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي أما أصحاب المعاجم القديمة فلم ترد عندهم كلمة عقيدة بل نجد ذلك عندما أصبحت لها تداول في المصنفات مما اضطرهم أن يبحثوا عنها في مظانها بحيث كانت تتداول في مسائل الإيمان لذا تمّ ربطها بأعمال القلب وما يعقده (يلتزم به) الإنسان من تلك المسائل التي أحدثت. فقد حدث خلط شديد بينها وبين كلمة اعتقاد التي لم تنل حظها في البحث مثل كلمة عقيدة مما جعلهم لا يفرقون بينهما فأصبح كلمة عقيدة واعتقاد متلازمتين ولكن حدث الانفصال عند المتأخرين عندما أرادوا تعريف العقيدة كمصطلح شرعي. فقد بعُدت الشقة بينهم في تعريف جامع مانع له مما أدى إلى هذه الكثرة المتباينة التي تكاد لا تحصى بل هي في تزايد لأنه ليس له تعريف يرتضيه الجميع سوى تعريفه بالإيمان الذي استقرت مسائله في أركان الإيمان عند ابن تيمية مما جعل المتأخرون يعرفونه بالإيمان وهذه التعريفات ليست خارجة من علماء أهل الاصطلاح.

هذه اللفظة مما لايدع مجالاً للشك أنها ليست من ألفاظ الكتاب ولا السنة ولا حتى من ألفاظ السلف أهل القرون المفضلة. فهي محدثة ولدت وليس لها تعريف لغوي واصطلاحي متفق عليه عند السلف والمتأخرين فالواجب علينا نبذها وتركها والرجوع إلى ألفاظ الوحي الواجب علينا اتباعه في تقرير مسائل التوحيد والإيمان والابتعاد من الألفاظ المبتدعة في تناول مسائله

ليكون التوافق والانسجام بينهما على أكمل وجه.

تتضح لنا أهمية هذه القضية حتى لا تطغى عليها قضية ثانوية يرفعها الهرج والمرج، والهتافات والرايات، والحناجر المبحوحة، لتكون أعلى من قضية التوحيد والإيمان. يجب أن نثبت في أذهاننا وقلوبنا أهمية هذه القضية وخطورة هذه الحقيقة الكبرى حتى لا يطغى عليها شعار محبب ونداء محدد في مرحلة من مراحل الدعوة، يفرضه واقع تضعف أمامه النفوس، ثم يطمس هذا النداء والهدف والشعار أهدافًا ثابتة وقواعد أساسية، يطمسها بدلًا من أن يرتبط بها، ويوهنها بدلًا من أن يقوى بها، ثم يطمس الحقيقة الكبرى والقضية الأولى في نفحة الدعاية المضللة والجدل، وزهوة الأمل القريب.ويرتبط المسعى كله بهذه الحقيقة الكبرى، لتظل هذه الحقيقة، حقيقة التوحيد الخالص، والعبودية الصادقة له، والإيمان الصافي، لتظل هي أساس الحلول والجهود والسعي، هي أساس الدعوة، وهي تربية الأجيال وبناؤها، وهي أساس لقاء المؤمنين، وأساس انطلاقة الأجيال المؤمنة وجهادها في جميع الميادين، وهي أساس الدعوة في الأرض.[1]

هكذا يتعايش الإنسان المؤمن مع إيمانه بالله، وبرسوله صلى الله عليه وسلم وتوحيده سبحانه وتعالى، والدعوة إلى هذا التوحيد والإيمان انطلاقًا من القرآن والسنة، ولكي يتوافق مع ما يدعو إليه من التوحيد وأركان الإيمان المبثوثة فيهما. وأن ننشر ونحيي ألفاظ الوحي من جديد في ألسنة الدعاة والعلماء، وعامة المسلمين، صمام الأمان لهذه الأمة. وسدّ منيع للتمايز بيننا وبين أعدائنا.

والحمد لله رب العالمين

١- عدنان علي رضا النحوي مصدر سابق- ص ٢٢

المصادر والمراجع

١. أبو بكر جابر الجزائري- عقيدة المؤمن- دار الفكر بيروت لبنان- الطبعة الثانية- بدون تاريخ.
٢. أبو القاسم هبه الله بن الحسن منصور – اللالكائي- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – مكتبة البصيرة – مصر، بدون طبعة وتاريخ.
٣. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم - الإحكام في أصول الأحكام تحقيق أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية بدون تاريخ.
٤. أحمد بن حنبل – الرد على الجهمية والزنادقة، تحقيق صبري سلامة شاهين، دار الثبات السعودية – الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٥. أحمد محمد أحمد جلي – في العقيدة الإسلامية، منشورات أكاديمية كرري، سلسلة الكتاب الجامعي، بدون طبعة وتاريخ.
٦. أحمد شوقي إبراهيم، المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى-٢٠٠٠م.
٧. أحمد علي -أثر الفكر الأوروبي،دار الآفاق العربية مصر ، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
٨. أسماء بنت سليمان بن عبدالرحمن السويلم، موقف الصحابة من الفرقة والفرق، دار الفضيلة ، السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٩. الشريف حاتم بن عارف العديل، المنهج المقترح لفهم مصطلح الحديث ، دار الهجرة والنشر ، السعودية الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م.
١٠. السيد محمد رشيد رضا- الوحي المحمدي ثبوت النبوة بالقرآن- عز الدين للنشر- بيروت لبنان- الطبعة الثالثة- ١٤٠٦هـ.
١١. القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان- دراسة وتحقيقًا- حققه وعلق عليه سعود بن عبد العزيز الخلف- دار العاصمة –السعودية- الطبعة الأولى- ١٤١٠هـ-
١٢. القرشي عبد الرحيم البشير -المصطلح الشرعي ومنهجية الدراسة المصطلحية –مجلة جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية ٢٠٠٦م.
١٣. تامر محمد محمود- محمد رشيد رضا في العقيدة-دار ماجد عسيري- السعودية- الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
١٤. جمال بن أحمد بن بشيرباي – الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للامام الذهبي المجلد الاول – دار الوطن السعودية بدون طبعة رسالة دكتوراة منشورة.
١٥. حسن سليمان العامري ، الاختلاف في المصطلحات العقائدية والفكرية وأثرها على الأمة الإسلامية ، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية ، غزه.
١٦. حسين بن علي بن حسين الحربي- قواعد الترجيح عند المفسرين- دار القاسم- السعودية- الطبعة الأولى- ١٩٩٦م.
١٧. خالد عبد الرحمن العك- أصول التفسير وقواعده- دار النفائس- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية- ١٩٨٦م.
١٨. رشدي أبو شبانة علي الرشيدي- الصراع الحضاري بين الشرق والغرب -دار اليقين- مصر الطبعة الاولى- ٢٠٠٨م.
١٩. سعد عبد الله -وحسن سليمان حلس- المصطلح الإسلامي في مواجهة المصطلحات الغازية بحث مقدم

لمؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة- المنعقد في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية- ٢٠٠٧م.
٢٠. سعيد عبد العظيم – منهج ابن تيمية التجديدي – دار الإيمان مصر-بدون طبعة وتاريخ
٢١. سيد قطب- خصائص التصور الإسلامي- دار الشروق- الطبعة الثامنة ١٩٨٣م
٢٢. صالح بن فوزان بن الفوزان – عقيدة التوحيد – مكتبة دار المنهاج -الرياض – السعودية – الطبعة الاولى ١٤٣٤ه.
٢٣. صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي – شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكر- مكتبة الرياض –السعودية-بدون طبعة ١٣٧٣ه.
٢٤. طاهر محمود محمد يعقوب -أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية- دار ابن الجوزي- السعودية- الطبعة الأولى-١٤٢٥ه
٢٥. عبدالله بن عبدالرحمن الخميس، التعليقات الذكية على العقيدة الواسطية، الجزءالأول، دار الوطن ، الرياض، ط١ ١٩٩٨م
٢٦. عثمان جمعة ضميرية – مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية – مكتبة السودي- جدة السعودية – الطبعة الثالثة-١٩٩٩م.
٢٧. عبد الله بن سليمان الغفيلي -ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف-المجلد الأول- دار المسير – السعودية- الطبعة الأولى١٩٩٨م.
٢٨. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين- شرح مختصرتسهيل العقيدة الإسلامية-مكتبة الرشد السعودية- الطبعة الرابعة ١٤٣٣م.
٢٩. عبدالله بن عبدالعزيز بن الجبرين ، تسهيل العقيدة الاسلامية-دار الصميعي- السعودية- بدون طبعة وتاريخ.
٣٠. عبدالله محمد يسري ، علم التوحيد عند أهل السنة والجماعةالمبادئ والمقدمات، كتاب الكتروني المكتبة الوقفية
٣١. عبدالرحمن بن زين الزبيدي، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر – مركز الدراسات «الأعلام – الرياض- الطبعة الاولى-١٩٩٨م
٣٢. عبد المحسن بن حمد العباد البدر- الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي- دار الفضلية السعودية- الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٣٣. عبدالرحمن بن صالح بن سليمان الدهش، الأقوال الشاذة في التفسير وأسبابها،مجلة الحكمة الصادرة في مانشتر – بريطانياالطبعة الأولى- ٢٠٠٤م.
٣٤. عبد الكريم نوفان عبيدات- الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تفرير مسائل العقيدة الإسلامية-دار النفائس –بيوت لبنان- الطبعة الأولى-٢٠٠٠م.
٣٥. عثمان جمعة ضميرية -مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية – مكتبة السوادي- مصر- الطبعة الثالثة -١٩٩٩م
٣٦. عدنان علي رضا النحوي - التوحيد وواقعنا المعاصر- دار النحوي للنشر- السعودية- الطبعة الثالثة- ١٩٩٧م
٣٧. عزالدين هشام بن عبدالكريم البدوي، منهج الإيمان في الإسلام، - دارالكتاب الثقافي .الأردن-بدون طبعه ٢٠٠٣م
٣٨. عفاف بنت حسن بن محمد- تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة- مكتبة الرشد- السعودية- الطبعة

الأولى- ٢٠٠٠م.

٣٩. علي بن عبد الله بن علي القرني- الفطرة حقيقتها ومذهب الناس فيها- دار المسلم- السعودية- الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٤٠. عمر سليمان الأشقر-أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة- دار النفائس – الأردن- الطبعة الثانية-١٩٩٤م.

٤١. محمد السيد سابق-العقائد الإسلامية- دار الفتح للإعلام العربي-مصر الطبعة العاشرة –٢٠٠٠م.

٤٢. محمدبن اسماعيل مزالق الاصوليين –تحتقيق –محمد صباح المنصف مكتبة اهل الاثر الطبعة الاولى ٢٠٠٤.

٤٣. محمد عبد الرحمن الخميس- توضيح بعض المصطلحات العلمية في العقيدة الطحاوية- دار إيلاف الدولية- السعودية-الطبعة الأولى- ١٩٩٩م.

٤٤. محمد أحمد الخطيب ، محمد عوض العزايمة ، دراسات في العقيدة الإسلامية ، الاكاديميون للنشر الأردن ، الطبعة العاشرة ، ٢٠٠٥ م.

٤٥. محمدالشيخ عليومحمد-منهج اللغويين في تقرير العقيدة-دار المنهاج السعودية- الطبعة الأولى- ١٤٢٧هـ.-

٤٦. محمد عبدالله بن عبدالرحمن الخميس- اعتقاد الائمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد – دار العصمة السعودية – الطبعة الأولى – ١٩٩٢ م.

٤٧. محمد العثيمين – شرح العقيدة الواسطية – مجلد الأول، دار ابن الجوزي – الرياض السعودية، الطبعة السادسة ١١٤١ه.

٤٨. محمد بن عبدالرحمن المغراوي.العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية- دار المنار السعودية الطبعة الأولى-١٤١٤ه.

٤٩. محمد حسين الذهبي – التفسير والمفسرون –مكتبة وهبة –مصر- الطبعة السابعة ٢٠٠٠ م.

٥٠. محمد بن عبدالعزيز الشايع – آراء أبي حجر الهيثمي الاعتقادية دار المنهاج – الرياض – الطبعة الأولى١٤٢٧ه..

٥١. محمد عبد الشافي القوصي – عبقرية اللغة العربية- منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو -٢٠٠٦ م.

٥٢. محمد خليل هراس العقيدة الواسطية تعليق محمد بن صالح العثيمين- الدرر السنية- السعودية- الطبعة الخامسة- ٢٠٠٥ م.

٥٣. محمد ناصر الدين الألباني- الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام-مكتبة المعرفة- السعودية- الطبعة الأولى- ٢٠٠٥ م.

٥٤. محمد نعيم ياسين ، مباحث في العقل، دار النفائس -الاردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١م.

٥٥. محمد أمان بن علي الجامي العقيدة الإسلامية وتاريخها-دار المناهج القاهرة- مصر- بدون طبعة ٢٠٠٤ م- ١٤٢٥هـ.

٥٦. محمد ياس خضر الدوري -دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني –دار الكتب العلمية- لبنان- الطبعة الثانية – ٢٠١٤ م.

٥٧. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار - التفسير اللغوي للقرآن الكريم – دار ابن الجوزي الطبعة الأولى- السعودية- ١٤٢٢ه.

٥٨. مصطفى حلمي- منهج علماء الحديث و السنة في أصول الدين- دار الكتب العلمية- لبنان- الطبعة الأولى- ٢٠٠٥م.
٥٩. مصطفى سعيد الخن- محي الدين ديبمستو- العقيدة الإسلامية، أركانها ،حقائقها، مفسدتها- دار ابن كثير دمشق، سوريا- الطبعة الثالثة- ١٩٩٩ م.
٦٠. مهدي رزق الله أحمد- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- السعودية- الطبعة الأولى-١٩٩٢ م.
٦١. موسى جار الله- الوشيعة في نقد عقائد الشيعة- سهيل اكيدي-لاهور باكستان- الطبعة الثالثة -١٩٨٢ م.
٦٢. ناصر بن يحيى الحنيني - منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة- دار الفكر المعاصر- السعودية الطبعة الاولى ١٤٣١ ه.
٦٣. ناصر بن عبدالكريم العقل، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة - دار الوطن، الرياض السعودية، الطبعة الثانية- ١٤١٢ه.
٦٤. ناصر بن عبد الكريم العقل- دراسات في الأهواء والفرق و البدع وموقف السلف منها-مركز الدراسات والأعلام دار اشبيليا - السعودية-الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
٦٥. هدى بنت ناصر بن محمد - آراء الكلابية العقدية وأثرها في الأشعرية- مكتبة الرشد السعودية- بدون طبعة- ٢٠٠٠ م.
٦٦. يوسف بن الطريف علي - تدوين علم العقيدة - دار خزيمة - السعودية - الطبعة الأولى، ٢٠٠٩ م. ١٠٤٦هـ-
٦٧. الشبكة العنكبوتية:
٦٨. الموقع شبكة الإمام الآجري-www.ajurry.com
٦٩. محمد علي عبد الجليل-أثر العقيدة في وعي المعتقدين-megs.com/issue٠٩
٧٠. septemer٥٠http://maaber./edioial.htm-
٧١. البابا شنودة الثالث- مقالات منشورة في جريدة الأهرام -٧-١٠-٢٠٠٧ م.

رقم الايداع : ٦٤٤ / ٢٠١٨

عزيزي القارئ :

تعجبت من نفسي حينما أرادت أن تخوض بحرًا تتلاطم أمواجه ولا تهدأ أبدًا قلت: ويحكِ ألا تعلمين أن الشاطئ الآخر أكثر أمنًا مما أنا فيه في اضطراب وحيرة، وقلق.
أيها القارئ الكريم إذا كنت مستعدًا أن تركب معي سفينتي لكي تخوض معي هذا البحر فعليك أن تتماسك بقوة ولا تلتفت إلى خوفك القديم من البحر، فإذا سقطت فلن ألتفت إليك ولن تتوقف السفينة، ولا تأبه إلى ضربات الأمواج حتى تصل إلى بر الأمان.
أخي الحبيب هل عرفت البحر الذي نريد خوضه أنه مصطلح العقيدة، والأمواج هي المؤلفات في العقيدة، والسفينة هي الكتاب والسنة، وبر الأمان هو حقائق الإيمان التي ضاعت منا في ظل تدفق مؤلفات العقيدة
وهذا أمر جلل أن تسير عكس التيار، ولكن عسى اللّه أن يهدينا سواء السبيل.

المؤلف

